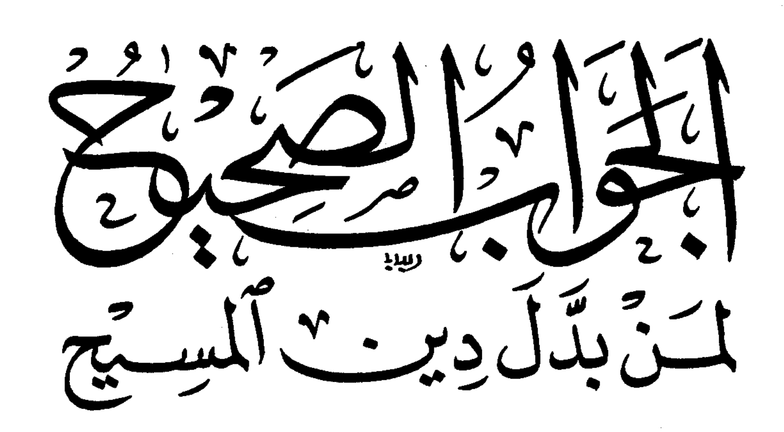


الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية الحراني
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق

د. علي بن حسن بن ناصر

د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر   د. حمدان بن محمد الحمدان

المجلد الخامس

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

رجاء

يرجو محقِّق هذا القسم من الكتاب مِن كُل مَن يقرؤه ـ كلًا أو بعضاً ـ من المسلمين أو من غير المسلمين أن يوافوه ـ مشكورين ـ بأي ملاحظة على الكتاب أو على التحقيق، للاستفادة منها في الطبعات اللاحقة، ويَعِد المحقق بأن يشعر بوصول الملاحظة أو الرد عليها، وذلك على العنوان التالي:

حمدان بن محمد الحمدان

ص. ب ٧٥٢٠٧

الرياض ١١٥٧٨

السعودية

هاتف ٤٦٩٨ ـ ٤٦٧ (١)

فصل

مناقشة النَّصارى في إطلاق لفظ الجوهر على الله ـ تعالى ـ

قال الحاكي[1] عنهم[2]: فقلت: فإنهم ينكرون علينا[3] قولنا: إن الله ـ تعالى ـ جوهر[4]. قالوا: إننا نسمع عن هؤلاء القوم[5] أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة، ومن هذا صورته، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة[6] والمنطق[7]، فما حقهم ينكرون هذا علينا، وذلك أنه ليس

---

(١) الحاكي هو: بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، الذي سبقت ترجمته.

(٢) الضمير يعود إلى النصارى.

(٣) في ط زيادة: (في).

(٤) الجوهر ـ في اصطلاح المتكلمين ـ: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضع. وهو عندهم منحصر في خمسة أشياء: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، وهو عند العرب يطلق على الأشياء المعدنية والحجارة التي هي عندهم بالوضع والاعتياد نفيسة:
انظر: التعريفات ٨٣ و١٥٣؛ ولباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ٢٧، لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ـ ٦٢٦هـ ت: د. فوقية حسين محمود، ط ١، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م؛ والملل والنحل ٢/١٦٩، لعبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ـ ٥٤٨هـ ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(٥) يقصدون المسلمين.

(٦) هم اليونانيون الذين تناولوا مسائل الألوهية والنفس والعالم، وناقشوها بأسلوب خاص، واتخذوا بصددها مواقف معينة: أي: مذاهب، دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية، ومنهم: أفلاطون، وأرسطو، وسقراط، وإبرقلس، وياميليخوس.
انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ٣، د. محمد علي أبو ريان، نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦م.

(٧) **المنطق**: علم من العلوم الآلية، المؤسسة على القوانين العقلية. وقد عرف =

في الوجود شيء إلاَّ وهو إما جوهر وإما عَرَض[1]، لأن أي أمر نظرناه وجدناه. إما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده[2] إلى غيره، وهو الجوهر، وإما مفتقر في وجوده إلى غيره، لا قوام له بنفسه، وهو العرض، ولا يمكن أن يكون لهذين القسمين قسم ثالث. فأشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره. وهو الجوهر.

ولما كان الباري ــ تقدست أسماؤه ــ أشرف الموجودات، إذ هو سبب سائرها، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر. ولهذا قلنا: إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، كما نقول: إنه شيء لا[3] كالأشياء المخلوقة، وإلاَّ لزم أن يكون قوامه بغيره، ومفتقر في وجوده إلى غيره، وهذا من[4] القبيح أن يقال على الله ــ تعالى ــ فقلت

= الجرجاني ــ ٨١٦هـ في كتابه (التعريفات) ٢٥١ نشر مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٨م.
عرف المنطق عند المناطقة: بأنه آلة قانونية، تعصم (في زعمهم) مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. فهو علم عملي آلي، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي، والغرض منه: إرشاد قوى العقل في مناهج البحث عن الحقيقة، وإظهارها للغير. وموضوعه: كيفية زيادة مادة المعارف بتصور الأمور الخارجية، واكتساب أعلى الحقائق وأقصى النظريات من طريق البرهان والقياس.
انظر: دائرة معارف القرن العشرين ١٠/٢٦٨ ــ ٢٦٩، وسأشير إليها فيما بعد: بدائرة معارف وجدي حيث أن مؤلفها هو: محمد فريد وجدي ــ ١٣٧٣هـ، ط ٣، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م.

(١) العرض: في اصطلاح المتكلمين: هو الذي يحتاج إلى موضع ــ أي محل ــ يقوم به. كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله. ويطلق عند جمهور العرب على كل نافع في هذه الحياة الدنيا.
انظر: التعريفات ١٥٣؛ ولباب العقول ٣٥.

(٢) في ط (وجود) بدون هاء.

(٣) سقطت (لا) من ط.

(٤) جاءت في جميع النسخ (فمن) والصواب حذف الفاء كما فعلنا.

لهم: إنهم يقولون: إنا إنما نمتنع من تَسمِّيه[1] جوهراً، لأن الجوهر ما قبل عرضاً وما شغل الحيز، ولهذا ما[2] يطلق عليه القول بأنه ـ تعالى ـ جوهر[3] * قالوا: إن الذي يقبل عرضاً ويشغل حيزاً هو الجوهر الكثيف، فأما الجوهر اللطيف، فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً، مثل جوهر النفس، وجوهر العقل، وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة.

فإذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً، ولا تشغل حيزاً فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف، يقبل عرضاً ويشغل حيزاً كَلا.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: أما تسمية الباري جوهراً. فهو من أهون ما يُنْكَر على النصارى، ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع ـ فقط ـ أو اللغة، ومنهم من ينكره من جهة العقل ـ أيضاً ـ ، ومنهم من يراه نزاعاً لفظياً، وطائفة من المسلمين يسمونه جوهراً وجسماً ـ أيضاً ـ ، وذلك أن المسلمين في أسماء الله ـ تعالى ـ على طريقتين، فكثير[4] منهم يقول: إن أسماءه سمعية شرعية، فلا يسمى إلَّا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع.

ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتاً له،

---

(١) في ك و ط (من أن نسميه).

(٢) في ط (من).

(٣) في ك (جوهراً) بالنصب.

(٤) في ط (وكثير) بالواو.

لم يحرم تسميته به، فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك، فيكون عفواً.
والصواب القول الثالث، وهو أن يفرق بين أن يدعى[1] بالأسماء أو يخبر بها عنه. فإذا دعي لم يدع إلاّ بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى:
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[2].

وأما الإخبار عنه، فهو بحسب الحاجة، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يُتَرْجَم أسماؤه بغير العربية، أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح، لم يكن ذلك محرماً.

وأما الذين منعوه من جهة العقل، فكثير: منهم من يقولون: إن الجوهر ما شغل الحيز، وحَمَل الأعراض، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس كذلك، وهذا قول من نفى ذلك من أهل الكلام[3]. ومنهم من يقول: الجوهر ما إذا وجد كان وجوده لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائدٌ على ذاته، وواجب الوجود وجوده عين ذاته، فلا يكون

---

(١) في أ وك رسمت (يدعا).
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٣) **أهل الكلام**: هم الذين يرون تقرير أصول الدين بالفلسفة العقلية، التي قاعدتها علم المنطق وعلوم الأوائل، وقد نشأ في القرن الثاني من الهجرة، في عهد العباسيين. وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد بإيراد الحجج ودفعه الشُّبه. وسمي علم الكلام: إما لأنه أول مسألة اختلف فيها هي مسألة القرآن: هل هو منزل أو مخلوق، وإما لأن أقوى أسلحة هذا العلم هو الكلام، وصوغ الحجة القاطعة، وإتقان التعبير عن المقاصد. . . إلخ، وهو يشبه علم «اللاهوت» عند النصارى.
انظر: المواقف في علم الكلام ٢٧، لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ـ ٧٥٦هـ عالم الكتب. بيروت. ودائرة معارف وجدي ١٧٣/٨ ـ ١٧٤؛ وعلم الكلام ومدارسه: ٤٨ ـ ٥٦ د. فيصل عون، نشر مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة ١٩٨٢م.

جوهراً، وهذا قول ابن سينا[١] وأمثاله من متأخري المتفلسفة[٢].

وأما قدماء الفلاسفة، كأرسطو وأمثاله، فكانوا يسمونه جوهراً، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية، فإن أرسطو كان قبل المسيح[٣]

---

(١) هو: أبو علي، الرئيس، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب، وله من الذكاء الخارق والذهن الثاقب ما فاق به غيره، ومولده ببخارى، وكان أبوه من دعاة الإسماعيلية، تاب في آخر عمره، واغتسل وتصدق مما معه، ورد المظالم وأعتق مماليك وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه. ثم مات بهمذان سنة ٤٢٨هـ وله ما يقرب من مائة مصنف منها: الشفاء والإشارات والقانون وغيرها.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/٢/١٥٧ ــ ١٦٢، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ــ ٨٦١هـ ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م. وشذرات الذهب، في أخبار من ذهب ٣/٢٣٤ ــ ٢٣٧، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ــ ١٠٨٩هـ، ط ١، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م؛ ولسان الميزان ٢/٢٩١ ــ ٢٩٣، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ ٨٥٢هـ، ط ٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

(٢) من أمثال يعقوب بن إسحاق الكندي، وحنين بن إسحاق، وأحمد بن زيد البلخي وغيرهم وهؤلاء قد سلكوا كلهم طريقة أرسطو في جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيرة، ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين.
انظر: الملل والنحل ٢/١٥٨ ــ ١٥٩.

(٣) **المسيح**: هو نبي الله عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ وقد فسر العلماء ذلك بأحد قولين:
القول الأول: قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية (مشيحا) فعربته العرب، وغيروا لفظه، و(عيسى) أصله (يشوع) كما قالوا ــ في موسى ــ: أصله (موشى) أو (ميشا) بالعبرانية، وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق.
والقول الثاني: أنه مشتق، وعليه الأكثرون، وذكروا في ذلك ثمانية أوجه: إما أنه يمسح بيده ذوي العاهات فيبرأون، أو أنه يمسح الأرض: أي يقطعها، أو أنه يمسح رؤوس اليتامى لله ــ تعالى ــ، أو أنه مَسْحُ من الأوزار والآثام، أو أنه ممسوح =

بأكثر من ثلاثمائة سنة، ولهـذا قال هؤلاء في كتـابهم: نعجب ممن ينكر ذلك، وهو قد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق[1].

وأمـا اللغة: فـإن لفظ الجوهـر ليس من العربيـة العـربـاء، ولهـذا لا يعـرف في كلام العـرب المحض، وإنما هـو معـرب كمـا ذكـر ذلـك الجوهـري[2] وغيـره، قـال الجـوهـري: الجـوهـر معـرب، الـواحــدة

= القدمين، فلم يكن في قدمه خُمْص، أو لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك، يُمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيـرهم، أو لأنه مسحـه جبريـل ــ عليه السـلام ــ بجناحـه وقت ولادته، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. قلت: وهذا الوجه مقـارب جداً للوجه السادس.

انظر: التفسير الكبير ٨/٥٤ المجلد الرابع، للإمام محمد بن عمـر الفخر الـرازي ــ ٦٠٤هـ، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

(١) في ط فقط زيادة: «وقد ذكـرت طائفـة: أن أفلاطـون وغيره كـانـوا ينكـرون تسميتـه جـوهراً، وأن أرسـطو سمـاه جـوهـراً. وممـا (هكـذا) حكى النـزاع بينهم أبـو نصـر الفارابـي».

وهذا النص من رسالة بولص الأنطاكي، وقد تقدم شيء منه. قـال زميلي د. علي بن حسن بن ناصر: قلت: حاولنا البحث جاهدين عن نص الرسالـة، فظفـرنا ببعضهـا، ولم نظفر بها كاملة، وقـد وجدنـاها ضمن مخـطوطات مكتبـة المتحف القبطي، في كنيسة ماري جرجس، بمصر القديمة برقم (٩٥) والرقم العـام (١٢٥٤)... والنص الموجود من رسالة النصراني ينتهي رد الشيخ عليـه بانتهـاء صفحة: ٢٠٢ من الجـزء الثالث من الكتاب المطبوع، ط (المدني).

راجع: الجواب الصحيح، الجزء الأول، المجلد الأول: ٤٦ ــ ٤٧ دراسـة وتحقيق د. علي بن حسن بن نـاصـر، رسـالـة دكتـوراه، مقـدمـة لقسم العقيـدة والمـذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض، للعام الجامعي ١٤٠٥ ــ ١٤٠٦هـ.

(٢) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب الصحاح في اللغة، يكنى أبا نصر، كان من «فاراب» وهي من بلاد الترك وكان من أذكياء العالم، وأحـد أئمة اللسـان والأدب جيد الحفظ والخط، قيل: إنه مات متردياً عندما حاول الطيران بجناحين سنة ٣٩٣هـ بنيسابور.

انظر: لسان الميزان ١/٤٠٠ ــ ٤٠١؛ وشذرات الذهب ٣/١٤٢ ــ ١٤٣.

جوهرة[1]، فهو من العربية المعربة، لا من العربية العرباء، كلفظ سجيل[2]، وإستبرق[3] وأمثال ذلك من الألفاظ المعربة، وهذا اللفظ ليس موجوداً في القرآن[4]. ومع هذا فلما عُرِّب كان معناه في اللغة: هو الجوهر المعروف. وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهراً، فهو أمر اصطلاحي، ليس هو من الأسماء اللغوية ولا العرفية[5] العامة، ولا الأسماء الشرعية.

وقد قيل: إنه مأخوذ من كلام الأوائل، كاليونان[6] وغيرهم، فإنه

---

(١) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري ت: أحمد عبد الغفور عطار، ٢/٦١٩ مادة جهر، باب الراء، فصل الجيم، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م.

(٢) **سجيل**: قال الأزهري: والذي عندنا ــ والله أعلم ــ أنه إذا كان التفسير صحيحاً فهو فارسي أُعْرِب، لأن الله ــ تعالى ــ قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط فقال: ﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين**﴾ [سورة الذاريات: الآية ٣٣]، فقد بَيَّن للعرب ما عَنَى بسجيل.
انظر: لسان العرب ١١/٣٢٧ مادة: سجل لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ــ ٧١١هـ دار صادر، بيروت.

(٣) **إستبرق**: قال الزجاج: هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن، قال: وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية: استقره، ونُقل من العجمية إلى العربية...
انظر: اللسان ١٠/٥، مادة: إستبرق.

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الجيم: ١٨٣ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ.

(٥) في أ وك (العربية) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٦) **اليونان**: قال المسعودي: وقد ذكر ذوو العناية بأخبار المتقدمين أن (يونان) أخو (قحطان)، وأنه من ولد عابر بن شالخ... وأنه خرج في جماعة من ولده وأهله ومن انْضَاف إلى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب، فأقام هناك، وأَنْسل في تلك الديار، واستعجم لسانه، ووازى من كان هنالك في اللغة الأعجمية والروم، فزالت نسبته، وانقطع سببه، وصار منسياً في ديار اليمن، غير معروف عند النسابين منهم. =

يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهراً. وقد قيل: سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله، والقائم بنفسه هو الأصل. وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهراً. وقيل: لأن لفظ الجوهر. فَوْعَل، من الجهر: وهو الظهور والوضوح، والقائم بنفسه يظهر ويُعْرف قبل أن يُعْرَف ما قام به من الأعراض[1].

والناس متفقون على إثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمى جواهر أو أجساماً، وتنازعوا في ثبوت الأعراض القائمة بها، والنزاع عند محققيهم لفظي، فإن عاقلاً لا ينازع أن الجسم يتحرك بعد سكونه. لكن منهم من يقول: حركته ليست زائدة على ذاته. ومنهم من يقول: هي زائدة على ذاته. وهو نظير نزاعهم في الصفات: هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة؟

والتحقيق أن مسمى الإنسان إذا أُطلق دخل فيه صفاته، وإذا مُيِّزَ بين هذا وهذا قيل: الذات والصفات. ومن الناس من يخص بلفظ العَرَض ما لم يكن من الصفات لازماً للموصوف، والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية[2] جوهرية. ومنهم[3] من يخص بالعرض

= واليونان طائفتان: الأغريقيون واللطينيون.
انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر ١/٢٨٥؛ وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء: ٤٤ ـ ٦٥ لحمزة بن الحسن الأصفهاني ـ ٣٦٠هـ دار مكتبة الحياة، بيروت. وتتمة المختصر في أخبار البشر ١/١١٨ لزين الدين عمر بن مظفر بن الوردي ـ ٧٤٩هـ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٩هـ.

(١) راجع لباب العقول للمكلاتي، فقد عقد فيه فصلاً تحدث فيه عن الجوهر وما يدور حوله، من: ٢٧ ـ ٣٥.
(٢) في ك و ط زيادة (أو).
(٣) في ك سَقْطٌ بمقدار ثلاثة أسطر وقد كتب كلمة (ومنهم) في الهامش ولكنه لم يكمل. وقد انتهى السقط عند قوله: (... كل موصوف أعراضاً).

ما لا يبقى[1] عنده زمانين، ويقول: صفات المخلوق[2] تسمى أعراضاً، لأنها لا تقبل زمانين بخلاف صفات الله، فإنها عنده باقية[3] فلا تسمى أعراضاً.

ومن نُظّار المسلمين[4] من يُسمي صفات كل موصوف أعراضاً ــ وإذا[5] كان كذلك فلا يدخل في أسماء الله التي تذكر في أصول الإيمان التي يجب اعتقادها من الأسماء ما هو اصطلاح طائفة من الناس، مع أنه يوهم معنى باطلاً. وهذا الوضع مما اضطرب فيه ــ مع النصارى ــ كثير من الناس.

منهم: من يجعل الصفات أعياناً قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها.

ومنهم: من يجعل الأعيان القائمة بنفسها صفات، والصفات لا تقوم بأنفسها، بل لا بد لها من موصوف تقوم به.

والأولون نوعان:

منهم: من نفى[6] الصفات، وقال: لو أثبتنا له حياة وعلماً وقدرة

---

(١) في ط (ينفي)، وقال في الهامش (هكذا بالأصل) ثم ذكر الصحيح في الهامش.

(٢) في ط (المخلوقات).

(٣) في ط (فإنها ثابتة).

(٤) في ط زيادة (وغيرهم).

هم: أهل النظر، والنظر: علم يُبْحَثُ فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها وتحقق حقائقها وما يعرض لها، ونسب ما بينها: ما يعمها وما يخصها، من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلائقها. وموضوعه: الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية.

انظر: دائرة معارف وجدي، ٦/٦١٩ ــ ٦٢٠.

(٥) في ط (إذا) بدون واو.

(٦) في أ (يقر) والصحيح ما في ك و ط ولذلك اعتمدناه.

لزم أن تكون هذه آلهة، فإن القِدَم أخص وَصْفِهْ، فلو أثبتنا قديماً ليست هي الذات، لزم أن يشارك الذات في أخص وصفها، فتكون ذاتاً أخرى قائمة بنفسها. وهذه طريقة كثير من نفاة الصفات من مبتدعة المسلمين[1]، واليهود والنصارى احتجوا على نفي الصفات بأنا[2] لو أثبتناها لزم أن تكون آلهة.

وقال من قال من المنتسبين إلى الإسلام[3]: أنا لو أثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى، حيث أثبتوا لله الأقانيم[4]، وحجة هؤلاء قائمة على النصارى، وهم النوع الثالث، فإنهم أثبتوا لله صفات جعلوها جوهراً

---

(١) **المبتدعة**: جمع مبتدع، والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحْدِثَ بعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأهواء والأعمال، وكبار الفرق الإسلامية الخارجة عن السنَّة والجماعة سبع: الشيعة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة.
انظر: ترتيب القاموس ١/ ٢٣٠؛ والمواقف ٤١٤.

(٢) في أ (فأنا) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٣) انظر: المواقف ٤١٤.
من أمثال أبـي علي الجبائي وأبـي الهذيل العلاف المعتزليان.
انظر: الفرق بين الفرق ١٨٣ ـ ١٨٤ لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ ٤٢٩هـ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار المعرفة، بيروت، وانظر: الممل والنحل ١/ ٥٠.

(٤) الأقانيم جمع أقنوم، وهي كلمة سريانية معناها: شخص مستقل بذاته عن غيره. وهي نوعان: أقانيم التجسد، وأقانيم التعدد، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن وروح القدس، والعلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم، وتختلف طوائف النصارى في تفسيرها.
انظر: أقانيم النصارى ٩، د. أحمد حجازي السقا، ط ١، نشر دار الأنصار، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م، مصر؛ والملل والنحل ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨؛ ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبـي زهرة: ١٢٠ ـ ١٢١ دار الفكر العربـي، القاهرة ١٩٨٢م.

قائماً بنفسه، وقالوا[١]: إن الله موجود حي ناطق، ثم قالوا: حياته جوهر قائم بنفسه، ونطقه ــ وهو الكلمة ــ جوهر قائم بنفسه، وقالوا في هذا: إنه إلّه من إلّه، وهذا إلّه من إلّه، فأثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها، ثم قالوا: الجميع جوهر[٢]، فكان في كلامهم أمور كثيرة[٣] من الباطل المتناقض. منهم من جعل الصفات جوهراً. ومنهم: من جعل الجواهر المتعددة جوهراً واحداً.

والذين قالوا من نفاة الصفات[٤] المعتزلة والجهمية: إن مَنْ أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى، هو[٥] متوجه على من جعل الصفات جواهر. وهؤلاء هم النصارى يزعمون أن الصفات جواهر آلهة، ثم قال هؤلاء: ولا إلّه إلَّا الله، فلا صفة له. وقالت النصارى: بل الأب جوهر إلّه، والابن جوهر إلّه، وروح القدس جوهر إلّه، ثم قالوا: والجميع إلّه واحد. ونفس تصور هذه الأقوال ــ التصور التام ــ يوجب العلم بفسادها. وأما الرسل وأتباعهم، فنطقوا أن لله علماً وقدرة وغير ذلك من الصفات، وثبتوا[٦] أن الإلّه إلّه[٧] واحد. فإذا قال القائل: عبدت الله، ودعوت الله. فإنما دعا وعبد إلّهاً واحداً، وهو ذات متصفة بصفات الكمال، لم يعبد ذاتاً لا حياة لها ولا علم ولا قدرة، ولا عبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر، بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة

---

(١) في ك و ط (فقالوا).
(٢) في ط زيادة (واحد).
(٣) في أ (كثير) بدون تاء.
(٤) في ك و ط زيادة (من).
(٥) في ط (فهو) بالفاء في أوله.
(٦) في ك و ط (بينوا).
(٧) لم ترد لفظة (إلّه) في ط.

بصفاته ـ سبحانه ـ وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه، ولا زائدة على مسمى اسمه، بل إذا قُدِّر ذات مجردة عن الصفات، فالصفات زائدة على هذه الذات المُقَدَّرة في الذهن المجردة عن الصفات، ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات، فَإنّ تلك لا تَحَقَّقُ[1] إلاَّ بصفاتها، فتقديرها ـ مجردة عن صفاتها ـ تقدير ممتنع.

وقد تنازع المثبتة: هل يقال الصفات عين[2] الذات، أم يقال[3] ليست عين[2] الذات؟ أم يقال: لا يقال هن[4] غير الذات، ولا يقال ليست غير الذات[5]؟ وتنازعوا في مُسَمَّى الغيرين[6]: هل هما ما جاز مفارقة أحدهما الآخر مطلقاً، أو ما جاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر؟ وغاية[7] ذلك منازعات لفظية.

وكثير[8] منهم فَرَّقَ في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض. فجعل بعضها زائداً على الذات، وبعضها ليس بزائد على الذات، وكان الفرق بحسب ما يتصوره، لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه. فإذا

---

(١) في ك (لا وجود تحقق) وفي ط «لا وجود لها».
(٢) في ك و ط (غير) في الموضعين.
(٣) سقطت (يقال) من ك.
(٤) في ك و ط (هي).
(٥) سقطت جملة (ولا يقال ليس غير الذات) من ك.
(٦) في أ (العزيز) والأصوب ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك و ط (وغير).
(٨) في أ (كتبهم) والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

أمكنهم تصور الذات بدون صفة، قالوا: هـذه زائدة، وإلاَّ قـالوا: ليست زائـدة، وهذا يقتضي أنهـا زائدة على مـا تصوروه هم من الـذات، لا أنه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة، وصفة زائدة عليها، بـل ليس إلاَّ الذات المتصفة بتلك الصفات.

ولكن يجب الفرق بين أن يقال: إن الصفات غير الذات، وبين أن يقال: إنها غير الله، فإن اسم (الله) متناول لذاته المتصفة بصفـاته. فـإذا قال القائل: دعوت الله، وعبدت الله، فلم يدع ذاتاً مجردة، ولا صفـات مجـردة، بل دعـا الذات المتصفـة بصفاتهـا، فاسمـه ـ تعالى ـ يتنـاول ذلـك. فليست صفاتـه خارجـة عن مُسَمَّى اسمه، ولا زائـدة على ذلك. وإن قيـل: إنها زائـدة على الذات المجـردة. ومن ظن أنهـا زائـدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تـدخل صفـاتها في مسمـاها، فقـد غَلِط، ولكن في الأذهان والألسنة زلق[1] في هذا الموضع كثيراً.

فإذا قيل: الصفات مغايـرة للذات، لم يكن في هذا من المحـذور ما في قولنا: إن صفات الله غـيـر الله، فإن اسم الله يتناول صفاته.

فإذا قيل: إنها غيره، فُهِمَ من ذلـك أنها مبـاينة لـه، وهذا بـاطل. ولهـذا كان النفـاة[2] إذا نـاظـروا أئمـة المسلمين، كمـا نـاظـروا الإمـام

---

(١) في ط (ولكن الأذهان والألسنة تزلق).

(٢) النفـاة، هم: المعـطلة، من النفي والتعـطيـل: وهـو نفي الصفـات الإلّهيــة عن الله ـ تعالى ـ وإنكار قيامها بذاته، كما تفعل الجهمية والمعتزلة وغيرهم.
انـظر: الكواشف الجلية عن معاني الـواسطيـة ٥٣ و ٥٦ لعبـد العـزيـز بن محمـد السلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

أحمد بن حنبل[١] في محنته المشهورة[٢] فقالوا له: «ما تقول في القرآن وكلام الله، أهو الله، أم غير الله؟» عارضهم بالعلم، وقال لهم: «ما تقولون في علم الله، أهو الله، أم غير الله؟»[٣]. وأجاب ـ أيضاً ـ

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل: هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ له كتاب المسند وفيه ٣٠٠٠٠ حديثاً بالمكرر وكتاب الزهد ورسالة الصلاة، وتوفي سنة ٢٤١هـ وله ٧٧ سنة.

انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ ـ ٣٥٨ للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ ٧٤٨هـ أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م؛ ووفيات الأعيان ١/٦٣ ـ ٦٥؛ والرسالة المستطرفة ١٤ ـ ١٦ لمحمد بن جعفر الكتاني ـ ٣٤٥هـ، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ.

(٢) وذلك عندما حاول الخليفة العباسي المأمون حمل الناس على القول بعقيدة خلق القرآن، فتصدى الإمام أحمد لإنكار ذلك، فاعتقل وأرسل هو وزميله: محمد بن نوح إلى المأمون في الرقة، فمات المأمون، وتولى المعتصم فأبقاه في الحبس، وأمر بضربه، وكان يشرف بنفسه على ذلك، ثم أطلقه ورجع إلى بيته بعد ثمانية وعشرين شهراً من الاعتقال والتعذيب، ثم مات المعتصم، وتولى الواثق، فأمره بنفي نفسه، فاختفى حتى مات الواثق، ثم تولى المتوكل فانكشفت الغمة وظهرت السنة.

انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ٣٠٨ ـ ٣٧٩ للحافظ عبد الرحمن بن الجوزي ـ ٥٩٧هـ نشر مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ.

(٣) راجعت مظان وجود هذا الأثر في كتاب مسائل الإمام أحمد لأبي داود السجستاني ـ ٢٧٥هـ، نشر دار المعرفة، بيروت، ورسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية بالرياض.

وترجمة الإمام أحمد في: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧ ـ ٣٥٨؛ فلم أجد ذلك النص! وإنما هو بلفظ آخر مختلف المعنى في رسالة الرد على الجهمية والزنادقة ٣٢ ـ ٣٣؛ وانظر: الحَيْدة ٣١ ـ ٤٠ للإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني =

بأن الرسل[1] لم تنطق بواحد من الأمرين، فلا حجة لهم[2] في كلام الله ورسوله، فإن الله لم يقل لكلامه: هو أنا، ولا قال: إنه غيري! حتى يقول القائل. إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه، فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه!.

فإن كان الاحتجاج بالسمع. فلا حجة فيه، وإن كان الاحتجاج بالعقل. فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات. فإن أرادَ المريد بقوله: هل كلامه وعلمه غيره؟ أنه مباين له. فليس هو غيراً له[3] بهذا الاعتبار. وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم. فهو غير له بهذا الاعتبار. وإذا كان اللفظ مجملاً لم يَجُزْ إطلاقه على الوجه الذي يُفهِم المعنى الفاسد. وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات، فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم، فإنهم قالوا: إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول.

ولفظ (العقل) عندهم وإن كانوا يقولون: هو جوهر قائم بنفسه، فقد صرحوا أيضاً بأنه ــ نفسه ــ علمه[4]، حتى صرحوا بأن رب العالمين علم، كما صرح بذلك ابن رشد[5] وغيره، ونقلوه عن أرسطو،

= المكي ــ ٢٤٠هـ، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء السعودية. ومختصر الفتاوي المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥٨٢ ــ ٥٨٣ للشيخ محمد بن علي الحنبلي البعلي ــ ٧٧٧هـ، ط ١، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان، لاهور ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

(١) في ك و ط (المرسلين).
(٢) في ك و ط (لكم).
(٣) في المطبوعة (إلّه) وهو خطأ شنيع.
(٤) في ك و ط (علم).
(٥) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رُشْد القرطبي المالكي قاضي الجماعة بقرطبة =

وأن العقول العشرة[1] كل منها علم، فهو علم وعالم ومعلوم. بل قالوا: عقل وعاقل ومعقول، وعاشق ومعشوق وعشق، ولذيذ وملتذ ولذة، فجعلوه ــ نفسه ــ لذةً وعقلاً وعشقاً، وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ، وجعلوا نفس العلم نفس العشق، ونفس اللذة. فجعلوه ــ نفسه ــ صفات، وجعلوه ذاتاً قائمة بنفسها، وجعلوا كل صفة هي الأخرى، وهذا مما يُعْلَمُ ــ بصريح العقل ــ بطلانه.

ومنهم من لا يصرح بأنه ــ نفسه ــ علم، فإنه يقول: هو عاقل ومعقول وعقل. يقول: إنه يعلم نفسه بلا علم عَلِمَهُ[2]، بل هو العالم، وهو المعلوم، وهو العلم. وحقيقة كلامهم تعود[3] إلى قول أولئك، فإنهم إذا قالوا: إن العلم الذي يعلم به ذاته هو العالم، وهو المعلوم. فقد جعلوا نفس العلم نفس العالم، ونفس العلم نفس المعلوم، وهي[4] حقيقة قول أولئك، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[5].

= ومفتيها، كان من أوعية العلم وله تصانيف مشهورة منها كتاب: المقدمات، وكتاب: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، وكتاب: اختصار مشكل الآثار للطحاوي، وكان مولده سنة ٤٥٠هـ ومات سنة ٥٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٥٠١ ــ ٥٠٢؛ وشذرات الذهب ٤/٦٢؛ ومعجم المؤلفين ٨/٢٢٨ لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١) **العقول العشرة**: مصطلحات منطقية هي الجوهر والكم والإضافة والكيف والأين ومتى والوضع والملك والفعل والانفعال.
انظر: الملل والنحل ٢/١٦٩ ــ ١٧١.

(٢) لم ترد (علمه) في ك ولا ط.

(٣) في ط (يعود).

(٤) في ط (وهذا هو).

(٥) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٢٧٦ ــ ٢٧٧ جمع وترتيب عبد الرحمن بن =

[1]الوجه الثاني: أن يقال لهم: أنتم تقولون: إنكم متبعون للكتب الإلَهية، وإذا كان كذلك لم ينبغِ[2] لكم[3] في شريعة إيمانكم من الأسماء إلّا ما جاءت به الأنبياء ــ عليهم السلام ــ .

والأنبياء لم يسم الله[4] أحد منهم جوهراً، وإنما سماه بذلك أرسطو وأمثاله، وهؤلاء كانوا مشركين[5] يعبدون الأصنام، ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة، ولا يقولون: إنه خالق السموات والأرض، ولا إنه بكل شيء عليم، ولا على كل شيء قدير، وإنما كانوا يعبدون الكواكب العُلوية، والأصنام السُفلية، ويعبدون الشياطين، ويؤمنون بالجبت والطاغوت[6]، وإنما صاروا مؤمنين، لما دخل إليهم دين المسيح. صلوات الله عليه وسلامه بعد الإسكندر المقدوني

محمد بن قاسم ١٣٩٢هـ وساعده ابنه محمد: عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض، تصوير الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٨هـ.

وانظر: نقض المنطق ٣٢ للشيخ المؤلف، ت: محمد حمزة وسليمان الصنيع، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٠هـ؛ والملل والنحل ١/٤٩ ــ ٥٠؛ ومقالات الإسلاميين؛ واختلاف المصلين: ٤٨٤ ــ ٤٨٥ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ، نشر هلموت ريتر، النشرات الإسلامية، ط ٣.

(١) في ك زيادة (يتلوه).

(٢) في أ و ك (ينبغي) والصواب حذف الياء كما في ط.

(٣) في ك و ط زيادة: (أن تدخلوا).

(٤) هكذا في ط وفي أ و ك (يسميه أحد).

(٥) انظر: تعريف الشرك ص ٤٩، هـ ٦.

(٦) **الجبت**: اسم الصنم ثم صار مستعملاً لكل باطل. **والطاغوت**: كل ما عبد من دون الله: من حجر أو بشر أو شيطان. وقيل: هو اسم للشيطان.

انظر: صفوة التفاسير ٥/٢٧٩ لمحمد علي الصابوني، ط ٤، دار القرآن الكريم، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

ـ صاحب أرسطو ـ بنحو ثلاثمائة سنة[1]. ويقال: إنه آخر ملوكهم كان (بطليموس)[2]. وكانوا يسمون الملك من ملوكهم (بطليموس)، كما يسمون[3] القبط ملكها (فرعون) والحبشة ملكها (النجاشي)، والفرس (كسرى)[4] ونحو ذلك. وحينئذٍ فعدولكم عن طريقة الأنبياء والمرسلين، إلى طريقة الكفار[5] والمشركين المعطلين من الضلال المبين.

وفي كتبهم: أن بولص لمّا صار إلى (أيثينية)[6] دار الفلاسفة، وفيها دار الأصنام، وجد مكتوباً على باب دار العلماء[7] الإلٰه الخفي

---

(١) في أ سقطت السين من (سنة) فصارت (نه).

(٢) سقطت جملة (ويقال إنه... بطليموس) من ط وشطبت في ك.

(٣) في ط (تسمي).

(٤) الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين ٦٣٠هـ، ١/١٦٦، ط ٤، نشر دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م. ومروج الذهب ومعادن الجوهر ١/٣٦٦؛ والبداية والنهاية ٣/٧٨.

(٥) الكفار: هم الجاحدون والمنكرون، وأصل الكفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه سمى الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته، قال الشاعر:

.... في ليلة كفر النجوم غمامها

والكفر على أربعة أضرب:

١ ـ كفر إنكار: وهو أن لا يعرف الله أصلاً، ككفر فرعون.

٢ ـ كفر جحود: وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس.

٣ ـ كفر عناد: وهو أن يعرف الله بقلبه، يقر بلسانه، ولا يدين به، ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب.

٤ ـ كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه.

انظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل بذيل صحائف تفسير البيضاوي ١/٤٩ ـ ٥٠، دار الطباعة العامرة بمصر عام ١٣٢٤هـ نصوير دار أحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) في ط (أثينة).

(٧) في ك و ط زيادة: (والأصنام مكتوباً).

الذي لا يُعْرَف، هو الذي خلق العالم»[1].

فكانوا لا يعرفون رب العالمين، فكيف يُعْدل عن طريقة رسل الله وأنبيائه كموسى، وداود، والمسيح، إلى طريقة هؤلاء الكفار المشركين المعطلين؟!.

ولكن النصارى ركّبوا ديناً من دينين: من دين الأنبياء الموحدين، ودين المشركين، فصار في دينهم قسط مما جاءت به الأنبياء، وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم، كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم، وهي ألفاظ لا توجد في[2] كلام الأنبياء، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة[3] بدل الأصنام المجسدة، والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب، بدل الصلاة لها[4]، والصيام في وقت الربيع، ليجمعوا بين الدين الشرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك.

الوجه الثالث: قولهم: إن الذي يشغل حيزاً ويقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف، فأما[5] الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء. فيقال: الكلام في

---

(١) انظر: الإصحاح السابع عشر: ١٦ ــ ٣٤؛ وسفر أعمال الرسل، العهد الجديد ١٨١.

(٢) في ك و ط زيادة: (شيء من).

(٣) **الأصنام المرقومة**: من رقمت الثوب رقماً، من باب قتل: وَشَيْتُه فهو مرقوم. أي الرسوم المصورة (وهو ما يعرف الآن بالفنون التشكيلية).
انظر: المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي: ٢٣٦، سأشير إليه فيما بعد كلمة: المصباح. تأليف العلامة: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية، بيروت.

(٤) في أ و ط (إليها).

(٥) في ك (فما).

الجواهر. هل هي منقسمة إلى متحيز وغير متحيز، أو كلها متحيزة[1]؟! متصل بالكلام على نفس الإنسان الناطقة[2].

فنقول: إن المسلمين من أعظم الناس معرفة بوجود الملائكة[3]، والجن[4]، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة[5]، وكذلك سلف الأمة وأئمتها يعرفون وجود النفس التي هي روح الإنسان التي تفارق بدنه حين الموت، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، وإن كان كثير من أهل الكلام يزعم أنها عَرَض من

---

(١) في ط (متحيز).

(٢) هذه هي تسمية الفلاسفة لنفس الإنسان، والمراد عندهم بالنطق: العقل، لأن النطق أخص ثمرات العقل فينسب إليه، وله قوتان: قوة عالمة وقوة عاملة.
انظر: لباب العقول ١٣٠.

(٣) في ط زيادة: (وجود).
الملائكة هم الملأ الأعلى، وهم عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله ــ عز وجل ــ.
انظر: العقائد الإسلامية ١٠٩ لسيد سابق، ط ٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

(٤) وهم نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ومخلوقون في الأصل من نار، قبل آدم ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ويقال: كان قبلهم في الأرض (الحِن ــ بالحاء ــ والبِن ــ بالياء) فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وسكنوها بعدهم، وهم مستترون عن الحواس لا يُرون على طبيعتهم، ولهم قدرة على التشكل.
انظر: البداية والنهاية ١/٥٥؛ والعقائد الإسلامية ١٢٩.

(٥) **الأمة**: أتباع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ. المصباح ٢٣.

أعـراض البدن، أو جـزء من أجزائـه، فهـذا قـول محـدث في الإسـلام لم يـذهب إليه أحـد من السلف[1] والأئمـة، وإن كـان محكيـاً عن أكثـر المتكلمين، فليس الذين قالـوا هذا من سلف الأمـة ولا أئمتها، بـل هم من أهل الكلام المحـدث المذمـوم عند السلف. وأئمـة الأمة وكثيـر من المتفلسفـة الداخلين في أهـل الملل يقولـون: إن الـذوات التي تسميهـا الأنبياء الملائكة، هي التي تسميها المتفلسفة المشاؤون عقولاً، أو عقولاً ونفوساً، وهذا[2] غلط عظيم، كما قد بسط في موضعه[3].

فإن العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لا حقيقـة لها عنـد الرسـل وأتبـاعهم، بـل ولا حقيقـة لهـا في المعقـول[4] الصـريـح، بـل حقيقـة كـلامهم[5] أنها أعـراض قائمـة بنفسها[6]. وقـد[7] صرحـوا بـأن واجب الوجود ـ نفسه ـ هو عِلْم، وجعلوا نفس العلم هـو نفس العالـم، ونفس تصـور هـذا القـول يكفي في العلم بفسـاده، كمـا أن هؤلاء المتفلسفـة

(١) السلف، هم: المهاجرون والأنصار، والذين شهدوا بدراً وأحداً، غير (قِـزْمَان) وكـل من شهـد بيعة الـرضوان بـالحديبيـة، والعشرة المشهـود لهم بالجنـة، وجميع أزواج رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وكـل أهـل البيت ـ دون من مـال منهم إلى الاعتزال أو الرفض، ومن اعتدى ـ وكذلك أعلام التابعين للصحابة بإحسان.
انظر: الفرق بين الفرق ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) سقطت: وهذا من أ. وقد زدناها من ك و ط.

(٣) راجـع ـ إن شئت ـ كتـاب: نقض المنـطق ٩٩ ـ ١٠٧؛ ومجمـوع فتـاوي شيـخ الإسلام ٩/١٠٤ ـ ١٠٥ و ٢٧١ ـ ٢٧٣.

(٤) في ط (عند العقل).

(٥) سقطت جملة (بل حقيقة كلامهم) من ك و ط.

(٦) في ط (بأنفسها).

(٧) سقطت الواو من أ وك وقد زدناها من ط.

ــ أتباع أرسطو ــ لا يعرفون الملائكة، بل ولا الجن، وإنما علمهم معرفة[1] الأجسام الطبيعية، وتكلموا في الإلهيات بكلام قليل نزر[2]. باطله أكثر من حقه، كما قد بسط في موضع آخر.

وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أبدع ما دونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي الأمر إلى العقل العاشر، فهو مبدع ما تحت فلك القمر. وهذا[3] كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل. فإن مضمون هذا، أن ملكاً من الملائكة خلق كل ما تحت السماء، وملكاً فوقه خلق كل ما سوى الله ــ سبحانه ــ وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى[4] ــ قال تعالى ــ :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾[5].

فأخبر أن الملائكة لا تسبقه بالقول، ولا تعمل إلَّا بأمره، فضلاً عن أن يكون ملك[6] خلق كل شيء.

---

(١) في ك (تعرفه) وفي ط «بمعرفة».
(٢) في أ (قدر).
نزر: من نزر الشيء نزارة ونزورا: بمعنى قليل.
انظر: المصباح ٦٠٠.
(٣) في أ (كذا) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.
(٤) في ط (النصاى) بإسقاط الراء.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ ــ ٢٨.
(٦) في ط زيادة: (هو).

وهؤلاء يقولون: إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل، إنما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الأنبياء[1]. والله ـ تعالى ـ عند هؤلاء ـ لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا محمداً ولا غيرهم من الرسل، ولا يعرف الجزئيات، بل عند أرسطوا وأتباعه: أنه لا يعلم شيئاً من الأشياء، بل ولا خلق عندهم شيئاً، بل ولا يقدر عندهم على خلق شيء، فضلاً عن أن يكون على كل شيء قدير، وأن يكون[2] أحاط بكل شيء علماً.

وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية[3] وأثينية[4] وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان، وكان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني، وكان هذا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو[5] ثلاثمائة سنة، ولم يكن وزيراً لذي القرنين[6] الذي بنى سد يأجوج ومأجوج[7]،

---

(١) انظر: الملل والنحل ٢/٥٩.

(٢) في ك و ط زيادة: (قد).

(٣) مقدونية: بر القسطنطينية. مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٧.

(٤) في ط (أثينة).

(٥) في ك (نحو)؛ في ط زيادة: (كان).

(٦) ذو القرنين: هو عبد الله بن الضحاك بن معد، وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان، وينتهي نسبه إلى قحطان، وأمه رومية، وكان قبل المسيح بنحو ٢٣٠٠ سنة، وهو المذكور في سورة الكهف، وهو ملك من الملوك العادلين، وقيل: كان نبياً، وقيل: كان رسولاً، وكان الخضر ـ عليه السلام ـ وزيره، وقد أسلم على يد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وسمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض، وهو ذو القرنين الأول تمييزاً له عن ذي القرنين الثاني «اسكندر بن فيليبس» البداية والنهاية ٢/١٠٣ ـ ١٠٦؛ وإغاثة اللهفان ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٧) قيل: هما ابنا يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ وأنهم أقارب للترك وهما قبيلتان من =

وعـامة[1] علم القـوم علم الطبيعيـات والحسـابيـات، وأمـا العلم الإلٓهي ــ وهو الذي يسمونه علم ما بعد الـطبيعة، وهـو منتهى فلسفتهم ــ فإنمـا تكلمـوا[2] فيه على[3] أمـور كلية، قسمـوا الـوجـود إلى جـوهـر وتسعـة أعراض، يجمعها بيتان:

زيـد الطويـل الأسـود بن مـالـك في داره بـالأمس كـان متكـى
في يـده سيف نضـاه[4] فـانتضى فـهـذه عـشـر مـقـولات سـوا

وهي: الجـوهـر، والكم، والكيف، والأين، ومتى، والإضـافـة، والملك، والوضع، وأن يفعل، وأن ينفعل.

وقد نازعه أتباعـه وغيرهم في هـذا الحصر[5] وقـالوا: إنـه لا دليل

= ذرية آدم ــ بلا شك ــ وعلى أشكال الآدميين وصفاتهم. وقيل. إنهم يسمون (تركـا) ــ أيضـاً ــ لأنهم تركـوا من وراء السد في هـذه الجهـة لأنهم كـان فيهم بغي وفسـاد وجراءة. وأما السد فإنه منقطع أرض الترك من المشرق، وقد بعث الخليفة العبـاسي الواثق ٢٣٢هـ بعض أمرائه ومعهم سلّام التـرجمان ــ الـذي قيل: إنـه يعرف أربعين لساناً ــ ووجه معه جيشاً ــ سرية ــ لينظروا السد وينعتوه لـه إذا رجعوا، فغـابوا أكثـر من سنتين ثم رجعـوا وقد شـاهدوا أهـوالاً وعجائب ووصفـوا له السـد وصفاً دقيقاً.

انـظر: معجم البلدان ١٩٧/٣ لأبـي عبد الله يـاقوت بن عبـد الله الحمـوي الـرومي البغـدادي ــ ٦٢٦هـ دار صـادر، بيـروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، والبـدايـة والنهـايـة ١٠٩/٢ ــ ١١٠، ومراصد الاطلاع ٦٩٩/٢.

(١) في ك زيادة: (كان).
(٢) في أ و ك (فإما يتكلموا) والصواب ما أثبتناه من ط.
(٣) سقطت (عـلى) من ك.
(٤) **نضاه**: سله. مختار الصحاح: ٦٦٥.
(٥) في أ (الخصر) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

عليه. ومنهم من جعلها ثلاثة. ومنهم من قال غير ذلك، وأثبت العلة الأولى بناء على حركة الفلك، وأنه يتحرك حركة شوقية[1]، فلا بد له مما يتشبه به. فالعلة الأولى هي غاية[2] لحاجة الفلك إليها من جهة أنه متحرك[3] ليتشبه[4] بها كحركة المؤتم بإمامه، والمقتدي بقدوته، وقد يقولون: كتحريك المعشوق لعاشقه.

وكلام أرسطو في ذلك موجود، وقد نَقَلْتُه بألفاظه وتكلمت عليه في غير هذا الموضع[5]، وقد ذكر ذلك في مقالة[6] اللام[7] وهي آخر فلسفته، ومنتهى حكمته.

وفي كتاب أثولوجيا[8] «ولم يثبت أن الرب مبدع[9] لفلك،

---

(١) في أ وك (سوقية) والأصوب ما أثبتناه من ط.
انظر: الملل والنحل ٢/١٢٥.
(٢) في ط (علة).
(٣) في ك و ط (يتحرك).
(٤) في أ (النسبة) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩/٢٩٦ ـ ٣٢١ للشيخ المؤلف، ت: د. محمد رشاد سالم، ط ١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.
(٦) في ك (مقامة).
(٧) هذه المقالة جزء من كتاب لأرسطو معروف باسم (ما بعد الطبيعة).
انظر: درء تعارض العل والنقل: ٩/٤٠٦.
(٨) وهو أحد كتب أرسطو في الطبيعيات، وقد فسره الكندي. والفارابي يذكر هذا الكتاب لأرسطو، ويسميه كتاب الربوبية.
انظر: الفهرست: ٣٥٢؛ وتاريخ الفلسفة في الإسلام: ٢٠٠ هامش ٢، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط ٥، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
(٩) في أ و ك (مبدعاً) بالنصب، والصحيح ما أثبتناه من ط.

و(١)علة فاعلة، ولا يسمى(٢) واجب الوجود».

ولا قسم(٣) الموجودات إلى واجب قديم وممكن قديم. بل ذلك فعل المتأخرين، كابن سينا وأمثاله، وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع(٤).

والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا إصلاح كلامه وتقريبه إلى العقول، لعله يوافق(٥) ما علم بصريح المعقول وصحيح المنقول. فتكلم عليه ثابت بن قُرَّة(٦) وبين أن الفلك(٧) لا قوام له إلَّا بطبيعته(٨) ولا قوام لطبيعته إلَّا بحركته(٩)، ولا قوام لحركته الإرادية إلَّا بمحرك لها.

وزعموا أن المحرك يجب أن لا يكون متحركاً، وقرروا ذلك بأدلة

---

(١) في ط زيادة (ولا).
(٢) في ط (سماه).
(٣) هكذا في جميع النسخ (ولا قسم) والأولى أن تكون العبارة: (ولم يقسم).
(٤) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٢٧٧ ـ ٢٧٩.
(٥) في ط (لعله توافق).
(٦) هو أبو الحسن، الحاسب الحكيم الحراني، ولد سنة ٢٢١هـ وكان صابيء النحلة، اشتغل بعلوم الأوائل والطب، وكان الغالب عليه الفلسفة، وصله محمد بن موسى، بالخليفة في بغداد، فأدخله في جملة منجمين، ومات سنة ٢٨٨هـ.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/٣١٣ ـ ٣١٤ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ ٦٨١هـ ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، والبداية والنهاية ١١/٨٥؛ وشذرات الذهب ٢/١٩٦ ـ ١٩٧.
(٧) في ط زيادة (إذا كان).
(٨) في ط (بطبيعة).
(٩) في أ (تحركه) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

فاسدة، قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع[1]، فقالوا: إنه إنما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به، وإن لم يكن هو القادر على تحريك الفلك، بل ولا شعور منه بالفلك. وعبر عن ذلك ابن[2] رشد الفيلسوف وأمثاله، فقالوا: إنه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لأمر الله. مع أنه عندهم لا إرادة له ولا علم له بما يأمر به، بل كونه آمراً، وهو معنى كون الفلك يتشبه به، كما يأمر المعشوق عاشقه أن يحبه، وإن كان المعشوق لا شعور له ولا إرادة في أن يحبه ذلك.

ثم[3] لو قدر أنه هو الآمر، فإنما يصدر بسبب أمره، مجرد حركة الفلك، ولهذا شبهوا ذلك بأمر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه، فجعلوا الحركات معلولة[4] بهذا الاعتبار، لم يثبتوا أنه أبدع شيئاً من الأفلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس، لا أبدع أعيانها، ولا صفاتها، ولا أفعالها، بل غايته أن يكون آمراً لها بالحركة كأمر الملك لعسكره مع أنه عندهم ليس آمراً بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات. بل غاية ما يزعم أرسطو وأتباعه، أن للفلك حاجة إليه مِن جهة تشبهه به، وأما كونه هو علية موجبة للفلك. فإنما[5] يقول هذا من يقوله من متأخريهم، كابن سينا.

وأما الفارابي[6]، فهو الذي وسع القول في هذا الباب،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٩:٢٧٢ وما بعدها.

(٢) سقطت ألف (ابن) في أ والصحيح إثباتها.

(٣) في أ (ما) والصحيح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٤) سقطت (معلولة) من ك.

(٥) في ك و ط (وإنما).

(٦) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان، التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم مثل: كتاب مراتب العلوم =

وقسم[1] الوجود[2] إلى واجب وممكن، وجعل الأفلاك ممكنـة واجبة[3] بـه، وفي ذلـك من الفساد والاضطراب ما قد بسط في غير هذا الموضع. وبنى ابن سينا الكلام في نفي صفاته، على كونه واجب الوجود.

وأما الفارابـي في كتاب «آراء[4] المدينـة الفاضلة»[5] وغيـر ذلك، فاعتمد على كونه أول، وكذا[6] أرسطو في كتاب «أثولوجيا» اعتمـد على كـونـه هـو الأول، وشبهـه[7] بـالأول في العـدد، وعلى ذلـك بنـوا نفي

= وكتاب تفسير قطعة من كتاب الأخلاق لأرسطو وتفسير كتب أخرى لأرسطو، وهو أكبر فـلاسفة المسلمين وقـد أتقن اللغة العـربية، كـان مولـده سنة ٢٥٩هـ، ووفـاته سنـة ٣٩٩هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٥/١٥٣ ـ ١٥٧. والكامل في التاريـخ ٦: ٣٣٧. والفهرست: ٣٦٨، والبداية والنهاية ١١: ٢٢٤.

(١) هكذا في ط، وفي أ و ك (قسموا) والأصوب ما في ط ولهذا اعتمدناه.

(٢) في ك و ط (الموجود).

(٣) في ك و ط (واجبة ممكنة).

(٤) في ط زيادة (أهل).

(٥) وجدت لهذا الكتاب طبعتين متقاربتين، الأولى سنـة ١٣٢٣هـ بمطبعـة النيل بمصـر، والثانية سنة ١٣٦٨هـ، مكتبة الحسين، ومطبعة حجازي بالقـاهرة، وتقـع كل منهمـا في ١٢٧ صفحة من القطع الصغير، وقد قام د. عبد الواحد وافي بـدراسة للفـارابـي ولـرسالتـه هذه في كتاب أسماه: المدينـة الفاضلة للفـارابـي، نشر دار عـالم الكتب بالقاهرة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وذكر ص: ٢٠ أن الفارابـي قصد من كتـابه هـذا إلى تكوين مجتمع فاضل: «يوتوبيا Utopia» من نوع المجتمعات التي فكر فيها مِنْ قبله طائفة من فلاسفة اليونان، كجمهورية أفلاطون وبنشاي وافهيمير ومدينة الشمس لجمبـول، وقد أراد ـ مثلهم ـ أن ينشىء مـدينة وفقـاً للمبادىء الـرَّئيسـة التي تقـوم عليهـا فلسفتـه وآراؤه في السعادة والإخلاص والكون وخالقه ـ سبحانه ـ وما وراء الطبيعة.

(٦) في ك سقطت ألف (كذا)، وفي ط (كذلك).

(٧) في ك (لشبهه) وفي ط (شبيهه).

الصفات، وإنما[1] لو أثبتناها لخرج[2] عن كونه أول، مع أنهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه، كما لم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه، بل تكلموا بألفاظ مجملة متشابهة، تحتمل حقاً وباطلاً، فإنه معلوم أن الله واجب الوجود بذاته، موجود بنفسه، وأنه الأول[3] الذي ليس قبله شيء، وهو القديم الأزلي الذي لم يزل ولا يزال[4]. وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنى أنه لا يتعلق بغيره، فلا يكون له صفة. وكونه أول، بمعنى أول الأعداد الذي لا تعدد فيه. فمعلوم[5] أن الواحد والأول المجرد عن كل شيء إنما يُقَدَّر في الأذهان لا في الأعيان.

فالذهن يقدر واحداً[6] واثنين وثلاثة وأربعة، إلى سائر الأعداد المجردة، والعدد المجرد عن المعدود إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان. فأما الموجود في الخارج فإنما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها. والأول منها هو ذات متصفة بصفاتها، لا توجد[7] في الأعيان، ليس[8] بذات قائمة بنفسها، ولا صفة قائمة بغيرها، بل

---

(١) في ك و ط (أنا).

(٢) هكذا في ك و ط، وأما في أ (فخرج) والأصوب ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٣) في أ (الأزل) وفي ك (الأزلي) وما أثبتناه من ط هو الأولَى.

(٤) قول الشيخ المؤلف: (وهو القديم...) هو تفسير لاسمه عز وجل (الأول) فلفظ (القديم) من الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع. وتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها إلا أن يبين أنه يوافق الشرع، وهذا مثل لفظ (الجسم) و (الحيز) و (الجهة) و (الجوهر) و (العرض).
انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١/٢٤١ ــ ٢٤٢.

(٥) في ط (ومعلوم).

(٦) في أ و ك (واحد) بغير بالنصب والصحيح ما أثبتناه من ط.

(٧) في ط (يوجد) بالياء.

(٨) في ك (ليست) وفي ط (شيء ليس).

لا توجد[1] ذات مجردة عن صفاتها وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع[2]. ولكن نبهنا هنا عليها، لأن هؤلاء القوم[3] قالوا: إنا نعجب من هؤلاء القوم، أنهم ذو فضل وأدب ومعرفة، ومن هذا صورته، وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق، فما حقهم ينكرون علينا هذا.

فكل[4] كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة، وأهل المنطق، وأن من قرأ كتبهم عرف بها من الحق في الإلّهيات[5] ما لا يعرفه سائر أهل الملل. وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل وبما يعرف بالعقل المحض.

أما الأول: فلأن المسيح وأتباعه كالحواريين[6] ومن اتبعهم ليس

---

(١) في ك و ط (يوجد) بالياء.

(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٥: ٢٧٥ ــ ٢٧٦.

(٣) هم النصارى: أهل قبرص الذين أرسلوا الرسالة بواسطة بولص الأنطاكي. المشار إليها سابقاً.

(٤) في ك (فكلام) وفي ط (فكان كلام).

(٥) في ك (الأذهان).

(٦) أصل هذه الكلمة من الخلوص والنقاء وشدة البياض، وقد صار بِعُرْف الاستعمال دليلاً على خواص الرجل وبطانته، قال القفال: «ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الأثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين (غسالي الثياب)»، والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى ــ عليه السلام ــ وأعوانه والمخلصين في محبته وطاعته وخدمته، ويعرفون عند النصارى بـ «التلاميذ» وقد نفى ابن حزم أن يكون مثل (باطرة) و (لوقا) و (بولس) من الحواريين.

انظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب م ٤، ٨: ٦٩ ــ ٧٠، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ــ ٦٠٤هـ ط ١، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م، وقاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٢٢٢. والفصل في الملل والأهواء والنحل ٢: ٨٩ ــ ٩١ لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري ــ ٤٥٦هـ ت: د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة، ط ١ شركة مكتبات عكاظ، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

فيهم من عَظَّم هؤلاء الفلاسفة، ولا استعان بهم، ولا التفت إليهم[1]، بل وهم عندهم من أئمة الكفر، ورؤوس الضلال. وكذلك موسى وأتباعه، وكذلك محمد وأتباعه. فليس[2] في رسل الله وأنبيائه ولا في أتباعهم من يعظمهم، ولا يستعين بكلامهم، بل الرسل وأتباعهم متفقون على تضليلهم وتجهيلهم.

وأما العقليات: فإنما يعظم كلام هؤلاء الفلاسفة في العلوم الكلية والإلَهية[3] من هو من أجهل الناس بالمعارف الإلَهية والعلوم الكلية، إذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال، ما لا يحيط به إلا ذو الجلال. وإنما كان القوم يعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات، كالهندسة وبعض الهيئة وشيئاً من علوم الأخلاق والسياسات[4] * المدنية والمنزلية، التي هي جزء مما جاءت به الرسل. واليهود والنصارى ـ بعد النسخ والتبديل ـ أعْلَمُ من هؤلاء بالعلوم الإلَهية والأخلاق والسياسيات *[5] فضلاً عمّا وراء ذلك.

فاعتضاد هؤلاء النصارى هؤلاء[6] المتفلسفة، يدل[7] على عظيم جهلهم بالشرعيات والعقليات، وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع متعددة، إذ كان الرد على الفلاسفة لا يختص به النصارى، بل الكلام في ذلك معهم ومع من يعظمهم من أهل الملل عموماً.

---

(١) سقطت (ولا التفت إليهم) من ك.

(٢) في ك و ط (وليس) بالواو.

(٣) سقطت لام (الإلَهية) من أ، وقد صححناها من ك و ط.

(٤) في ط (السياسة).

(٥) ما بين النجمتين سقط من ك، وهو في أ بالهامش.

(٦) في ط (بهؤلاء).

(٧) سقطت (يدل) من ك.

ومعلوم أن المنتسبين إلى الإسلام من أتباع الفلاسفة، كالفارابي، وابن سينا، والسهروردي المقتول[1]، وابن رشد الحفيد[2] إمامهم[3]، أحذق بهم وأعلم من النصارى.

وكتب الفلاسفة التي صارت إلى الإسلام[4]، من الطب، والحساب، والمنطق وغير ذلك، هذبها المنتسبون إلى الإسلام، فجاء كلامهم فيها خيراً من كلام أولئك اليونان[5].

والنصارى واليهود إنما يعتمدون في هذه العلوم على ما وصفه هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام، مع أن هؤلاء عند علماء المسلمين جهال

---

(١) هو أبو الفتح، شهاب الدين، يحيى بن حَبَشي بن أَمِيرَك، الحكيم، كان من علماء عصره، قرأ الحكمة وأصول الفقه، وجمع الفنون الفلسفية، وبرع في أصول الفقه، وكان شافعي المذهب، اتهم بانحلال العقيدة والتعطيل فقتل تجويعاً باختياره في قلعة حلب سنة ٥٨٧هـ.

انظر: لسان الميزان ٣: ١٥٦، ووفيات الأعيان ٦: ٢٦٨ ـ ٢٧٤.

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، القرطبي المالكي، أدرك من حياة جده شهراً سنة ٥٢٠هـ، وتفقه وبرع، وسمع الحديث واتقن الطب، وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار مضرب المثل فيها، توفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ.

انظر: شذرات الذهب ٤: ٣٢٠، والوافي بالوفيات ٢: ١١٤ ـ ١١٥. الخليل بن أيبك الصفدي ـ ٧٦٤هـ. النشرات الإسلامية، هيلموت ريتر ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.

(٣) في ك و ط (أمثالهم).

(٤) في ك و ط (المسلمين).

(٥) أي: فلاسفة اليونان كأرسطو وغيره، واليونان بلد أوروبي يقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، غرب تركيا وشمال البحر الأبيض المتوسط، واليونانيون من الجنس السلافي.

انظر: دائرة معارف وجدي ١٠: ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧.

ضلال في الإلٓهيات والكليات[1]، فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى؟

ولما صار أولئك اليونان عارفين بالله، موحدين له، عابدين له، مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله، لما دخل إليهم أتباع المسيح يدعونهم إلى دين الله الذي بعث به المسيح. وكل من كان من أتباع المسيح ـ غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ[2] ـ فإنه من المؤمنين[3] المهتدين، وهم من أولياء الله وهم[4] من أهل الجنة.

ومن ظن أن كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان، فإن ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما[5] يقول هؤلاء. وإنما يوجد مثل هذا في كلام الملاحدة من أهل الملل: ملاحدة اليهود والنصارى[6] وغيرهم، كأصحاب رسائل إخوان الصفا[7]، وأمثالهم من الملاحدة المنتسبين إلى

---

(١) الكليات أو القضايا الكلية: هي حقائق المعقولات المجردة عن المادة والمكان والجهة، وهي الأحكام المعينة التي من عمل العقل كإدراك الصداقة والعداوة، والمتكلمون يسمونها أحوالاً أو وجوهاً، ويسميها الفلاسفة الكليات المجردة.
انظر: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول: ١٣٠، ودرء تعارض العقل والنقل ٤ :٢١٣.

(٢) أي نسخ دين محمد ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لدين المسيح ـ عليه السلام ـ بمثل قوله تعالى:
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.
سورة [آل عمران: الآية ٨٥].

(٣) في ط زيادة (المسلمين).

(٤) في ط زيادة (المتقين) وسقطت بعدها «وهم».

(٥) في ط (مما).

(٦) في ط زيادة (والمسلمين).

(٧) **إخوان الصفا**: هم جماعة من الإسماعيلية الباطنية، كتبوا رسائل عرفت بهذا الاسم، وعددها أكثر من خمسين مقالة، وذكر أبو حيان التوحيدي بعض أسماء كتبهم في =

تشيع(1)، أو إلى تصوف(2)، كابن عربي(3)

= كتابه (المقابسات).
انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية: ٢٢٢ ــ ٢٤١ د. عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤: ٧٩.

(١) **التشيع**: هو ادعاء مشايعة الأمير علي ــ رضي الله عنه ــ ومتابعته وحبه. والشيعة أربع فرق كبيرة:
١ ــ الشيعة المخلصين وقت خلافته من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
٢ ــ الشيعة التفضيلية: وهم الذين يفضلونه على سائر الصحابة من غير إكفار واحد منهم ولا سب ولا بغض كأبي الأسود الدؤلي، وكعبد الرزاق، صاحب المصنف.
٣ ــ السبئية، ويقال لهم (التبرئية): وهم الذين يسبون الصحابة، إلَّا قليلاً منهم.
٤ ــ الغلاة وهم القائلون بألوهية علي.
انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية: ٣ ــ ٩ لشاه عبد العزيز الدهلوي ـ ١٢٣٩هـ ترجمة الأسلمي واختصار الألوسي، وتحقيق الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣هـ.

(٢) **التصوف**: هو علم الباطن، وهو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها، وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها، والاتصاف بالصفات التي طلب الشرع تحصيلها، وكيفية السلوك والسير إلى الله ــ تعالى ــ والفرار إليه.
انظر: حياة القلوب وكيفية الوصول إلى المحبوب، لعماد الدين الأموي ١: ٢٦٠ بهامش كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٠هـ.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد، محيي الدين، أبو بكر، الطائي الحاتمي الأندلسي صاحب التصانيف في التصوف وغيره، ولد سنة ٥٦٠هـ، وتوفي سنة ٦٣٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٣: ٦٥٩ ــ ٦٦٠ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ــ ٧٤٨هـ ت: محمد علي البجاوي، دار المعرفة بيروت، وفوات الوفيات ٣: ٤٣٥ ــ ٤٤٠ لمحمد بن شاكر الكتبي ــ ٧٦٤هـ ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت.

وابن سبعين[1] وأمثالهما. وفي الكتب المضنون بها على غير أهلها[2] ونحو ذلك من الكلام المنسوب إلى أبي حامد[3] قطعة من ذلك.

وهؤلاء[4] يحتجون بالحديث المأثور «أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب، وعليك العقاب»[5].

---

(١) هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي المرسي الرقوطي، العتكي، قطب الدين، أبو محمد، صوفي حكيم، درس العربية والآداب بالأندلس، وانتحل التصوف، وله مصنفات كثيرة، مات بمكة سنة ٦٦٩هـ.
انظر: لسان الميزان ٣:٣٩٢، فوات الوفيات ٢:٢٥٣.

(٢) هي مؤلفات تنسب إلى الغزالي، وليست له بل وضعت عليه مثل «السر المكتوم» أيضاً.
انظر: شذرات الذهب ٤:١١.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الطوسي، الشافعي، زين الدين، حجة الإسلام تتلمذ لإمام الحرمين، وتولى التدريس ببغداد، وصنف التصانيف، مع الذكاء المفرط والاستبحار في العلم، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي بطوس سنة ٥٠٥هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤:٢١٦ ــ ٢١٩، شذرات الذهب ٤:١٠ ــ ١٣.

(٤) في ك و ط زيادة: (قد).

(٥) حديث: «أول ما خلق الله العقل...»، رواه أبو نعيم في الحلية ٧:٣١٨ عن عائشة بلفظ «حدثني رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن أول ما خلق الله ــ سبحانه وتعالى ــ العقل فقال: أقبل فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، ثم قال: «ما خلقت شيئاً أحسن منك، بك آخذ، وبك أعطي». قال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان، ومنصور الزهري ــ أحد رواة الحديث ــ لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلَّا سهلاً، وأراه واهماً فيه».
انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني ــ ٤٣٠هـ، ط٣، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م. وذكر السيوطي أنه أخرجه ابن عدي والدراقطني والعقيلي والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في =

وهــذا الحـديث كــذب مـوضـــوع على النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ كما ذكر ذلـك أهل العلم بـالحديث، كـأبـي جعفر العقيلي[1]،

= نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد. فأما حديث ابن عدي فموضوع، وأما الدارقطني ففي إسناده سيف بن محمـد وهو كـذاب بـالإجماع، وقـال العقيلي بعد روايتـه «هذا حـديث منكر، عمـر وسعيد الـراوي عنه مجهولان جميعاً». وقـال في الميزان «والخبـر باطـل» وقال البيهقي بعـد سياقـه هذا إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسن، ثم ساق إسناده عن الحسن، وهـو عند عبد الله بن أحمد بن حنبل مرسل من رواية الحسن.

انـظر: الـلآلىء المصنـوعـة في الأحـاديث المـوضـــوعـة ١: ١٢٩ ــ ١٣٠ لـلإمـام عبد الرحمن السيوطي ــ ٩١١هـ ط ٣، دار المعرفة، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

وقـال العراقي: أخـرجه الـطبراني في الأوسط من حـديث أبـي أمامـة وأبـو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين.

انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج مـا في الأحياء من الأخبـار، بهامش إحياء علوم الدين ١: ٨٣، للعـلامة زين الـدين أبـي الفضل عبـد الـرحيم بن الحسين العراقي ــ ٨٠٦هـ دار المعرفة، بيروت.

وقال ابن القيم: «أحاديث العقل كلها كذب».

انــظر: المنـار المنيف في الصحيــح والضعيف: ٦٦ ــ ٦٧ لمحمـد بن أبـي بكــر الــدمشقي ابن قيم الجـوزيــة ــ ٧٥١ ت: عبـد الفتــاح أبــو غــدة، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية،، حلب ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

قال الألباني: «ومما يحسن التنبيه عليـه أن كل مـا ورد في فضل العقـل من الأحاديث لا يصـح منها شيء، وهي تـدور بين الضعف والـوضـع، وقـد تتبعت مـا أورده منهـا أبو بكر بن أبـي الدنيا في كتابه «العقل وفضله» فوجـدتها كمـا ذكرت، لا يصـح منها شيء، فـالعجب من مصححه الشيـخ.. الكوثـري كيف سكت عنها، بـل أشـار في ترجمته للمؤلف.. إلى خلاف ما يقتضيه التحقيق العلمي ــ عفَا الله عنَا وعنه ــ».

انـظر: سلسلة الأحـاديث الضعيفـة ١: ١٣ لمحمـد نـاصـر الـدين الألبـاني، ط ٤، المكتب الإسلامي، بيروت ــ دمشق، ١٣٩٨م.

(١) هــو محمـد بن عمـرو بن مـوسى بن حمـــاد العقيلي، الحـافظ، عـــداده في أهــل الحجاز، توفي بمكة سنة ٣٢٢هـ.

انظر: تذكـرة الحفاظ ٣: ٥٠ للإمـام محمد ابن أحمـد الذهبـي ــ ٧٤٧هـ، دار إحيـاء =

وأبـي حــاتم بن حبــان البـستـي[1]، وأبـي الحـسن الــدارقــطنـي[2]، وأبـي الفرج بن الجوزي[3] وغيرهم.

ثم لفظه لو كان صحيحاً حجة، على نقيض مطلوبهم، فإنه قـال: «أولَ مـا خلق الله العقل» بنصب «أولَ»، وفي لفظ «لمـا خلق الله العقل قال له».

فلفظه يقتضي أنه خاطبه في أول ما خلقه، فحـرفوا لفـظه وقالـوا: أولُ ما خلق الله العقل بـالضم، وليس هذا لفـظه ولكن لفظه يقتضي أنـه خـاطبه في أول أوقات خلقـه، ولهـذا قـال: «مـا خلقت خلقـاً أكـرم علي منك»، وهذا يقتضي أنه خَلَق قَبله غيره.

وعندهم هو أول المُبْدَعات، يمتنع أن يتقدمه شيء، مع أنه وسائر العقول والأفلاك ــ عندهم ــ قديمة أزلية، لم تزل ولا تزال.

= التـراث العربـي بيـروت. طبقات الحفـاظ ٣٨٤ لـلإمـام عبـد الـرحمن السيـوطي ــ ٩١١هـ، ط ١، دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(١) هـــو محمـد بن حبــان بن أحمـد بن حبــان بن معــاذ بن معين التميمي البستي، الشافعي، كان من فقهاء المدن وحفاظ الآثار، عالماً بـالطب والنجـوم وفنون العلم، ومات بِبُسْتْ سنة ٣٥٤هـ.
انظر: لسان الميزان ٥:١١٢ ــ ١١٥. طبقات الحفاظ: ٣٧٥.

(٢) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، البغدادي الحافظ المشهور، كان عالماً حافظاً فقيهاً، على مذهب الإمام الشافعي، ولد سنة ٣٠٦هـ. ومات سنة ٣٨٥هـ ببغداد.
انظر: وفيات الأعيان: ٣:٢٩٧ ــ ٢٩٩، وطبقات الحفاظ ٣٩٣ ــ ٣٩٥.

(٣) هو الإمام العلامة الحـافظ عالم العـراق وواعظ الآفاق جمـال الدين عبـد الرحمن بن علي بن عبـد الـرحمن بن علي بن علي القـرشي البكـري الصـديقي البغــدادي، الحنبلي، صـاحب التصـانيف في فنــون العلم، ولـد سنــة ٥١٠هـ، وتـوفي سنــة ٥٩٧هـ.
انظر: طبقات الحفاظ ٤٨٠هـ، والكامل ٩:٢٥٥.

ثم قال: «فبك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب وعليك العقاب».
فجعل به هذه الأنواع الأربعة.

وعندهم أن العقل صدر عنه جميع العالم العلوي والسفلي، وذلك أن لفظ (العقل) في الحديث سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً، هو العقل في لغة الأنبياء والمرسلين، هو عقل الإنسان، وهو عَرَض قائم به، وهـذه[1] صفة قائمة بالإنسان ليس هو جوهراً قائماً بنفسه.

والعقـل في لغة هؤلاء الفـلاسفة، هـو جوهـر قـائم بنفسـه. وأمـا النفس الفلكيـة، فلهم فيها قـولان: قيل: إنهـا عرض قـائم بالفَلَك وهـو قول أكثرهم. وقيل: بل جوهر قائم بنفسه، ولهذا يميل ابن سيناء. وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر[2].

والمقصود هنا ذكر هؤلاء النصارى[3] أن ثم[4] جوهراً لطيفاً، غيـر الجـوهـر الكثيف، ومثلوا[5] ذلـك بـالنفس والعقـل والضـوء[6]، ثم[7] لم يقيمـوا على ثبوت شيء من ذلـك دليلاً، ولا دليـل[8] مما دلت عليـه الكتب الإلٓهية، فإن النفس الفلكيـة والعقول العشـرة لم ينطق بهـا كتاب

---

(١) في ط (هذا).
(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩:٣٠٣ وما بعدها. ونقض المنطق: ٩٩.
(٣) سقطت (النصارى) من ك و ط.
(٤) ثم: بفتح أوله ـ اسم إشارة إلى مكان غير مكانك.
انظر: المصباح: ٨٤.
(٥) في أ: (يمثلوا) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.
(٦) في أ (الصور) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك و ط زيادة (إن النصارى).
(٨) في ط زيادة (ذلك).

ولا رسول، بل ولا دل عليها دليل عقلي، وأدلة المتفلسفة عليها ضعيفة. وإنما دل العقل على ما أخبرت به الرسل من الملائكة.

ولكن هؤلاء الذين حملوا كلام الرسل على ما يوافق قول[1] المتفلسفة يجعلون اللوح المحفوظ، هو النفس الفلكية، كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الأول والعرش هو الفلك التاسع، وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر[2].

وإذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على ما مثلوا به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهم حجة على من قال: إن الجوهر ما يشغل حيزاً ويقبل عرضاً. ولما قرنوا النفس بالعقل، كان ذلك ظاهراً في أنهم أرادوا النفس الفلكية.

فأما إن أرادوا النفس الإنسانية فهذه ثابتة، [3]أخبرت بها الرسل وأتباعهم، كما قد بسط في موضعه. لكن هذه لا تقرن بالعقل الذي هو جوهر، والعقل صفة هذه، وهو مصدر عقل يعقل عقلاً. وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها، ويراد بالعقل العمل بالعلم كما قد بسط في موضع آخر.

الوجه الرابع: قولهم: «وجوهر الضوء». فيقال لهم: إن أردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز، يشغل حيزاً، [4]ويقبل عرضاً، ليس هو من الجواهر اللطيفة الذي[5] مثلتم بها وإن أردتم

---

(١) في ط زيادة (هؤلاء).
(٢) انظر: مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٦/٥٤٥ وما بعدها.
(٣) في ك و ط زيادة (قد).
(٤) في ط (أو).
(٥) في ط (التي).

بـالضوء: الشعـاع القـائم بـالهـواء والجـدران ونحـو ذلـك، فليس هـذا بجوهر، لا لطيف ولا كثيف، بل هو عرض قائم بغيره.

الـوجه الخـامس: قولكم: «إن الجـوهر اللطيف لا يقبـل عرضـاً» كـلام ممنوع، وهـو باطـل ــ أيضاً ــ فـإن نفس الإنسان تقبـل الأعراض القـائمة بهـا، وكذلـك النفس الفلكيـة ــ عنـد من أثبتهـا ــ تقـوم[1] بهـا إرادات وتصورات متجددة. ولفظ «العرض» في اصطلاح النـظار يراد بـه مـا قام بغيـره، سواء كـان صفة لازمـة أو عارضـة، وهـذا مـوجب تقسيم النصارى، كما هو قول الفلاسفة.

فإنهم قالوا: ليس في الوجود شيء إلَّا وهو إما جوهر وإما عَرَض، لأنه أي أمر نظرناه وجـدناه إمـا قائمـاً بنفسه، غيـر مفتقر في وجـوده إلى غيره، وهو الجوهر. وإمـا مفتقر في وجـوده إلى غيره، لا قـوام له بنفسـه وهو العَرَض». قالوا: ولا يمكن أن يكون لهذين[2] قسم ثالث».

وهـذا الذي قـالوه هـو تقسيم أرسطو وأتبـاعه، وهـو يسمي المبدأ الأول جـوهراً وهـذا تقسيم سائـر النـظار. لكن أكثـرهم لا يـدخلون رب العـالمين في مسمى الجوهـر، ومنهم من يدخله فيـه، وبعض النزاع في ذلك لفظي.

وإذا[3] كان الأمر على ما قالوه، فالضـوء القائم بـالأرض والهواء، عَرَض ليس جوهراً قائمـاً بنفسه، وهم قـد جعلوه جوهـراً، وهذا تنـاقض بَيِّن. ــ وأيضاً ــ فالجواهر اللطيفة، تقوم بها الأعراض كـالحياة والعلم، بل والرب ــ على قولهم ــ تقوم به الحياة والعلم.

---

(١) في ط (يقوم).
(٢) في ط زيادة (القسمين).
(٣) في ك (إذا) بدون واو.

فإذا سموه جوهراً، لـزمهم أن يسموا صفـاته أعـراضاً، إذا قـالوا: لا موجود إلَّا جوهر أو عرض[١].

فهذا يناقض قولهم[٢]: «الموجود إما جوهر وإما عرض، فليس في الموجودات إلَّا هـذا أو هذا»، بـل موجب[٣] كـلامهم أنها قـائمة بـذات الله، فكيف بذات غيره؟

وإذا[٤] قالوا: «ويُعنى[٥] بالأعراض، الصفات العارضة أو القائمـة بـالأجسام»، كـان هذا منـاقضاً لقـولهم: «الموجـود[٦] إما جـوهر، وإمـا عرض»، مع قولهم: «إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم، والأقنوم ذات وصفة» ومع قولهم[٧]: «إن الرب جوهر»[٨] فقولهم يقتضي أن الرب جوهـر تقوم به الأعراض، فكيف غيره؟.

ثم يقـال: إذا قـدر أنهم يـدعـون ثبـوت جـوهــر لا يقـوم[٩] بــه الأعراض، فهذا اصطلاح لهم، وافقوا فيه[١٠] نفاة الصفات من الفلاسفـة كأرسطو وذويه[١١]، فإنهم يقـولون: إن الـرب جوهـر لا يتصف بشيء من

---

(١) من هنا حصل تقديم وتأخير في ط بمقدار صفحة تقريباً ويظهر واضحاً أنه اختلاف في ترتيب صفحات المخطوطة التي طبعت عليها.
(٢) في الأصل: (فهؤلاء يوجـد تناقض قـولهم) وقد أثبتنـا ما في ك و ط لاضـطراب هذه العبارة.
(٣) في ط (وموجب).
(٤) في ك و ط (وإن).
(٥) في ط (نعني) بنونين.
(٦) في أ (الوجود) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٧) في ك (أقولهم) وفي ط (أقوالهم).
(٨) هكذا في ك و ط وفي أ (جوهراً) بالنصب والصحيح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.
(٩) في ط (تقوم).
(١٠) في أ (فيهم) والصحيح ما في ك و ط ولذلك اعتمدناه.
(١١) في ط (وأتباعه).

الصفات الثبوتية، لكن ليس هذا قول النصارى، فتبين أنهم في قولهم: «إن الرب جوهر» وفي قولهم: «إن من الجواهر ما لا يقوم[1] به الصفات» موافقون للمشركين الفلاسفة، أرسطو وأتباعه، لا موافقين للمسيح والحواريين، وأنهم أثبتوا الصفات لله موافقة للمسيح والحواريين، ثم جعلوه جوهراً، ثم قالوا: «إن الجوهر اللطيف لا تقوم[2] به الصفات» وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين، وهذا تحقيق ما ذكرناه عنهم من أنهم رَكَّبوا ديناً من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين.

فهؤلاء إن عنوا بالعرض هذا فكل[3] جوهر يقبل الصفات، وإن أرادوا بالعرض ما تعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية، التي يفرقون بينها وبين الذاتية ـ مع أن هذا ليس مقتضى كلامهم ـ فقد ذكرنا في غير هذا الموضع[4] أن تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموصوف إلى ذاتية وعرضية: تقسيم باطل، وتقدير أن يكون حقاً: فالنفس ـ أيضاً ـ تقبل الصفات العرضية، بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفاً أو كثيفاً. فقولكم: «إن الجوهر اللطيف لا يقبل عرضاً، مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة» كلام باطل على كل تقدير[5].

---

(١) في ط (تقوم).
(٢) في ك (يقوم).
(٣) في أ و ك (وكل) وما في ط هو الصواب.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٣/٨٥ وما بعدها، طبع المدني.
(٥) انظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/١٦٣ من طبعتنا هذه وما بعدها، تحقيق الزميل: علي بن حسن بن ناصر. والجواب الصحيح، طبع المدني ٣/٨٥ وما بعدها، وفي مواضع أخرى، حيث اهتم الشيخ المؤلف ببيان وجه الحق في قضية الصفات من أوجه كثيرة، يقع فيها للمسلمين وللنصارى وغيرهم خلط وضلال. =

وإن عنوا بلفظ العرض شيئاً آخر، لم ينفعهم ذلك، فإن المتكلمين الذين قالوا: «الجوهر هو[1] ما يشغل حيزاً ويقبل عرضاً» إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني، سواء كان لازماً له أو عارضاً له، ومعلوم أن كل جوهر فإنه يقوم[2] به المعاني[3]. والخالق ـ تعالى ـ عندهم يقوم[4] به الحياء[5] والعلم، فإذا كان الخالق ـ تعالى[6] ـ يقوم[7] به المعاني وهم يسمونه جوهراً، فكيف لا تقوم المعاني بغيره[8].

وهؤلاء يثبتون جوهراً لطيفاً[9] لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: «إنه تقوم به المعاني». وهذا اصطلاح لهم لا يوافقهم عليه أحد. ثم يتناقضون فيقولون: «الموجود إما جوهر وإما عرض» وهذا تناقض[10].

ونُظّار المسلمين لهم في تسمية صفات الله القائمة به أعراضاً نزاع[11]: بعضهم يسميها أعراضاً، وبعضهم ينكر هذه التسمية، مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به. وجمهور نظار المسلمين

= وهو في كل ذلك يقرر عقيدة أهل السنَّة، ناصعة مشرقة مفصلة، مدعومة بالأدلة النقلية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة.

(١) سقطت (هو) من ط.
(٢) في ط (تقوم).
(٣) في أ سقطت الميم من (المعاني) والصواب إثباتها كما في ك و ط.
(٤) في ك و ط (تقوم) بالتاء.
(٥) في ك و ط (الحياة).
(٦) لم ترد كلمة التقديس في ط.
(٧) في ط (تقوم).
(٨) في ط تقدمت (بغيره) على (المعاني).
(٩) سقطت «لطيفاً» من ط.
(١٠) في ط زيادة (بينهم).
(١١) في ك و ط زيادة (بينهم).

لا يسمونه جوهراً، وبعضهم يسميه جوهراً. وأما من أنكر قيام الصفات به، فذاك لا يسمي الله[1] جوهراً ولا جسماً.

وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضاً بيِّناً، ولهذا كان لهم طريقة لا يوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء، ذلك يظهر:

بالوجه السادس: وهو أن الناس لهم في إثبات الصفات القائمة بذات الله ــ تعالى ــ قولان: فسلف المسلمين وأئمتهم، وجمهور الخلق من أهل الملل وغير أهل الملل، يثبتون قيام الصفات بالله ــ تبارك وتعالى ــ. وهل تسمى[2] أعراضاً؟ على قولين:

والقول الثاني: قول من ينفي الصفات، مثل الملاحدة الجهمية[3] ونحوهم، من مبتدعة المسلمين، ومن وافقهم من الفلاسفة، وبعض اليهود والنصارى. فهؤلاء لا تقوم به المعاني والصفات عندهم، فلا يقولون تقوم به الأعراض. ثم مِن هؤلاء من يسميه جوهراً كأرسطو[4] وأتباعه، ومنهم من لا يسميه جوهراً كمتأخري الفلاسفة: ابن سينا

---

(١) في أ و ك (لا يسميه جوهراً).

(٢) في ك (يسمى) بالياء.

(٣) (**الجهمية**): «هم أتباع جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان... وامتنع من وصف الله ــ تعالى ــ بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد...».
انظر: الفرق بين الفرق: **٢١١** لصدر الدين عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ــ **٤٢٩هـ** ــ دار المعرفة، بيروت. وقد وصف الشيخ (الجهمية) بأنهم (ملاحدة) لأنهم ألحدوا في أسمائه ــ تعالى ــ فأبَوَ تسميته بأسمائه الحسنى، وهذا ميل عن الحق والصواب.
انظر: الكشاف **١٣٢/٢** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ــ **٥٣٨هـ** ــ دار المعرفة، بيروت.

(٤) في أ و ك (أرسطوا) بألف بعد الواو، والصواب حذفها كما في ط.

وأمثاله، مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم. سواء سموه جوهراً أو لم يسموه[1].

وأما الجمهور[2] القائلون بقيام المعاني به، فبعضهم يسميها أعراضاً وإن لم يسمه جوهراً. وقد سماه بعضهم جوهراً، وبعضهم ينفي أن يكون أعراضاً، وبعضهم يسكت عن النفي والإثبات، فلا يسميها أعراضاً، ولا ينفي تسميتها بذلك، أو يستفصل القائل عن كونها أعراضاً.

وأما هؤلاء النصارى فقالوا: «[3]جوهر ثلاثة أقانيم» ووصفوه بالصفات الثبوتية، وهي الحياة والنطق، وقالوا: «الموجود إما جوهر، وإما عرض» فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضاً عندهم. ثم قالوا: «الجوهر اللطيف، لا يقوم[4] به الأعراض» ونزهوا الرب أن تقوم به الأعراض، مع قولهم: «إنه جوهر» تناقضوا[5] تناقضاً بَيِّناً، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم وبين كلام المشركين[6] ــــــــــ

---

(١) سقطت جملة (سواء سموه جوهراً أو لم يسموه) من ط.

(٢) الجمهور من الناس: (جلهم) ومعظم كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس للطاهر أحمد الزاوي ١/٥٣٤ دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٣) في ك و ط زيادة (هو).

(٤) في ط (تقوم).

(٥) في ط: (فتناقضوا) بفاء في أوله.

(٦) جمع (مشرك) من الشرك: وهو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله ــ تعالى ــ وهو ثلاثة أنواع:
١ ــ شرك أكبر وهو الذي يخرج من ملة الإسلام، وهو صرف أي نوع من العبادة لغير الله.
٢ ــ وشرك أصغر: وهو الذي لا يخرج من ملة الإسلام.
٣ ــ وشرك خفي: وهو الذي يكفِّره التعوذ منه. وهو نوع من الشرك الأصغر لمن =

المعـطلين[1] الفـلاسفة. فمـا تلقوه عن المسيح فهو حق، ومـا ابتدعـوه من قـول من خـالف الرسـل، فهو بـاطـل. فجمعوا في قولهم بين الحق والبـاطـل، وسلكوا مسلكاً لا يُعْرف عن غيرهم، وإيضاح هذا أن يقال في:

الوجه السـابع: أن هـذا الذي ذكـروه تناقض بَيِّن، فـإنهم قالـوا: الموجود إما جوهر وإما عرض: «القائم بذاته هو الجوهـر، والقائم بغيـره هو العرض».

ثم قالوا: «إنـه موجـود حي ناطق، لـه حياة ونـطق». فيقال لهـم: حياته ونطقه: إما جوهر وإما عـرض وليس جوهـراً، لأن الجوهـر ما قـام بنفسـه، والحياة والنـطق لا يقومـان بأنفسهمـا، بل بغيـرهمـا، فهمـا من الأعراض، فتعيَّن أنه عنـدهم جوهـر يقوم[2] بـه الأعراض، مـع قولهم «إنه جوهر لا يقبل عرضاً».

= جعل الشرك نوعين.
انظر: حاشيـة كتاب التـوحيد ١٥ للشيـخ عبد الـرحمٰن بن محمد القـاسم العاصمي النجدي ــ ١٣٩٢هـ، ط ١، المطابع الأهلية لـلأوفست، الريـاض ١٣٩٦هـ وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ١/٢٦٨ ــ ٢٧٥ للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ط ١، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠١هـ.

(١) من «التعطيل» وهو مأخوذ من (العطل) وهو الخلو والفراغ والترك.
والمراد بالمعطلين نفاة الصفات الإلٓهية عن الله. ومنكري قيامها بذاته ــ عز وجـل ــ أو منكري بعضها، والتعطيل ثلاثة أنواع:
١ ــ تعطيل الله ــ سبحانه ــ من كماله المقدس.
٢ ــ تعطيل معاملته.
٣ ــ تعطيل المصنوع من صانعه.
انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ٥٢ ــ ٥٣ لعبد العزيز بن محمد السلمان، ط ٢، مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

(٢) في ط (تقوم).

فإن[1] قيل: أرادوا بقولهم: «لا يقبل عرضاً» ما كان حادثاً. قيل: فهذا ينقض تقسيمهم[2] الموجود إلى جوهر وعرض، فإن المعنى القديم الذي يقوم به ليس جوهراً وليس حادثاً. فإن كان عرضاً، فقد قام به العرض وقَبِلَه، وإن لم يكن عرضاً، بطل التقسيم.

يبين هذا أنه يقال[3]: أنتم قلتم: «إنه شيء حي ناطق»، وقلتم: «هو ثلاثة أقانيم»، وقلتم: «المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة»، وقلتم في الأمانة[4]: نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، وبرب واحد[5] يسوع[6] المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، إله حق من إله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر»[7].

ثم قلتم: «إن الرب جوهر»، وقلتم: «إن الذي يشغل حيزاً

---

(١) في ك و ط (وان).

(٢) في أ و ك (تقسمهم) وقد صوبناها من ط.

(٣) في ط (فتبين من هذا أنهم يقال لهم).

(٤) (الأمانة) هي كتاب (قانون الأمانة) الذي قام رجال الكنيسة بوضعه من تلقاء أنفسهم، دونما مستند من وحي أو كتاب منزل، وقد أورد د. أحمد السقا، في كتابه: أقانيم النصارى ٥٩ ـ ٦٧ ما يثبت أن هذا القانون من تأليف كبار القساوسة.

(٥) في أ (واحداً) بالنصب، وفي ك (ايسوع) ألحقت الألف بكلمة «يسوع» حيث جاءت في أول السطر. والصحيح ما في ط ولذلك اعتمدناه.

(٦) «يسوع» هو الاسم الشخصي لعيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ عند النصارى، أما المسيح فهو لقبه، وهو الصيغة العبرية (يشوع) ومعنى الاسم (يهوه مخلص) وقد جاءت هذه التسمية لعيسى ـ عليه السلام ـ في العهد الجديد. ولشخص آخر يدعى «يسطس» وكان عاملاً مع بولس ورفيقاً له في رومية.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٠٦٥ ـ ١٠٦٦.

(٧) انظر هذا النص في كتاب: إيماني. للقس الياس مقار، وللكتاب اسم آخر هو قضايا المسيحية الكبرى: ٦٥، نشر دار الثقافة بالقاهرة؛ والخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية: ٧٠ لأفلاطون مطران موسكو، تعريب: الخوري يوحنا حزبون، مطبعة كرم، بيروت ١٩٥٧م.

أو يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف. فأما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً، مثل جوهر النفس وجوهر العقل، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة. فإذا كانت[1] الجواهر اللطيفة المخلوقة لا تقبل عرضاً، ولا تشغل حيزاً، فيكون[2] خالق الجواهر اللطائف والكثائف، ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضاً ويشغل حيزاً كلاً».

فصرحتم بأنه جوهر لا يقبل عرضاً، وقلتم: «ليس في الموجود[3] شيء إلَّا وهو إما جوهر وإما عرض، فإن كان قائماً بنفسه غير محتاج في وجوده إلى غيره، فهو الجوهر، وإن كان مفتقراً في وجوده إلى[4] غيره، لا قوام له بنفسه، فهو العَرَض».

فيقال لكم: الابن القديم الأزلي المولود[5] من جوهر أبيه، الذي هو مولود غير مخلوق، الذي تجسد ونزل، [6]جوهر قائم بنفسه؟ أم هو عرض قائم بغيره؟ والموجود عندكم: إما جوهر وإما عرض.

فإن قلتم: هو جوهر. فقد صرحتم بإثبات جوهرين: الأب جوهر، والابن جوهر، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهراً ثالثاً، فهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر، قائمة بنفسها[7]. وحينئذ فيبطل قولهم: «إنه إلٓه واحد، وإنه أَحَدِي الذات، ثلاثي الصفات، وإنه واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوم» إذ كنتم قد صرحتم ــ على هذا التقدير ــ بإثبات ثلاثة جواهر.

---

(١) في ط زيادة (هذه).
(٢) في ك (فكيف).
(٣) في ط (الوجود).
(٤) في ط (ال).
(٥) في ك و ط (الموجود).
(٦) في ك و ط زيادة (هو).
(٧) في ك و ط (بأنفسها).

وإن قلتم: بل الابن[1] القديم الأزلي، الذي هو الكلمة، التي هي العلم والحكمة، عرض قائم بجوهر الأب، ليس هو جوهراً ثانياً، فقد صرحتم بأن الرب جوهر تقوم به الأعراض، وقد أنكرتم هذا في كلامكم، وقلتم: «هو جوهر لا تقوم به الأعراض» وقلتم: «إن من المخلوقات جواهر[2] لا تقوم بها الأعراض، فالخالق أولى» وهذا تناقض بيِّن، لا حيلة فيه لمن تدبر كلامهم، أوله وآخره.

فإن كلامهم هذا يوجب أنه جوهر واحد، لا يقوم به شيء من الأعراض.

وهم يقولون: «جوهر واحد، ثلاثة أقانيم» وسواء[3] سموها صفات أو خواص أو أعراضاً[4]، أو قالوا: الأقنوم هو الذات والصفة. فيقال لهم: الرب مع الأقانيم، ثلاثة جواهر، أو جوهر واحد له ثلاث صفات، أو جوهر[5] لا صفة له؟ فإن قالوا: ثلاثة جواهر، أثبتوا ثلاثة، وبطل قولهم: «إن الرب جوهر واحد، وإله واحد» وصرحوا[6] بإثبات: ثلاثة آلهة.

وإن قالوا: بل جوهر واحد له ثلاث صفات، فقد صرحوا أن هذا الجوهر تقوم به الصفات، وإذا قامت به الصفات ـ وقد سموه جوهراً ـ وقالوا: «كل موجود إما جوهر، وإما عرض» لزمهم قطعاً أن تكون صفاته

(١) في أ و ك (الأب) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.
(٢) في أ (في المخلوقات وقلتم هو جوهر) وفي ك (في المخلوقات جوهر لا يقوم) والأصح ما في ط ولذلك أثبتناه.
(٣) محل هذه الكلمة بياض في أ بمقدار كلمة وقد أثبتناها من ك و ط.
(٤) في أ و ك (أعراض) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.
(٥) في ط زيادة (واحد).
(٦) في أ (وخرجوا) وقد أثبتنا ما في ك و ط.

أعراضاً فبطل قولهم: «إنه جوهر لا يقوم[1] به الأعراض»، وإن قالوا: جوهر واحد، لا تقوم به الصفات[2] بطل قولهم: «له حياة ونطق» وإذا نفوا الصفات، أبطلوا التثليث والاتحاد، وبطلت الأمانة مع مخالفتهم لكتب الأنبياء، فإنها مصرحة بإثبات الصفات، ومع مخالفتهم لصريح العقل[3].

والمقصود أنهم يتناقضون تناقضاً بيناً، لأنهم أثبتوا جوهراً لا تقوم به الأعراض، مع قولهم: «الموجود إما جوهر وإما عرض» ومع قولهم: «إنه جوهر ثلاثة أقانيم» فإذا لم تقم به الأعراض، لم يكن له صفات، فإن الصفة قائمة بغيرها، ليست جوهراً، بل هي ــ إذا كان الموجود إما جوهر وإما عرض ــ من قسم الأعراض، لا من قسم الجواهر، فكان هذا الكلام نافياً لقيام الصفات به مطلقاً.

ثم قالوا بالأقانيم التي توجب إما إثبات صفات، وإما إثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها، مع أنها إذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات. ولا ريب أن القوم يجمعون في قولهم بين النقيضين، بين إثبات الصفات ونفيها، وبين إثبات ثلاثة جواهر، ثلاثة آلهة، وبين قولهم. الإلّه الواحد[4].

وسبب ذلك: أنهم رَكَّبُوا لهم اعتقاداً، بعْضَه من نصوص الأنبياء المحكمة، كقولهم: «إلّه[5] واحد» وبعضه من متشابه كلامهم، كلفظ

---

(١) في ك و ط (تقوم).

(٢) في ط زيادة (بحال).

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (بصريح) بالباء في أوله واللام أولى.

(٤) في ك و ط (واحد).

(٥) في ط (الإلّه).

(الابن) و(روح القدس)، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين، كقولهم: «جوهر لا تقوم به الصفات»[1].

ومما يوضح ذلك أنك تجد عامة علماء النصارى ـ فضلاً عن عامتهم ـ لا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره، مع اتفاقهم على أن المسيح لم ينسخها كلها، ولم يقرها كلها، بل أخبرهم أنه إنما جاء ليتمها لا ليبطلها[2]، وقد أحل بعض ما حرم فيها، كالعمل في السبت.

ومعلوم أن المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا، فإذا كان عامة النصارى لا يميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به، ولا ما نهاهم عنه مما لم ينههم عنه ـ مع اعترافهم بأنه أقر كثيراً من شريعة التوراة، بل أكثرها، وأحل بعضها فنسخه ورفعه، وهم لا يعرفون هذا من هذا، لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح، ولا يعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الأنبياء ـ فإنهم لا يجوز لهم العمل بكل ما في التوراة، بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم، واتفاق المسلمين على ذلك.

ولا يجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة، بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح. وعامتهم لا يعرفون ما نسخه مما

---

(١) سبق وأن ناقش الشيخ المؤلف في كتابه هذا تلك المسألة، في أكثر من موضع بحسب ما يتطلبه الأمر في حينه، وبقدر ما يخدم الموضوع الذي يكون بصدده.
انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) ١/ ٢٤١ وما بعدها؛ وانظر الفصل الذي عقده بعنوان: «فصل في بطلان التثليث» ٢/ ٩٠ وما بعدها، فقد توسع فيه وفصل كثيراً، ثم أتبعه بفصول أخرى من أجل الغرض نفسه. وانظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/ ١٥٢ من طبعتنا هذه.

(٢) في ط (ليطلبها).

لم ينسخه، فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع، حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ.

وعامتهم لا يعرفون ذلك، فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله، لا من جهة المسيح، ولا من جهة موسى، فلم يعلموها[1]، بل كان ذلك مجهولاً عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم، فكانوا محتاجين إلى أن يعرفوا ما شرعه الله مما لم يشرعه. فأرسل الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشرع أمر فيه بمحاسن ما في الكتابين، وعوض[2] عما نسخه بما هو خير منه.

• • •

(١) في أ و ك (يعلمونها) وهو خطأ نحوي.

(٢) في أ (عرض) وما في ك و ط أولى.

فصل

نقض دعواهم: الاستغناء باليهودية والنَّصرانية من ١٢ وجهاً

ثم قالوا[١]: «إنا نعجب من هؤلاء القوم[٢]، الذين مع أدبهم وما يأخذون به أنفسهم من الفضل، كيف لم يعلموا أن الشرائع شريعتان: شريعة عدل، وشريعة فضل، لأنه لما كان الباري عدلاً وجواداً، وجب أن يظهر عدله على خلقه. فأرسل موسى إلى بني إسرائيل، فوضع شريعة العدل، وأمرهم بفعلها إلى أن استقرت في نفوسهم. ولما كان الكمال الذي هو الفضل، لا يمكن أن يضعه إلَّا أكمل الكُمَّال، وجب أن يكون هو ــ تقدَّست أسماؤه وجلت آلاؤه ــ الذي يضعه، لأنه ليس شيء أكمل منه، ولأنه جواد[٣]، وجب أن يجود بأجلِّ الموجودات. وليس في الموجودات أكمل من كلمته، لذلك وجب أن يجود بكلمته، فلهذا وجب أن يجود بكلمته، فلهذا وجب أن يتحد بذات محسوسة، يظهر منها قدرته وجوده. ولما لم يكن في المخلوقات أجل من الإنسان، اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة، من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين. وبعد هذا الكمال ما تبقى[٤] شيء يوضع، لأن

---

(١) القائلون هم النصارى.

(٢) هم المسلمون.

(٣) في أ (جعلاً) وقد صوبناه من ك و ط. مع أن الناسخ قد كتب فوقها لعله (جواد) في أ.

(٤) في ط (بقي).

جميع ما يتقدمه[1] وما يأتي مقتضيه[2]، وما يأتي بعد الكمال غير محتاج إليـه، لأن[3] ليس شيء يأتي بعـد الكمال فيكون فاضلاً[4]، بل دون[5]، أو أخذ منه. فهو فاضل لا يحتاج إليه، وفي هذا القول نفع[6]. والسـلام على من اتبـع الهـدى. وهـذا ممـا عـرفتـه من أن القــوم الـذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد ـ عليه[7] السلام ـ ومـا يحتجون بـه عن أنفسهم، فـإن يكن ما ذكـروه صحيحاً، فللَّه الحمـد، وإن كان[8] خـلاف ذلـك، فمــولانـا يكتب ذلــك، فقـد[9] جعلوني[10] سفيـراً، والحمــد لله رب العاملين»[11].

والجواب على[11] هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: بل الشرائع ثلاثة، شريعة عـدل فقط، وشريعـة فضل فقط، وشريعة تجمع العدل والفضل، فتوجب العدل، وتنـدب إلى الفضـل، وهذه أكمـل الشرائـع الثـلاث، وهي شـريعـة القـرآن، الـذي

---

(١) في ط (تقدمه).
(٢) في ك و ط (منقصة).
(٣) في ك و ط (لأنه).
(٤) في أ و ك (فاضل) والصواب ما في ط ولهذا اعتمدناه.
(٥) في ط (دونا) بالنصب.
(٦) في ط (مقنع).
(٧) في ط (الصلاة والسلام).
(٨) في ط (يكن).
(٩) في ك و ط (بعد أن).
(١٠) المتحدث هو: بولس الأنطاكي.
(١١) من قوله: وهذا مما عـرفته.. إلى هـذا الموضـع، هو من كـلام رجل يـظهر لي أنـه مسلم، وأنه كان يقوم بنقل ما يكتبه النصارى للشيخ المؤلف ليرد عليه.
(١٢) في ك و ط (عن).

جمع[1] فيه بين العدل والفضل، مع أنا[2] لا ننكر أن يكون موسى ــ عليه السلام ــ أوجب العدل وندب إلى الفضل، وكذلك المسيح ــ أيضاً ــ أوجب العدل وندب إلى الفضل.

وأما من يقول: إن المسيح أوجب الفضل وحرم على كل مظلوم أن يقتص من ظالمه، أو أن موسى لم يندب إلى الإحسان، فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين. لكن قد يقال: إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال.

والقرآن بَيّن أن السعداء أهل الجنة، وهم[3] أولياء الله، نوعان: أبرار مقتصدون، ومقربون سابقون. فالدرجة الأولى: تحصل بالعدل، وهي أداء الواجبات وترك المحرمات. والثانية: لا تحصل إلَّا بالفضل، وهو أداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

فالشريعة الكاملة، تجمع العدل والفضل، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ...﴾[4].

فهذا عدل واجب، من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة.

ثم قال:

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) في ك و ط (يجمع).

(٢) في ط (أننا).

(٣) في ط (فهم).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

فهذا فضل مستحب مندوب إليه، من فعـله أثابه الله ورفع درجته، ومن تركه لم يعاقبه.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾[1].

فهـذا عـدل.

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿... إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟...﴾[1].

فهـذا فضـل.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿... فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ...﴾[2].

فهـذا فضـل.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ...﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ . . . ﴾[1].

فهـذا فضـل.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ . . . ﴾.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[2].

فهـذا فضـل.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ . . . ﴾.

فهـذا عـدل.

ثـم قـال:

﴿ . . . فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ . . . ﴾[3].

فهـذا فضـل.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.

وهو ـ سبحانه ـ دائماً يحرم الظلم، ويوجب العدل ويندب إلى الفضل، كما في آخر سورة البقرة، لما ذكر حكم الأموال. والناس فيها، إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم. فالمحسن؛ المتصدق، والعادل؛ المعاوض كالبايع، والظالم كالمرابي[1].

فبدأ بالإحسان والصدقة، فذكر ذلك ورغب فيه فقال:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ . . . ﴾[2] الآيات.

ثم ذكر تحريم الربا، فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾[3].

ثم لما أحل البيع ذكر المداينات[4]، وحكم البيع الحالِّ والمؤجل، وحِفْظَ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن، وختم السورة بأصول

---

(١) في ك (المربي).

(٢) سورة البقرة: الآيات ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٤) في ك و ط زيادة (ذكر).

الإيمـان، من الإيمان بـالكتب والرسـل، وهـو ـ سبحـانـه[1] ـ بعـد أن افتتحهـا، بذكـر[2] أصناف النـاس وهـم ثلاثـة: إما مؤمن وإمـا كافـر وإما منـافق. فـذكـر نعت المؤمنين، ثم ذكـر نعت الكـافـرين، ثم ذكـر نعت المنافقين. ثم مهد أصول الإيمان، فأمر بعبادة الله ـ تعالى ـ وذكر آياته وآلائه[3]. ثم قرر نبوة رسله[4]، ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد، ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والأرض، ثم خلق آدم وإسجاد الملائكة له، وخروجه من الجنة، وهبوطه إلى الأرض.

ثم بعـد أن عم بـالـدعـوة جميـع الخلق، خص أهـل الكتـاب فخـاطبهم: خاطب اليهـود أولاً بني إسرائيـل، ثم النصارى، ثم خـاطب المؤمنين، فقرر لهم قواعد دينه، فذكر أصل ملة إبراهيم، وبناءه للبيت، ودعاءه لأهل مكة، ووكد الأمر بملة إبراهيم، ثم ذكر ما يتعلق بالبيت، من اتخاذه قبلة، ومن تعـظيم شعـائـر الله التي عنـده، كـالصفـا والمـروة، ثم ذكـر التوحيد والحلال والحرام والمطاعم[5] للناس عموماً، ثم للذين آمنـوا[6] خصوصاً.

ثم ذكر ما يتعلق بالقتل من القصاص، وبالمـوت من الوصيـة. ثم

(١) لم ترد جملة (هو سبحانه) في ط. وهي في ك مشطوبة.
(٢) في ط زيادة (بذلك) وفيها وفي ك (وذكر).
(٣) «آلاء الله» هي نعمه على الإنسان مطلقاً بدون تقييد.
انظر: البحر المحيط ٤/٣٢٥ لأبي عبد الله محمد بن يـوسف بن حيان الغـرناطي ـ ٧٥٤هـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.
(٤) في ك و ط (رسوله).
(٥) في ط (في المطاعم).
(٦) في ك زيادة (ثم).

ذكر شرائع الدين، فذكر صيام شهر رمضان، وما يكون فيه من الاعتكاف. ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام، وهو أشهر الحج، فذكر الحج، وذكر حكم القتال عموماً وخصوصاً، في البلد الحرام. ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج. فذكر أحكام وطء[1] النساء، والْحُيَّض، والإيلاء منهن[2]، والطلاق لهن، واختلاعهن. وذكر حكم الأولاد وإرضاعهم، واعتداد النساء، وخطبتهن في العدة، وطلاقهن قبل الدخول وبعده. ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن، ثم قرر المعاد، وما يدل عليه من إحياء الموتى في الدنيا مرة بعد مرة.

فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين، وأصوله[3] وفروعه، وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسل، ووسطها بالإيمان بالكتب والرسل، وختمها بالإيمان بالكتب والرسل. فإن الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه[4].

وأمر فيها الخلق عموماً وخصوصاً[5]، وذكر فيها الإيمان بالخالق وآيات ربوبيته، والإيمان بالمعاد والدار الآخرة، والأعمال الصالحة التي أمر بها، وأن[6] من كان من أتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى

---

(١) في أ (الوطىء) وعدم التعريف أولى وهو ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) الإيــلاء: هو أن يحلف الرجل أن لا يجامع امرأته للإضرار بها.
انظر: صفوة التفاسير ٢/١٤٥.

(٣) بدون عطف في ك و ط.

(٤) جِمَاعُه: أي جَمْعُه. المصباح ١٠٩.

(٥) في ك و ط زيادة (بعد عموم).

(٦) في ط (وإن).

والصابئين[1] قائماً بهذه الأصول: وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[2].

بخلاف من بدل منهم الكتاب، أو كذب بكتاب فإن هؤلاء من الكفار. فمن كان متبعاً لشرع التوراة قبل مبعث المسيح، غير مبدل له فهو من السعداء. وكذلك من كان متبعاً لشرع الإنجيل قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ غير مبدل له فهو من السعداء. ومن بدل شرع التوراة أو كذب بالمسيح فهو كافر، كاليهود بعد مبعث المسيح ــ عليه السلام ــ . وكذلك من بدل شرع الإنجيل أو كذب محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فهو كافر، كالنصارى بعد مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .

فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل، سعدوا[3]، وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتب[4] والرسول الذي أرسل إليهم وإلى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم، فهم كفار.

---

(١) من **صبأ الرجل**: إذا مال وزاغ، ومدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، وهم يعتقدون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان، والواجب معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالة. ووسطاؤهم «عاديمون» و «هرمس».
انظر: الملل والنحل ٢/ ٥ ــ ٦.

(٢) هذا اقتباس من الآية ٦٢ من سورة البقرة.

(٣) في ك و ط (سعداء).

(٤) في ك و ط (الكتاب).

وَرَدَّ دعاوى اليهود والنصارى الكاذبة، مثل قول هؤلاء:

﴿ . . . لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا . . . ﴾[1].

وقول هؤلاء: لن يدخل الجنة إلَّا من كان نصارى، فقال:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2].

وبين من كُفْر اليهود والنصارى، مما[3] عرف بهم حالهم.

لكن أكثر ما ذكر في هذه السورة: اليهود، كما أن أكثر ما ذكر في سورة آل عمران النصارى، فإن هذه نزلت أول مَقْدَمِه المدينة، وكان اليهود جيرانه. وآل عمران تأخر نزولها إلى آخر الأمر، لما قدم عليه نصارى[4] نجران[5]، وفيها فرض الحج، لما طهَّر الله مكة من المشركين، فكان أكثر دعائه[6] في أول الأمر للمشركين، لأنهم جيرانه[7]

---

(١) سورة البقرة: **الآية ١١١**.

(٢) سورة البقرة: **الآية ١١٢**.

(٣) في ك و ط (ما)..

(٤) في ط زيادة (وفد).

(٥) **نجران**: من مخاليف (مناطق) اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود، وإليها تنسب كعبة نجران، وكان بها أساقفة مقيمون منهم «السيد» و«العاقب» حتى أجلاهم عمر ــ رضي الله عنه ــ عنها.
انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣/١٣٥٩ لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ــ ٧٣٩هـ ت: علي محمد البجاوي، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

(٦) أي: دعوته لهم للإسلام.

(٧) من هنا سقطت من أ جملة: (بمكة ثم لليهود لأنهم جيرانه). وهو سقط ظاهر، والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

بمكـة[1]، ثم لليهود لأنهم جيرانه بـالمدينة[2]، ثم للنصارى لأنهم كانوا أبعـد عنه من نـاحية الشـام[3]، واليمن[4]، والمجوس أيضـاً لأنهم كانوا أبعد عنه بأرض العراق وخراسان[5].

وهـذا هو التـرتيب المناسب، يـدعـو الأقـرب إليه فـالأقـرب، ثم يـرسل رسله إلى الأبعـد. وهو ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ كـان ــ أولاً ــ مشغـولاً بجهـاد المشـركين واليهـود. فلمـا صـالـح المشـركين صلح

---

(١) مكـة: هي بيت الله الحـرام، فيهـا الكعبـة القبلة التي يتـوجـه المسلمـون إليهـا في صلاتهم من سائر الآفاق، سميت مكة لأنها تَمُكّ أعناق الجبابرة: أي تذهب نخوتهم وتـذلهم، وهي مدينـة في وادٍ بين جبلين مشرفين عليهـا من نواحيهـا، وهي محيـطة بالكعبة، والكعبة في وسط المسجد، والأبنيـة والدور محيـطة بالمسجـد، وهي حارة في الصيف، إلَّا أن ليلها طيب.
انظر: مراصد الاطلاع ١٣٠٣/٣.

(٢) هي مدينة يثرب، وهي مدينة الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي في حرة (أرض ذات حجـارة سود) سبخـة (ملحة)، وبهـا مسجـد النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وقبره. المصدر السابق ١٢٤٧/٣.

(٣) بسكون همزتـه. أو فتحها أو بـدون همزة، وكـان اسمها الأول «سـورى» وحدهـا من الفرات إلى العريش طولاً، وعرضاً من جبلي طيء إلى بحر الروم.
المصدر السابق ٧٧٥/٢.

(٤) سميت اليمن لتيامنهم إليها لما تفرقت العـرب من مكة، والبحـر محيط بأرض اليمن من المشـرق إلى الجنوب، ثم راجعـا إلى الغرب، يفصـل بينها وبين بـاقي جـزيـرة العرب خط يأخـذ من بحر الهنـد إلى بحر اليمن عـرضاً في البـرية من المشـرق إلى جهة الغرب.
المصدر السابق ١٤٨٣/٣.

(٥) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخـر حدودها مما يلي الهنـد، ومن أمهات بلادها نيسابور وهرات ومرو.
انظر: مراصد الاطلاع ٤٥٥/١.

الحديبية[1]، وحارب يهود خيبر[2] عقيب ذلك، ففتحها الله عليه، وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة: الذين شهدوا صلح الحديبية، تفرغ[3] لمن بَعُدَ عنه، فأرسل رسله إلى جميع من حواليه من الأمم.

أرسل إلى ملوك النصارى بمصر[4] والشام والحبشة[5]، فإنه كان

---

(١) **الحديبية** ــ بتخفيف الياء الثانية وتثقيلها ــ هي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ــ والشجرة سمرة بأرض الحديبية ــ التي بايع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أصحابه عندها، وبينها وبين مكة مرحلة (والمرحلة المسافة التي يقطعها المسافر على مطيته في نحو يوم) وهي أبعد الحل عن البيت.
والصلح هو أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خرج معتمراً لا يريد حرباً في ذي القعدة سنة ٦هـ، وكان المسلمون ألفاً وأربعمائة رجل، حتى نزل بوادي الحديبية، وصالح قريشاً على الرجوع عن مكة، والعودة إليها في السنة القادمة لأجل العمرة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٢١/٧ لإسماعيل بن كثير ــ ٧٧٤هـ دار الشعب، القاهرة. والسيرة النبوية لابن هشام ٣٢٦/٣ ــ ٣٣٧ عبد الملك بن هشام ٢١٨هـ، ت: مصطفى السقا وغيره، ط مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م؛ والمصباح المنير: ٢٢٣؛ ومراصد الاطلاع ٣٨٦/١.

(٢) خيبر: هو الموضع المشهور الذي غزاه النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على الطريق من المدينة إلى الشام، والخيبر: ــ بلغة اليهود ــ (الحصن) وهي الآن إمارة تابعة من حيث الترتيب الإداري لإمارة حائل وتتكون من مجموعة من القرى منها (الشُّريف) ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠ نسمة وأكثر أهلها من (عَنَزَة) من البدو الرحل.
انظر: مراصد الاطلاع ٤٩٤/١؛ وفي شمال غرب الجزيرة: ٢٧٤ لحمد الجاسر، ط ١، دار اليمامة الرياض ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.

(٣) في ط (فتفرغ).

(٤) مصر من أشهر أقطار الدنيا، وأقدمها ذكراً في التاريخ، وأبعدها عهداً بالمدنية والعلم، موضعها من الكرة الأرضية في الشمال الشرقي من أفريقيا، وهي عبارة عن وادٍ ضيق محصور بين سلسلتي جبال، وسميت باسم من أحدثها: وهو مصر بن مطريم بن حام بن نوح.
انظر: دائرة معارف وجدي ١٥/٩؛ ومراصد الاطلاع ١٢٧٨/٣.

(٥) تقع في شمال أفريقيا الشرقي، وهي هضبة مرتفعة تعلوها جبال شامخة كثيرة الوعورة =

قـد مات ملك الحبشـة النجاشي الـذي أسلم، وأخبر النـاس بموتـه يوم مـات، وخرج بـأصحابـه إلى ظاهـر المـدينـة، فصلى عليـه بهم صـلاة الجنـازة، كما كـان يصلي على سائـر مـوتى المسلمين[1]. وتـولى بعـد النجـاشي آخـر، فـأرسـل إليـه[2] كمـا ذكـره مسلم[3] في صحيحـه[4]. وأرسـل إلى ملوك اليمن من المشركين واليهـود، وإلى ملوك العـرب[5]. وكـان في العـرب خَلْق كثيـر يهـود، وخَلْق كثيـر نصـارى، وخَلْق كثيـر مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجـوس والمشركين، عربهم وعجمهم.

= صعبة المسالك، وبها نهيرات كثيرة وأشهرها النيل الأزرق والعطبرة.
انظر: دائرة معارف وجدي ٢٩٨/٣.

(١) رواه البخـاري، كتاب منـاقب الأنصار، بـاب مـوت النجـاشي ١٩١/٧، (٣٨٧٧ ــ ٣٨٨١) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبيـر على الجنازة ٦٥٦/٢ ــ ٦٥٨ (٩٥١ ــ ٩٥٣).

(٢) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ إلى ملوك الكفار... ١٣٩٧/٣ (١٧٧٤) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار إحياء التراث العربـي، بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

(٣) هـو ابن الحجاج بن مسلم القشيـري النيسابـوري، ثقـة حـافظ إمـام مصنف، عـالم الفقه، مات سنة ٢٦١هـ وله سبع وخمسون سنة.

انظر: تقريب التهـذيب ٢٤٥/٢؛ وسير أعـلام النبلاء ٥٥٧/١٢ ــ ٥٨٠؛ وطبقـات الحفاظ ٢٦٤ ــ ٢٦٥.

(٤) في ك و ط زيادة (وغيره).

(٥) العرب قسمان: العـرب القحطانيـة باليمن، والعـرب العدنـانية بـالحجاز ومـا يليها. فالبائدة من العرب: هم عاد وثمود والعمالقة... إلخ، ويقال لهم: العـرب العاربـة، والعرب الباقية هم القحطانيون باليمن، وهـم خـارج اليمن تسعة عشـر قبيلة، والقسم الثاني: من العرب الباقية هم العدنانيون، وهم ذرية إسمـاعيل بن إبـراهيم ــ عليهما السلام ــ وهم قسمان: بنو معد وبنو عك.

انظر: البداية والنهاية ١٨٤/٢ ــ ١٨٥؛ ودائرة معارف وجدي ٢٣٢/٦ ــ ٢٤٥.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران:

أحدهما: أنه يرجع إلى محض المشيئة، لا يعتبر فيه أن يكون المأمور به مصلحة للخلق، وإن اتفق[1] أن يكون مصلحة، وإن كان الواقع كونه مصلحة، وهذا قول من يقول: لا يفعل ولا يحكم بسبب[2] ولا لحكمة ولا لغرض.

والقول الثاني: ــ وهو قول جمهور الناس ــ إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[4].

فإن قيل بالأول: لم يُسأل عن حكمة إرسال الرسل، وإن قيل بالثاني: ففي إرسال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الحكم

---

(١) اتفق: بمعنى صادف.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٤/٦٣٨.

(٢) في ك و ط (لسبب).

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٤) سورة طه: الآيات ١٢٣ ــ ١٢٦.

والمصالح أعظم مما كان في إرسال موسى والمسيح، والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ما حصل بإرسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق. فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين، وتيسير[1] الله من اتباع الخلق[2] له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها، ومن جهة كثرة من قَبِلَها، وكمال قبولهم لها. بخلاف شريعة من قبله، فإن موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بُعث إلى بني إسرائيل[3]، وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته، ما هو معروف[4]. وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ما تقدم[5].

ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن، فإن القرآن

---

(١) في ط (ويسر).

(٢) في أ (الحق) والأصوب ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٣) هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان موطن إسحاق (حبرون) أو (قرية أربع) وهي مدينة الخليل اليوم، وتزوج إسحاق (رفقا) ابنة عمه (ناهر بن آزر) فولدت له (عيص) و (يعقوب) ثم رحل يعقوب إلى خاله (لابان) في العراق، وتزوج ابنتيه «ليا» و (راحيل) جميعاً وكان ذلك مباحاً ثم رجع إلى (أرض كنعان) وأبناؤه اثنا عشر وهم: رؤوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وجاد وأشير.
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٦ ـ ٣٢١ وما بعدها. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ٣١٠هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان بيروت، ومروج الذهب ١/٤٦ ـ ٤٧؛ والكامل ١/٧١ ـ ٧٢.

(٤) كما جاء في سورة الأعراف: الآيات ١٣٨ ـ ١٤٠ و ١٤٨ و ١٦٢ ـ ١٦٣ و ١٦٥ ـ ١٦٦ و ١٦٩؛ وسورة الصف: الآية ٥؛ وفي مواضع أخرى.

(٥) راجع الجواب الصحيح ٢/٤٤ و ٢٢٥ طبعة المدني حيث ذكر الحاكي عن النصارى: أن الذين ظلموا هم اليهود ـ بلا شك ـ فهم الذين سجدوا لرأس العجل، وكفروا بالله ـ سبحانه ـ مراراً كثيرة ليست واحدة، وقتلوا أنبياءه ورسله، وعبدوا الأصنام، وذبحوا للشياطين... إلخ.

فيه[1] ذكر المعاد، وإقامة الحجج عليه وتفصيله، ووصف الجنة والنار، ما لم يذكر مثله في التوراة. وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يذكر في التوراة. وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته، ووصف ملائكته وأصنافهم، وخلق الإنس والجن، ما لم يفصل مثله في التوراة. وفيه من تقرير التوحيد بأنواع الأدلة، ما لم يذكر مثله في التوراة وفيه من ذكر أديان أهل الأرض، ما لم يذكر مثله في التوراة. وفيه من مناظرة المخالفين[2]، وإقامة البراهين على أصول الدين، ما لم يذكر مثله في التوراة مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة. وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات، وتحريم الخبائث. وشريعة التوراة، فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حرمت عليهم عقوبة لهم. وفي شريعة القرآن، من قبول الدية في الدماء[3]، ما لم يشرع في التوراة، وفيها من وضع الآصار[4] والأغلال التي في التوراة ما يظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل.

وأما الإنجيل، فليس فيه شريعة مستقلة، ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الأنبياء وأممهم، بل أحالهم على التوراة في أكثر الأمر. ولكن أحل[5] المسيح بعض ما حُرم عليهم، وأمرهم

---

(١) في ك و ط زيادة (من).

(٢) في ط زيادة (للرسل).

(٣) دَمَّ فلاناً: عذبه عذاباً تاماً، وشدخ رأسه، وشجه وضربه.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٢١٤.

(٤) جمع أصر: وهو العبء الذي يأصر حامله: أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاق.
انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٤٠٨ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة. بيروت.

(٥) في ط زيادة (لهم).

بالإحسان والعفو عن الظالم[1] واحتمال الأذى، والزهد في الدنيا، وضرب الأمثال لذلك.

فعامة ما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة، والزهد[2] المستحب، وتحليل بعض المحرمات، وهذا كله في القرآن، وهو في القرآن أكمل. فليس في التوراة والإنجيل والنبوات ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن، أو ما هو أفضل منه. وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين. لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل، بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء، كما وضعوا لقسطنطين (الأمانة)، ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها[3] القوانين، فيها بعض ما جاءت به الأنبياء، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء، وصاروا إلى كثير من دين المشركين، الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى، وكذبوا رسله، فصار في دينهم من الشرك وتغيير[4] دين الرسل ما غيروا به شريعة الإنجيل، ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الإنجيل بغيرها، فلا يعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره، ولا ما شرعه مما أحدث بعده.

فالمسيح لم يأمرهم بتصوير[5] الصور وتعظيمها، ولا دعاء من صورت تلك التماثيل على صورته، ولا أمر بهذا أحد من الأنبياء.

---

(١) في ك و ط (المظالم).

(٢) في أ (المزهد) وقد صوبناه من ك و ط.

(٣) في ك و ط (ويسمونها).

(٤) في ك و ط (وتغير).

(٥) في ط (ينصب).

لا يوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع[1] بهم، ولا بدعاء الموتى من الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم، فضلاً عن دعاء تماثيلهم[2] والاستشفاع بها، فإن هذا من أصول الشرك، الذي نبهت عليه[3] الرسل، وهذا كان أصل الشرك في بني آدم من عهد نوح ــ عليه السلام[4] ــ .

قال الله ــ تعالى ــ عن قوم نوح:

﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[5] ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾[6].

قال كثير من العلماء، منهم ابن عباس[7] وغيره: وهؤلاء كانوا قوماً

---

(١) هو طلب الشفاعة. والشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذِمَام أي عهد وأمان وضمان.
انظر: المصباح المنير ٢١٠ و٣١٧. لأحمد بن علي المقري الفيومي ــ ٧٧٠هـ ــ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) هي الصور التي صورت وعملت على أمثال خلقهم، حتى كأن الناظر إليها يشاهد ذواتهم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط، باب الميم ٤/٢٠٣.

(٣) في ط (نهت عنه).

(٤) لم يرد التسليم على نوح في أ ولا ك.

(٥) هؤلاء نفر من بني آدم، كان لهم أتباع، فلما ماتوا صوروهم، ليكون أشوق لهم إلى العبادة إذا ذكروهم، فلما ذهبوا جاء آخرون فقال لهم إبليس: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام.
انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩/٩٨ ــ ٩٩ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ــ ٣١٠هـ، ط ٣، مصطفى الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

(٦) سورة نوح: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أحد المكثرين من =

صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم[١]، وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى.

والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يأمرهم بعبادته ولا قال: إنه الله، ولا[٢] بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد. والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ما حرمه الله في التوراة من الخبائث، كالخنزير[٣] وغيره، فاستحلوا الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والإنجيل. والمسيح لم يأمرهم بأن[٤] يصلوا إلى المشرق، ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب[٥]، ولم

= الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة، ومات سنة ٦٨هـ بالطائف.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٥؛ وأسد الغابة ٣/١٨٦ ـ ١٩٠؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٣٣١ ـ ٣٥٩.

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير باب: «. . . وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق» فتح الباري ٨/٦٦٧ (٤٩٢٠) بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ٢٥٦هـ للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩/٩٩.

(٢) في ط زيادة (أمرهم).

(٣) **الخنزير**: حيوان ثديي قذر، يرتع في القذى (الوسخ) رتوعاً مفرطاً، وهو طويل الوقوف على أرجله ما لم يمش كثيراً أو يسمن، وهو يصاب في كثير من الأحيان بديدان تمر منه إلى من يأكل لحمه، منها دودة «تريشين».
انظر: دائرة معارف وجدي ٣/٦٩٧.

(٤) في ك و ط (أن).

(٥) للصليب ثلاثة نماذج رئيسة: أحدها صليب أندرادس وهو على شكل × علامة ضرب، والثاني + على شكل علامة جمع. والثالث بشكل السيف وهو المعروف بالصليب اللاتيني، ولعل الصليب المنسوب إلى المسيح كان من الشكل الأخير كما يظن الرسامون. وإلى ما بعد المسيح كان الصليب علامة الذل والعار، وحمل الصليب كان يعني حمل الإهانة، ولكن بعد أن افتخر بولس بدعوى صلب المسيح أصبح النصارى ينظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكلية.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٥٤٦.

يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية[1] ولا بسائر ما ابتدعوه[2] بعده.

ولهـذا لما ظهـر فسـاد دين النصـارى، صـار بعض النـاس، كأبـي عبد الله الـرازي يقول: «لم يـظهر الانتفـاع بدين المسيح، إلاَّ في طائفة قليلة كانوا قبل محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارى، ليس هو دين المسيح[3]».

وتبيَّـن[4] هذا:

بالوجه الثالث: وهـو أن يقال: هب[5] إن شـريعة الكتـابين كانت كافية، فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولاً بها، ولم يكن الأمر كـذلك، بل كانت قد درس[6] كثير من معالمها.

وقد اختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافاً عظيماً كما قال ــ تعالى ــ :

---

(١) روى الطبري بإسناده حديثاً مرفوعاً: أن أهل الرهبانية «فرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهـراني قومهم يـدعونهم إلى الله ودين عيسى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها. .» وقـال قتادة: «ذكـر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع».
انظر: جامع البيان ٢٧/٢٣٨ ــ ٢٣٩.

(٢) غلب استعمال «بدعة» فيما هو نقص في الدين أو زيادة. المصباح المنير: ٣٨.

(٣) لعل الشيخ قـد نقله بالمعنى الـذي وجدتـه في كتاب: أصـول الدين ١٠٤، للفخـر الرازي ــ ٦٠٦هـ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. وقد بحثت عنـه في أغلب كتب الرازي المطبوعة، ومن بينها تفسيره الكبير.

(٤) في ط (يبين).

(٥) هبني فعلت: أي احسبني واعددني ــ كلمة للأمر فقط.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٤/٦٦١.

(٦) أي: عفا وخفيت آثاره.
انظر: المصباح المنير ١٩٢.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾.

أي فاختلفوا.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ . . . ﴾[2].

والوقت الذي بعث الله[3] فيه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن قد بقي أحد[4] مظهراً لما بعث الله به الرسل قبله.

فبعثه على حين فترة[5] من الرسل، وطموس[6] من السبل، أحوج ما كان الناس إلى رسول، كما في صحيح مسلم عن عِياض بن حِمار قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهل الكتاب»[7].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في ك ولا ط، وإنما بنى الفعل للمفعول.

(٤) في ك (أحداً) بالنصب.

(٥) **الفترة**: هي الانقطاع وهو السكون بعد الحركة في الأجرام، ويستعار للمعاني. انظر: البحر المحيط ٣/٤٤٣.

(٦) أي: إمحاء واندراس. انظر ترتيب القاموس المحيط ٣/٩٧.

(٧) سبق تخريجه ٢ / ٩٠ . رسالة دكتوراه د . علي بن حسن بن ناصر . من طبعتنا هذه.

وكـان النـاس حين مبعث محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ إمـا أميين، لا كتـاب لهم، يشركون بالـرحمن، ويعبدون الأوثـان[1][2]، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه، وحرفوا حلاله وحرامه، ولبَّسوا حقه بباطله، كما هـو الموجـود. فلو أراد الرجـل أن يميـز لـه أهـل الكتـاب مـا جـاءت بـه الأنبيـاء مما هم عليـه مما أحـدثـوه بعـدهم، لم يعـرف جمهورهم ذلك، بل قد صار الجميع ـ عندهم ـ ديناً واحداً.

فبعث الله ـ تبـارك وتعـالى ـ محمـداً ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بالكتاب الذي أنزله عليه مصـدقاً لمـا بين يديـه من الكتاب ومهيمنـاً[3]، فميز به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والغي من الرشاد، قـال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ

---

(١) الناس على ثلاثـة أصناف: الـذين لهم كتاب منـزل محقق مثل: اليهـود والنصارى، والذين لهم شبهة كتاب مثل: المجوس والمانـوية، والـذين لهم حدود وأحكـام دون كتاب مثل: الفلاسفة الأولى والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة.
انظر: الملل والنحل ١/٣٧.

(٢) جمع وثن وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره.
انظر: المصباح المنير ٦٤٧.

(٣) في ط زيادة (عليه).
المهيمن على الشيء: هو المعنيُّ بأمره، الشاهد على حقائقه، الحافظ لحـامله، فلا يـدخل فيـه ما ليس منـه، والقرآن جعله الله مهيمنـاً على الكتب، يشهد بمـا فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف.
انظر: البحر المحيط ٣/٥٠١ ـ ٥٠٢.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[1].

إلى قوله:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

الوجه الرابع: إن شريعة التوراة تغلب[3] عليها الشدة، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين، وشريعة القرآن معتدلة جامعة، بين هذا وهذا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[4][5].

وقال في وصف أمته:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[6].

وقال ـ أيضاً ـ:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[7].

---

(١) هذه الآيات لم ترد في ك ولم تشر إليها.

(٢) سورة المائدة: الآيات ١٥ ـ ١٩.

(٣) في ك و ط (يغلب).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٥) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿... **لتكونوا شهداء على الناس**...﴾.

(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩. وبعدها في ط زيادة (إلخ).

(٧) سورة المائدة: الآية ٥٤.

فـوصفهم بالـرحمة للمؤمنين، والـذلـة لهم، والشـدة على الكفـار والعزة عليهم.

وكذلك كان صفة محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نبيهم، أكمـل النبيين وأفضل الرسل، بحيث قال: «أنـا محمد، وأنـا أحمد، وأنـا نبـي الرحمة، وأنا نبـي الملحمة، وأنا نبـي التوبـة، وأنا الضحـوك القتال»[1]

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي: الذي يمحو الله بـي الكفر، وأنا الحاشر: الذي يحشر الناس على قـدمي، وأنا العـاقب». فتـح الباري ٦/٥٥٤ (٣٥٣٢). وروواه مسلم في كتـاب الفضائـل، باب في أسمـائه ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بلفظ قريب من هـذا وبلفظ: «أنا محمـد وأحمد والمقفي والحاشر، ونبـي التـوبة، ونبـي الـرحمة». ٤/١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ (٢٣٥٤ ـ ٢٣٥٥)، ورواه التـرمذي في كتـاب الأدب، باب مـا جاء في أسمـاء النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بلفظ مقـارب للفظ لبخاري ٥/١٣٥ (٢٨٤٠) وقـال: «هـذا حـديث حسن صحيـح». الجامـع الصحيح وهـو سنن الترمـذي، لأبـي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٩٧هـ، ت: محمد فؤاد عبـد الباقي، ط ٢، شـركة مكتبـة مصطفى الحلبـي بمصـر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م، ورواه مـالـك في المـوطـأ في كتـاب أسمـاء النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ مـرسـلاً ٢/١٠٠٤ تصحيـح وتـرقيم: محمـد فؤاد عبـد الباقي، دار إحياء التراث العربـي، بيروت، ورواه الدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب في أسماء النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢/٣١٧ نشر دار إحياء السنة النبوية طبـع دار الكتب العلمية، بيـروت. وَرَواه الإمـام أحمـد عن أبـي مـوسى الأشعـري بلفظ: «سمى لنا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفسه أسماء: منها ما حفظنـاها فقال: «أنا محمـد وأحمد والمقفي والحـاشر، ونبـي الـرحمة». قـال يزيـد: «ونبـي التـوبة ونبـي الملحمـة». كمـا رواه عن حـذيفـة قـال: «بينمـا أنـا أمشي في طـريق المدينة، إذا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمشي، فسمعته يقول: وأنـا محمد وأنا أحمد، ونبـي الـرحمة ونبـي التـوبة، والحـاشر والمقفي ونبـي المـلاحم». قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار ورجـال أحمد رجـال الصحيح غيـر عاصم بن بهـدلة، وهـو ثقة، وفيـه سوء حفظ». الفتـح الربـاني، لترتيب مسنـد الإمام أحمـد بن حنبل الشيباني ٢٠/١٨٨. مع مختصر شرحه بلوغ الأماني . . .، لأحمـد بن عبد الـرحمن البنا، دار إحياء التراث العربـي، بيـروت. ومجمع الـزوائد، ومنبـع الفوائـد، كتاب =

فوصف نفسه بأنه نبي الرحمة والتوبة، وأنه نبي الملحمة، وأنه الضحوك القتال. وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالباً، أو باللين غالباً. وقد قيل: بسبب[1] ذلك: أن بني إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت لقهر[2] فرعون لهم، واستعباد فرعون لهم، فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم، ويزول عنهم ذلك الذل.

ولهذا لما أمروا بالجهاد نَكَلوا[3] عنه، وقال لهم موسى:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

= علامات النبوة، باب في أسمائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٨/٢٨٤ للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ٨٠٧هـ، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م. أما اسم (الضحوك القتال) فقد أورد الإمام السيوطي ـ ٩١١هـ في الخصائص ١/٧٨ طبعة سنة ١٣٢٠هـ بدائرة المعارف النظامية، بحيدرآباد الدكن بالهند، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت. ما أخرجه ابن فارس عن ابن عباس أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «اسمي في التوراة: أحمد الضحوك القتال. . .» الحديث، قال السيوطي: «وقد ألفت كتاباً في شرح أسمائه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً، مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة».

(١) في ط (إن سبب).

(٢) في ط (يقهر).

(٣) النكول هنا معناه: الجبن والتأخر.
انظر: المصباح المنير ٦٢٥.

(٤) سورة المائدة: الآيات ٢١ ـ ٢٤.

وأما أصحاب[1] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فقال له قائلهم يوم بدر[2]: والله لا نقول لك كما قال قوم موسى[3]:

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4].

«لكن نقاتل أمامك ووراءك، وعن يمينك وعن يسارك، والذي بعثك بالحق[5] لو استعرضت[6] بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ولو سرت بنا إلى بِرْك الغِماد[7] لسرنا معك»[8].

---

(١) جمع صحابي: وهو من لقي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مؤمناً به، ومات على الإسلام.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/٧ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ٨٥٢هـ وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣هـ ط ١، مصر ١٣٢٨هـ.

(٢) هو ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة المباركة في رمضان سنة ٢هـ معجم البلدان ١/٣٥٨؛ والسيرة لابن هشام ٢/٢٦٣.

(٣) في ط (كما قالت بنوا إسرائيل، قالوا لموسى).

(٤) سورة المائدة: الآية ٢٤.

(٥) في ط زيادة (نبياً).

(٦) أي لو جئته من جانبه عرضاً لم نبالِ باقتحامه.
انظر: لسان العرب ٧/١٧٧، مادة: عرض، لمحمد بن مكرم بن منظور المصري ـ ٧١١هـ، دار صادر، بيروت.

(٧) موضع وراء مكة بخمس ليال، مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن وهو أقصى حجر ـ بلد باليمن ـ، ومن عنده عبد الله بن جدعان التيمي القرشي.
انظر: معجم البلدان ١/٣٩٩.

(٨) السيرة لابن هشام ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧، وأصله من رواية البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم...﴾، فتح الباري ٧/٢٨٧ (٣٩٥٢)؛ ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ (١٧٧٩)؛ والمسند للإمام أحمد ٣/٢١٩ ـ ٢٢٠.

وكان الكلام قريباً من (بدر) والبحر من جهة الغرب. و (بِرْك الغِماد) مكان من يماني مكة، بينه وبين مكة عدة ليال. والكفار كانوا ــ إذ ذاك ــ بمكة، وأصحابه من ناحية المدينة شامي[1] مكة، فمكة جنوبهم، والبحر غربهم. تقول[2]: لو طلبت أن ندخل بلد العدو، ونذهب[3] إلى تلك الناحية لفعلناه. قالوا: فلما نصر الله بني إسرائيل وأظهرهم، ظهرت فيهم الأحداث بعد ذلك وتجبروا، وقست قلوبهم، وصاروا شبهاً[4] بآل فرعون فبعث الله المسيح ــ عليه السلام ــ باللين والصفح، والعفو عن المسيء، واحتمال أذاه، ليلين أخلاقهم، ويزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة.

فأفرط هؤلاء في اللين، حتى تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وتركوا الحكم بين الناس بالعدل وإقامة الحدود، وترهَّب عُبَّادُهم منفردين. مع أن في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما أنزل الله، وسفك الدماء بغير حق، مما يأمرهم به علماؤهم وعبادهم، ومما لم يأمروهم به، ما شاركوا فيه اليهود.

فبعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالشريعة الكاملة العادلة، وجعل أمته عدلاً خياراً لا ينحرفون إلى هذا الطرف ولا إلى هذا الطرف، بل يشتدون على أعداء الله، ويلينون لأولياء الله، ويستعملون العفو والصفح، فيما كان لنفوسهم، ويستعملون الانتصار والعقوبة، فيما كان حقاً لله[5].

---

(١) في أ (شرقي) والصواب ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٢) في ط (يقول) والفعل منسوب إلى جماعة الصحابة.

(٣) في ك (تذهب).

(٤) في ط (شبيهاً).

(٥) وقد جاء وصفهم بذلك في كتاب الله ــ سبحانه ــ كما في آخر سورة الفتح.

وهذا كان خلق نبيهم، كما في الصحيحين عن عائشة[1] قالت: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده خادماً[2]، ولا امرأةً[3] ولا دابة ولا شيئاً قط إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، ولا نِيْل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلَّا أن تنتهك محارم الله، فإذا انتهكت محارم الله، لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتقم لله»[4].

وفي الصحيح[5] عن أنس أنه قال: «خدمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشر سنين، فما قال لي أفٍ قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: لِمَ لا فعلته[6]؟ وكان بعض أهله

---

(١) سبقت ترجمتها.

(٢) في ط زيادة (له قط) في الموضعين.

(٣) في ط زيادة (وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلَّا أخذ بأيسرهما، إلَّا أن يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد الناس منه).

(٤) الحديث رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للآثام...، ٤/١٨١٤ (٢٣٢٨)، بلفظ: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلَّا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله ـ عز وجل ـ». ورواه أبو داود مختصراً، كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر ٤/٢٥٠ (٤٧٨٦)، مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية. والذي أخرجه البخاري بلفظ: «ما خيِّر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لنفسه إلَّا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»، أخرجه في كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري.

(٥) في ط (الصحيحين).

(٦) في ط زيادة (ولا لما صنعت لم لا صنعت).

إذا عتبوني على شيء يقول: «دعوه، فلو قدر شيء لكان»[١]، هذا[٢] مع قوله ـ في الحديث الصحيح ـ لما سرقت امرأة[٣] كانت من أشرف قريش من بني مخزوم[٤] فأمر بقطع يدها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ فقالوا: من يجترىء عليه إلَّا أسامة بن زيد[٥]؟ فكلموه، فكلمه فيها، فقال: «يا أسامة! أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك من كان قبلكم[٦]: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة

---

(١) سبق تخريجه. ٣/ ١٠٤ رسالة دكتوراه د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عسكر.

(٢) في ط ألحقت كلمة (هذا) بالحديث ووضع القوس بعدها.

(٣) هي فاطمة بنت أبي الأسد ـ أو أبي الأسود ـ بن عبد الأسد. وهي ابنة أخي أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

انظر: أسد الغابة ٢١٨/٦.

(٤) هم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٣/١٢ و ١٤١، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ـ ٤٥٦هـ ،ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٥) هو ابن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة ٥٤هـ وله ٧٥سنة بالمدينة.

انظر: تقريب التهذيب ٥٣/١؛ والاستيعاب في أسماء الأصحاب ٥٧/١ ـ ٥٩ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ـ ٤٦٣هـ بهامش الإصابة في تمييز الصحابة.

(٦) ورد في رواية: «إنما هلك بنو إسرائيل» وفي أخرى: «إنه عطلوا الحدود عن الأغنياء، وأقاموها على الضعفاء. وفيهما ما يبين أن المقصود بالاسم الموصول «من» هم بنو إسرائيل».

انظر: فتح الباري ٩٤/١٢.

بنت محمد[1] سرقت لقطعت يدها[2]!»[3].

ففي شريعته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين أعظم مما[4] في التوراة، وهذا هو غاية الكمال. ولهذا قال بعضهم: بُعثَ موسى بالجلال، وبُعثَ عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال.

الوجه الخامس: إن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم، وذلك نوعان:

أحدهما: أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم، مثل رزقهم الذي لولا هو لماتوا جوعاً، ونصرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوهم، ومثل هداهم الذي لولا هو لضلوا ضلالاً يضرهم في آخرتهم. وهذا النوع من النعمة لا بدّ لهم منه، وإن فقدوه حصل لهم ضرر، إما في الدنيا وإما في الآخرة، وإما فيهما. ولهذا كان في سورة النحل[5]، وهي

---

(١) هي فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أم الحسنين، سيدة نساء هذه الأمة، ماتت بعد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٦٠٩؛ وسير أعلام النبلاء ٢/١١٨ ـ ١٣٤.

(٢) قال محمد بن رمح: «سمعت الليث يقول: قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق، قد أعاذها الله ـ عز وجل ـ أن تسرق. كل مسلم ينبغي له أن يقول هذا».
انظر: سنن ابن ماجه ٢/٨٤، وهو الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ـ ٢٧٣هـ، ط ٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ١٢/٨٧ (٦٧٨٨) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره...، ٣/١٣١٥ (١٦٨٨).

(٤) في ك (ما).

(٥) وهي السورة رقم ١٦ في المصحف الشريف.

سورة النعم، في أولها، أصول النعم[1]، وفي أثنائها كمال النعم.

والنـوع الثـاني: النعم التي تحصـل[2] بهـا من كمـال النعم وعُلُو الدرجة ما لا يحصل بدونها، كما أنهم في الآخرة نوعان: أبـرار أصحاب يمين، ومقـربـون سـابقـون. ومن خـرج عن هـذين كـان من أصحـاب الجحيم.

وإذا كـانت النعمة نـوعين، فـالخلق كـانـوا محتـاجين إلى إرسـال محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من هـذين الوجهين، وحصـل بإرسـاله هذان النوعان من النعمة، فإن الناس بدونه كانوا جهالاً ضالين: أميين[3] وأهل الكتاب منهم.

ولم يكن قد بقي من أهل الكتاب ـ أتباع المسيـح ـ من هو قـائم بالدين، الـذي يوجب السعـادة عند الله في الآخـرة، بل كـانوا قـد بدلـوا وغيروا. وأيضاً فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئاً، ففي إرساله من كمـال النعم وتواصلها[4]، وعلو الدرجات في السعـادة، ما لم يكن حـاصلاً بـالكتاب الأول. فكان إرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نَوْعَي النعيم.

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) في ك و ط (يحصل).

(٣) في ك و ط (أميهم).

الأمّي في كلام العرب: الذي لا يحسن الكتابة، فقيل: نسبـة إلى الأم، لأن الكتابـة مكتسبة، فهو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنـه كان أكثرهم أميين.

انظر: المصباح المنير ٢٣.

(٤) في ط (فواضلها).

ومن استقرأ[1] أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ وإن الذين ردوا رسالته، هم من قال الله فيهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ [3]﴾[4].

ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [6]﴾[7].

الوجه السادس: أن يقال قولهم[8]: «إنا نعجب من هؤلاء القوم...» إلى آخر الفصل، قول جاهل ظالم يستحق أن يقال له: بل

---

(١) في أ و ك (استبرأ) والأظهر ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٣) البوار هو الهلاك. قال الشاعر:

فلم أر مثلهم أبطال حرب غداة الحرب إذ خيف البوار

البحر المحيط ٥/٤١٤.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٣.

(٦) جمع عقب وهي مؤخر القدم.
انظر: المصباح المنير ٤١٩.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٨) القائلون هم النصارى فيما حكاه عنهم (بولس الأنطاكي) كما تقدم أكثر من مرة.

العجب من هذا العجب هو الواجب، بل هو الذي لا ينقضي منه العجب، وإن كل عاقل ليعجب، من عرف دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وَقَصده الحق، ثم اتبع غيره، ويعلم أنه لا يفعل ذلك إلاَّ مُفرِط[1] في الجهل والضلال، أو مُفرِط في الظلم واتباع الهوى.

وذلك أن أهل الأرض نوعان: أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند[2] والترك[3] وغيرهم[4]، كالمجوس من الفرس[5] وغيرهم، وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم.

وأهل الكتاب يُسَلِّمون لنا، أن مَنْ سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منفعة ظاهرة، وأنه دعا جميع طوائف

---

(١) من أفرط أي أسرف وجاوز الحد.
انظر: المصباح المنير ٤٦٩.

(٢) أي أهل الهند، و**الهند**: أرض واسعة في البر والبحر والجبال، وهي متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت.
انظر: مروج الذهب ١/٨٢.

(٣) وهم من الصقالبة، و**الصقالبة**: من ولد مار بن يافث بن نوح، والترك أحسنهم صوراً، وأكثرهم عدداً، وأشدهم بأساً. والترك طوائف منهم الكيماكية والبرسخانية وأشدهم بأساً الغزية، وأحسنهم صورة وأطولهم قامة، وأصبحهم وجوهاً الخزلجية، وهم أهل فرغانة والشاس وما يليهما. والاسم الجامع لبلاد الترك هو «تركستان» وحدّها: الصين والتبت وفاراب، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة.
انظر: مروج الذهب ٢/٣٣ و١/١٣٢؛ ومعجم البلدان ٢/٢٣.

(٤) في ط زيادة واو العطف.

(٥) المستفيض عند الفرس أنهم من ولد «إيرج» وهو ابن أفريدون بن أثقابان بن جمشيد ابن ملك الأقاليم السبعة، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن أول ملوكه هو «كيومرت» وهو أميم بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح.
انظر: مروج الذهب ١/٢٢٤ و٢٣٨.

المشركين والمجوس والصابئين إلى خير مما كانوا عليه، بل كانوا[١] أحوج الناس إلى رسالته. وأما أهل الكتاب: فاليهود مسلمون[٢] لنا حاجة النصارى إليه، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه. والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود إليه، وأنه دعاهم إلى خير مما كانوا عليه.

فما من طائفة من طوائف أهل الأرض إلَّا وهم مقرون بأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ دعا سائر الطوائف[٣] غيرهم، إلى خير مما كانوا عليه. هذه شهادة من جميع أهل الأرض بأنه دعا أهل الأرض إلى خير مما كانوا عليه. فإن شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم، إذ كانوا غير متهمين عليهم، فإنهم معادون لمحمد وأمته[٤]، معادون لسائر الطوائف. وأما شهادتهم لأنفسهم فغير مقبولة، فإنهم خصومه، وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة.

وقد اعترف الفلاسفة بأنه، لم يقرع العالم ناموس[٥] بأفضل[٦] من ناموسه، واعترفوا بأنه أفضل من ناموس موسى والمسيح ـ عليهما[٧] الصلاة السلام ـ بل كان[٨] لهم من الطعن[٩] في نواميس غيره، ما ليس

---

(١) في ط زيادة (من).
(٢) في ط (يسلمون).
(٣) في ط زيادة (واو العطف).
(٤) في ك و ط زيادة (الواو).
(٥) ناموس: اسم يوناني الأصل معناه «شريعة أو قانون» قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٩٧٨.
(٦) في ك و ط (أفضل).
(٧) في أ و ك (عليهم).
(٨) سقطت (كان) من ط.
(٩) هو القدح والعيب.
انظر: المصباح المنير ٣٧٣.

هذا موضع ذكره. بخلاف ناموس محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فإنه لم يطعن فيه أحد منهم، إلَّا من كان خارجاً عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم ــ وأما[1] من التزم منهم الكلام بعلم وعدل، فهم متفقون على أن ناموس محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أفضل ناموس طرق[2] العالم، فكيف يُعجب[3] من مثل هذا الناموس؟!

الوجه السابع: أن يقال لأهل الكتاب خصوصاً، فيقال لليهود: أنتم أذل الأمم، فلو قدر أن ما أنتم عليه دين الله الذي لم يبدل، فهو مغلوب مقهور في جميع الأرض، فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولاً يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، حتى يصير دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، منصوراً ظاهراً بالحجة والبيان والسيف والسنان[4]؟!

ويقال للنصارى: أنتم لم تخلِّصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين، بل أخذتم من أصول المشركين[5] والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم، ما أدخلتموه في دينكم، وليس لكم على أكثر[6] الكفار[7]، حجة علمية، ولا يد قهرية، بل للكفار في

---

(١) في ك و ط (فأما).

(٢) بمعنى طلع، وكل ما أتى ليلًا فقط طرق.
انظر: المصباح المنير ٣٧٢.

(٣) في ك (تعجب)، وفي ط (يتعجب).

(٤) في أ (البنان) والأصح ما في ك و ط. وهو ما أثبتناه.
السنان: هو سنان الرمح، وجمعه: أسنة.
انظر: مختار الصحاح ٣١٧.

(٥) في ط بدون عطف.

(٦) في ط زيادة (على) هنا.

(٧) في ك و ط زيادة (لا).

قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم، ما أنتم به من أضعف الأمم حجة، وأضيقها محجة[1]، وأبعدها عن العلم والبيان، وأعجزها عن إقامة الحجة والبرهان، تارة تخافون من الكفار والفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين، فإما أن توافقوهم على أقوالهم وإما أن تخضعوا لهم متواضعين. وتارة تخافون من سيوف المشركين، فإما أن تتركوا بعض دينكم لأجلهم، وأما أن تذلوا لهم خاضعين.

ففيكم من ضعف سلطان الحجة، وضعف سلطان النصرة، ما يظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه. فالعجب منكم، كيف تعدلون عما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة إلى ما فيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة؟ هذا هو العجب! ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وفي خلافه، شقاوة الدنيا والآخرة.

ومثل هذا لا يرد على المسلمين، فإنه لم يزل ولا يزال فيه طائفة قائمة بالهدي ودين الحق، ظاهرة بالحجة والبيان، واليد والسنان[2]، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، كما ثبت في الصحاح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» وفي لفظ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بأمره»[3].

---

(١) **المحجة**: جادة الطريق.
انظر: مختار الصحاح ١٢٣.

(٢) في ط (اللسان).

(٣) سبق تخريجه. ١ / ٩٢ رسالة دكتوراه د. علي بن حسن بن ناصر من طبعتنا هذه.

الوجه الثامن: أن يقال لأهل الكتاب: لليهود: أنتم لما كنتم متبعين لموسى[1] ـ عليه السلام ـ كنتم على الهدى ودين الحق، وكنتم[2] منصورين، ثم كثرت فيكم الأحداث التي تعرفونها، كما قال ـ تعالى[3] ـ :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾[4].

وقوله ـ تعالى[5] ـ : ﴿وعبد الطاغوت﴾، معطوف على[6] (لعنه الله)، أي من لعنه الله وغضب عليهم[7] وعبد هو الطاغوت، ليس هو[8] داخلاً في خبر جعل[9]، حتى يلزم إشكال كما ظنه بعض الناس.

وأهل الكتاب معترفون بأن اليهود عبدوا الأصنام مرات، وقتلوا الأنبياء.

---

(١) في ط (موسى).
(٢) في ط (فكنتم).
(٣) في ط زيادة (لكم).
(٤) سورة المائدة: الآيتان ٥٩ ـ ٦٠.
(٥) لم ترد كلمة التقديس في ك ولا ط.
(٦) في ط زيادة (قوله).
(٧) في ط (عليه).
(٨) سقطت (هو) من ط.
(٩) انظر: البحر المحيط ٣/٥١٨ ـ ٥٦٩؛ وإملاء ما منَّ به الرحمن، من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ١/٢٢٠ ـ ٢٢١ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ـ ٦١٦هـ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ [1] وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ [2] عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا [3] ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا [4] ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [5]﴾ [6].

وهم معترفون بأن بيت المقدس[7] خرب مرتين.

---

(١) أي: طافوا وسط البيوت، يغدون ويروحون للتفتيش عنكم، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب، لا يخافون من أحد.
انظر: صفوة التفسير ١٥/١٥٢.

(٢) **الكرة**: الدولة والغلبة.

(٣) **نفيراً**: عدداً ورجالاً.

(٤) **تتبيراً**: تدميراً وإهلاكاً.

(٥) **حصيراً**: محبساً وسجناً.
انظر: المصدر السابق ١٥/١٥٢ ـ ١٥٣.

(٦) سورة الإسراء: الآيات ٤ ـ ٨.

(٧) **بيت المقدس**: أي البيت المطهر، الذي يتطهر به من الذنوب، وهو مسجد كبير متبسع الأقطار، وسط مدينة كبيرة تسمى القدس (فك الله أسرها) وهي على جبل بين جبال شامخة، بها قرى، والمسجد في طرفها القبلي من شرقيها، قد بني على سطح جبل، وفي وسط المسجد جبل صغير، أعلاه الصخرة المشهورة التي كان بنو إسرائيل يقربون عليها القربان، وهي القدس ومدينة القدس تسمى «إيلياء» وهي قصبة (عاصمة) فلسطين، وفلسطين آخر كور (مناطق) الشام من ناحية مصر.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٦ و١٠٤٢ و١/١٣٨.

فالخراب الأول لما جاء «بخت نصر» وسباهم إلى بابل، وبقي خراباً سبعين سنة[1]. والخراب الثاني: بعد المسيح بنحو سبعين سنة.
وقد قيل: هذا تأويل قوله:
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾[2].

فبعد الخراب الثاني، تفرقوا في الأرض، ولم يبق لهم ملك. وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار. وبعث المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم كذلك.

ويقال للنصارى: أنتم ما زلتم مقهورين مغلوبين مبددين في الأرض، حتى ظهر قسطنطين وأقام دين النصرانية بالسيف، وقتل من خالفه من المشركين واليهود. لكن أظهر ديناً مبدلاً مغيراً، ليس هو دين المسيح ـ عليه السلام ـ ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس كفاراً[3]: المجوس وغيرهم، مجوساً ومشركين. وكانوا في بعض الأزمنة يقهرون النصارى على بلادهم. وأما أرض المشرق والمغرب ففيهما من أنواع المشركين أمم. وكان الشرك والكفر ظاهراً في أرض اليمن والحجاز[4] والشام والعراق، فلما بعث الله محمداً ـ صلّى الله عليه

---

(١) وقد كان سنة ٦٠٥ و٥٩٧ و٥٨٧ و٥٨٢ق. م في زمن النبي دانيال ـ عليه السلام ـ.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٥٨.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٨.
(٣) في ك و ط زيادة (من).
(٤) **الحجاز**: جبل ممتد حال بين الغور (المطمئن من أرض) تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما.
انظر: معجم البلدان ٢/٢١٨.

وسلَّم ـ أظهر به توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ظهوراً لم يُعرف في أمة من الأمم، ولم يحصل مثله لنبي من الأنبياء، وأظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والإنجيل والزبور، وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل ما لم يكن ظاهراً، لا عند أهل الكتاب ولا غيرهم، فأهل الكتاب وإن كانوا خيراً من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الإيمان بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا شرائع دينه، ولا كانوا قاهرين لأكثر الكفار، [1]ولا كانوا منصورين عليهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ. . . ﴾[2].

أما اليهود ففيهم من التنقص من الأنبياء[3] في سبهم[4]، وذكر عيوب نزههم الله عنها[5]، ما هو معروف. حتى إن منهم من يقول: أن سليمان كان ساحراً، وداود كان منجماً[6] لم يكن نبياً، إلى أمثال ذلك

---

(١) في ك و ط زيادة (بل).
انظر: تاريخ بني إسرائيل، من أسفارهم: ٤٧ وغيرها، وهو كتاب قيم موثق مختصر، لمحمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م. ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود ١٥٨ ـ ١٦٠، د. عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة المنار، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) في ك و ط (بالأنبياء).

(٤) في ك و ط (وسبهم).

(٥) في ك و ط (منها).

(٦) في أ (مسبحا) والصحيح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

مما يطول وصفه. ففيهم[1] من الكفر بالأنبياء، من جنس ما كان في سلفهم الخبيث.

وأما النصارى ـ فمع غلوهم في المسيح وأتباعه ـ يستخفون بغيره، فتارة يجعلون الحواريين مثل إبراهيم وموسى أو أفضل منهم، وتارة يقولون ـ كما قال اليهود ـ : «إن سليمان لم يكن نبياً، بل سقط من النبوة»، وتارة يجعلون ما خاطب الله به داود وغيره من الأنبياء إنما أريد به المسيح. مع أن اللفظ لا يدل على ذلك، بل يتأولون[2] كتب الله بمجرد هوى أنفسهم، وتارة يقولون: إن الواحد منهم إذا أطاع الله بما يزعمون أنه طاعة، صار مثل واحد من الأنبياء[3]، ويسوغون لمثل هؤلاء أن يغيروا شرائع الأنبياء، ويضعوا ديناً ابتدعوه[4].

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه إبراهيم وموسى وسائر الرسل، وآمنوا بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول بعثه الله، وأقاموا دين الرحمن إقامة لم يقمها أحد من الأمم، فعامة أهل الأرض مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ـ : إما مؤمن به باطناً وظاهراً، وهم أولياء الله المتقون، وحزبه المفلحون، وجنده الغالبون. وإما مسلمون له في الظاهر، تقية[6] وخوفاً من أمته، وهم المنافقون،

---

(١) في أ (فيهم).

(٢) أو الكلام تأويلاً، وتأوله: دبره وقدره وفسره.
انظر: ترتيب القاموس ١/١٩٧.

(٣) في ك و ط زيادة (وأفضل منه، ووجب طاعته، كما تجب طاعة الأنبياء).

(٤) **البدعة**: الحدث في الدين بعد الإكمال. انظر: ترتيب القاموس ١/٢٣٠.

(٥) لم ترد في ك جملة (مع محمد)، ولم ترد فيها ولا في ط الجملة الدعائية.

(٦) في ك و ط (قاهراً).
هي الموالاة والمعاشرة والمحالفة الظاهرة، لأنهم يحذرون من جهتهم أمراً يريدون اتقاءه.
انظر: الكشاف ١/٤٢٢.

وإما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة: وهم أهل الذمة والهدنة في جميع الأرض، وإما خائفون من أمته.

وحيث كان الواحد والطائفة من أمته متمسكاً بدينه، كان نوره ظاهراً، وبرهانه باهراً[1]، معظماً منصوراً، يُعرف فضله على كل من سواه.

وهذا أمر يعرفه الناس في أرض الكفار من المشركين وأهل الكتاب، لما خص الله به محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ وأمته من الهدى ودين الحق. وقد أظهروا دين الرب في مشارق الأرض ومغاربها، بالقول والعمل. فهل يقول من[3] عنده علم وعدل: إنه لا فائدة في إرسال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ــ وأنه يُستغنى بما عند أهل الكتاب عن رسالته؟!.

الوجه التاسع: أن يقال: هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع، فإنه أقام توحيد الله ودينه[5] فيهم، وأنه عظَّم المسيح، وردّ على اليهود قولهم فيه، وأهانهم، وحينئذٍ فهذا من أعظم الفوائد، وأجل المقاصد، وأعظم نعم الله على عباده. ثم هو ــ مع ذلك ــ قال: إن الله أرسله وأمره بذلك.

---

(١) في ك و ط (قاهراً).
(٢) في أ (محمد) بغير النصب وقد اعتمدنا ما في ك و ط وهو النصب، ولم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.
(٣) في ط (عاقل ممن).
(٤) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.
(٥) لم ترد (ودينه) في ك.

فإن كان كاذباً، فالكذاب المفتري على الله من شر الكفار، ومن يكون كذلك لا يحصل منه هذا الخير العظيم، الذي ما حصل مثله من أحد من الأنبياء، فإنه أزال دين المشركين، ودين المجوس، وقَمَع[1] اليهود. وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليه أحد قبله من الأنبياء والمرسلين.

وإن كان صادقاً. فهو قد أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من الأمم، وأخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به، وهذا الوجه ممن يخاطَب به كل صنف، فيقال لكل صنف من الأمم: أنتم معترفون بأن من سواكم إذا اتبعوا دين محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ كان خيراً لهم مما هم عليه. فاليهود معترفة بأن النصارى إذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين النصارى. والنصارى معترفون بأن اليهود إذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين اليهود. وأهل الكتاب: اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم إذا اتبعوا محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ــ كان خيراً لهم مما هم عليه.

فالمجوس والمشركون من العرب، والسودان[4] والترك وأصناف

---

(١) أي أذلهم وأهانهم.
انظر: المصباح المنير ٥١٦.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٣) لم يرد الاسم الشريف في ط، ولم يرد فيها ولا في ك الجملة الدعائية.

(٤) السودان: اسم يطلق على الأرض الشاسعة من أفريقيا، المحصورة بين الصحراء وخليج غينيا وحوض نهر الكونغو. وهو ثلاثة أقسام: السودان الشرقي والأوسط والغربي، وأغلب سكان الشرقي والأوسط مسلمون وأما الغربي فزنوج.
انظر: دائرة معارف وجدي ٥/٣١٧ ــ ٣١٩.

الخزر[1] والصقالبة[2]، إذا اتبعوه كان خيراً لهم مما هم عليه. وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أَتباعه خير من غيرهم[3]. ومن ليس من أهل الكتاب: عامتهم معترفون بأن دين المسلمين خير من دين[4] اليهود والنصارى. وحينئذٍ فيقال: من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع أهل الأرض على غيره، يمتنع أن يكون من أكفر الناس وأحقهم بغضب الله وعقابه. وكل من قال: إنه رسول الله. فإن كان صادقاً، كان من خير أهل الأرض وأحقهم برضوان الله وثوابه. وإن كان كاذباً، كان من شر أهل الأرض وأحقهم بغضب الله وعقابه. ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى، وما فيه صلاح الدنيا والآخرة، أعظم مما حصل من جميع الخلق: يمتنع أن يكون من أكفر الناس، المستحقين لغضب الله وعقابه، فوجب أن يكون من خير أهل الأرض، * بل هو خير أهل الأرض *[5] وأحقهم برضوان الله وثوابه.

الوجه العاشر: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كانت سنته قبل إنزال

---

(١) الخزر: أمة من ولد يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ وهو الأصغر من ولد نوح، وبلادهم حول جبل القبخ في خراسان، تهود ملكهم في خلافة هارون الرشيد ثم أسلموا سنة ٣٥٤هـ.
انظر: مروج الذهب ٢/٣٤ و ١/١٧٦ و ١٧٨؛ والبداية والنهاية ١١/٢٥٦.

(٢) الصقالبة: من ولد مار بن يافث بن نوح ـ عليه السلام ـ، وإليه يرجع سائر أصناف الصقالبة، وبه يلحقون في أنسابهم، ومساكنهم بالجدي إلى أن يتصلوا بالمغرب، وهم أجناس مختلفة، وبينهم حروب ولهم ملوك منهم كتابيون ومنهم جاهليون.
انظر: مروج الذهب ٢/٣٢.

(٣) في ط (غيره).

(٤) سقطت (دين) من ط.

(٥) ما بين النجمتين زيادة من ط. وهي زيادة حسنة جداً.

التوراة، إذا كُذِّب نبي من الأنبياء[1] ينتقم الله[2] من أعدائه بعذاب من عنده، كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر[3]، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة[4]، وقوم لوط بالحاصب[5]، وقوم فرعون بالغرق، قال ــ تعالى ــ :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[6].

فلما أنزل التوراة، أمر أهل الكتاب بالجهاد، فمنهم من نَكَل، ومنهم من أطاع.

وصار المقصود بالرسالة لا يحصل إلاَّ بالعلم والقدرة كما قال ــ تعالى ــ :

---

(١) في ط زيادة (أن).

(٢) في ك و ط (ينتقم له).

(٣) **الريح الصرصر**: هي الريح الباردة المحرقة، كما تحرق النار، قاله الفراء والزجاج، وقال السدي وغيره: **الصرصر**: من صرصر: إذا صَوَّت.
انظر: البحر المحيط ٤٨١/٧ و ٤٩٠.

(٤) **الظلة**: هي حر شديد جداً، مدة سبعة أيام، لا يُكِنُّهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله ــ تعالى ــ عليهم شرراً من نار ولهباً ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١٧٠/٦ للحافظ إسماعيل بن كثير ــ ٧٧٤هـ ت: د. محمد البنا وزميله. دار الشعب، القاهرة.

(٥) **الحاصب**: هي الريح العاتية التي تحمل حصباء الأرض فتقلبها عليهم، والمؤلف هنا أخذ بالرواية الواردة عن ابن عباس وقتادة، والتي استبعدها ابن كثير.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٨٨/٦.

(٦) سورة القصص: الآية ٤٣.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾[1]

فقول هؤلاء: «إن التوراة جاءت بالعدل، والإنجيل بالفضل، فلا حاجة إلى غيرهما» لو قدر أنه حق، إنما يستقيم إذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا مُتَّبَعَيْن علماً وعملاً، وكان أهلهما[2] مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم، فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه، وأهلهما غير منصورين على سائر[3] الكفار؟! بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض، كأرض اليمن والحجاز، وسائر جزيرة العرب، وأرض العراق وخراسان والمغرب[4]، وأرض الهند والسند[5] والترك. وكان بأيدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك، ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك. ثم إن الله أظهر النصارى عليهم، فكان ظهورهم توطئة وتمهيداً لإظهار دين الإسلام.

فإن الفرس المجوس، لما غلبوا الروم[6]، ساء ذلك النبي

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) في ك (أهلها).

(٣) سقطت (سائر) من ط.

(٤) في أ (الغرب) بدون ميم، وقد رجحنا ما في ك و ط حيث أنه الموجود في معجم البلدان والمراصد.

المغرب ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كبيرة، قيل: حدها من مدينة «مليانة». وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس، التي وراءها البحر المحيط، فتدخل فيه جزيرة الأندلس.

انظر: معجم البلدان ١٦١/٥؛ ومراصد الاطلاع ١٢٩٣/٣.

(٥) **السند**: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ومدينتها (المنصورة).

انظر: مراصد الاطلاع ٧٤٦/٢.

(٦) جيل معروف، في بلاد واسعة، تضاف إليهم فيقال: بلاد الروم. ومشارق بلادهم =

ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والمؤمنين به، وفرح بذلك مشركوا العرب، وكانوا أكثر من المؤمنين، لأن أهل الكتاب أقرب إلى المؤمنين من المجوس، والمجوس أقرب إلى المشركين منهم إلى أهل الكتاب، ووعد الله المؤمنين أن تَغْلِبَ الروم بعد ذلك، وأنه يومئذٍ:

﴿... يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ...﴾[1].

فأضاف النُّصرة إلى اسم الله[2]، ولم يقل: بنصر الله إياهم. وذلك أنه حين ظهرت الروم على فارس، كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود.

وأرسل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر إلى الإيمان به، فعرفوه وعرفوا أنه النبي المُبَشَّر به، وكان ذلك أول ظهور دينه. ثم أرسل طائفة من أصحابه إلى غيرهم[3]، ثم خرج بالمسلمين بنفسه[4] معهم عام تبوك إلى الشام، ثم فتح هذه البلاد أصحابه، فكان تأييد دين الله وظهوره، وإذلال المشركين

= وشمالهم: الترك والروس والخزر، وجنوبهم: الشام والإسكندرية، ومغاربهم: البحر والأندلس، وكانت أنطاكية دار ملكهم، إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم. وقد قيل في نسبهم أن جدهم: رومي بن ليطن بن يونان بن يافث بن برية بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روين بن الأصفر بن النضر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٤٢؛ ومروج الذهب ١/٣٠٨.

(١) سورة الروم: الآية ١ ــ ٤.
(٢) في ط زيادة (الذي هو الفاعل).
(٣) في ط (إلى مؤتة).
(٤) لم ترد (بنفسه) في ط.

والمجوس وغيرهم من الكفار[١]، على يديه ويدي أمته، لا على يد اليهود[٢] والنصارى.

فلو قُدِّر أن شرع أولئك كامل لا تبديل فيه، لكان مغلوباً مقهوراً، وكان الله قد أرسل من يؤيد دينه، ويظهره، فكيف وهو مبدّل؟! ولو لم يبدل فدين أحمد أكمل وأفضل منه، فذاك مفضول مبدل، وهذا فاضل لم يبدل، وذلك مغلوب مقهور، وهذا مؤيد منصور، وببعض هذا تحصل الفائدة في إرساله!.

فكان من أجلِّ الفوائد إرسال محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فكيف يقال: إنه لا فائدة في إرساله.

الوجه الحادي عشر: قولهم: «لما كان الباري عدلاً جواداً[٣] أوجب أن يظهر عدله وجوده». فيقال لهم: جود الجواد: غير إلزام الناس بترك حقوقهم. فإن الجواد هو الذي يحسن إلى الناس، ليس هو الذي يلزم الناس بترك حقوقهم. وهؤلاء يزعمون أن شريعة الإنجيل ألزمت الناس بترك حقوقهم، وأنه لا ينصف مظلوم من ظالمه، ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس، بل الحكم عندهم حكمان: حكم الكنسية، وليس فيه[٤] إنصاف المظلوم من الظالم. والثاني: حكم الملوك، وليس هو شرعاً منزلاً، بل هو بحسب آراء الملوك.

ولهذا تجدهم يردون الناس إلى حكم شرع الإسلام في الدماء

---

(١) سقطت (من الكفار) من أ و ك، وقد أثبتناها من ط.

(٢) في أ زيادة (من الكفار)، ولا تلتئم في السياق. ولهذا لم نثبتها.

(٣) **الجود**: السخاء والتكرم.
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٢؛ والمصباح المنير ١١٣.

(٤) في أ و ك (فيهم) والأصح ما في ط ولهذا اعتمدناه.

والأمـوال ونحو ذلـك، حتى في بعض بلادهم يكـون الملك والعسكر[1] كلهم نصارى، وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم، فيردون الناس في الدماء والأموال إلى حكم شرع المسلمين. وذلك أن الدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه، فالحاكم الذي يحكم بين النـاس: متى حكم على المـظلوم بتـرك حقـه، كـان حـاكمـاً بـالـظلم لا بالعدل.

ولو أمرنـا كل وَليٍّ مقتـول أن لا يقتص من القاتـل، وكلَّ صـاحب دَيْنٍ أن لا يطالب غريمه، بل يَـدَعَهُ على اختيـاره، وكل مشتـوم ومضروب أن لا ينتصف من ظـالمـه، لم يكن للظالمين زاجـر يـزجـرهم، وظَلَم الأقوياء الضعفاء، وفسدت الأرض، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[2].

فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل، ولا بد ـ مع ذلك ـ من نَدْبِ الناس إلى العفو والأخذ بالفضل.

وهذه شريعة الإسلام كما تقدم ما ذكرنا[3] من الآيات، مثل قوله:

﴿... وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ...﴾[4].

---

(١) في ط زيادة (وأكثر أهل البلد) وليس فيها (كلهم).
العسكر: الجيش. قال ابن الجواليقي: فارسي معرب.
انظر: المصباح المنير: ٤٠٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٣) في ك و ط (ذكرناه).
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٥.

وقوله[1]:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[2].

وقوله:

﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...﴾[3].

وقوله:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾[4].

وقوله:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾[5].

وقوله:

﴿... وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا...﴾[6].

---

(١) لم ترد (وقوله) في أ ولا ك، وقد أثبتناها كما في ط.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.

وفي ط زيادة:

﴿... إنه لا يحب الظالمين﴾.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

وفي ط زيادة وهي: (وقوله):

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ [سورة الشورى: الآيتان ٤١ ــ ٤٢].

(٦) سورة النساء: الآية ٩٢.

وقـولـه:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

وقـال أنس: «ما رُفِـعَ للنبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أمـر[2] فيه القصاص، إلَّا أمر فيه بالعفو»[3] فكان يأمر بـالعفو، ولا يلزم النـاس به. ولهـذا لمـا عتقت (بَـريـرَة)[4]، وكـان لهـا أن تفســخ النكـاح، وطلب زوجها[5] أن لا تفارقـه، شفع[6] إليهـا أن لا تفارقـه، فقالت: أتـأمرني؟ قال: «لا، إنما أنا شافع»[7]، فلم يوجب عليها قبول شفاعته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

الوجه الثاني عشر: قولهم: «ولما كان الكمال الـذي هو الفضـل،

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.

(٢) في ك و ط زيادة (شيء).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الديات، باب الإمام يـأمر بـالعفو في الـدم ٤/١٦٩ (٤٤٩٧). والنسـائي، كتاب القسـامة، الأمـر بالعفـو عن القصاص ٨/٣٧ ــ ٣٨ من طـريقين، وابن مـاجه، أبـواب الديـات، العفـو في القصـاص ٢/١١٣ (٢٧٢٤)، وأحمـد في المسند ٣/٢١٣ و٢٥٢، قال الشيخ عبد القادر الأرناؤط: و«إسنـاده حسن». هامش جامع الأصول: ١٠/٢٧٤.

(٤) هي مولاة عائشة ــ رضي الله عنها ــ وكانت مولاة لبعض بني هلال، وقيل: غيرهم. عاشت إلى زمن يزيد بن معاوية.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٩؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٠٣.
في ك و ط زيادة (جارية عائشة زوج النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ).

(٥) واسمه: مغيث. الحديث رقم (٥٢٨٣) من فتح الباري ٩/٤٠٨.

(٦) في ك و ط (فشفع).

(٧) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ في زوج بريرة، ٩/٤٠٨ (٥٢٨٣) من فتـح الباري. ورواه مسلم، كتـاب العتق، باب: إنمـا الولاء لمن أعتق ٢/١١٤٣ (١٥٠٤).

لا يمكن أن يضعه إلَّا أكمل الكُمَّال»[1]، فيقال لهم: العدل والفضل لا يشرعه إلَّا الله، فشريعة التوراة لم يشرعها إلَّا الله، وشريعة الإنجيل لم يشرعها إلَّا الله ــ عز وجل ــ.

يبين ذلك أن الله كلم موسى من الشجرة تكليماً، وهو غاية ما قرروا به إلٓهية المسيح: أن زعموا أن الله كلم الناس من ناسوت المسيح، كما كلم موسى من الشجرة. ومعلوم عند كل عاقل، لو كان هذا حقاً أن تكليمه لموسى من الشجرة أعظم تكليم كلمه الله لعباده، فكيف يقال: إن شريعة العدل لم يشرعها الله ــ عز وجل ــ؟.

ثم يقال لهم: بل شريعة العدل أحق بأن تضاف إلى الله من شريعة الفضل، فإن الأمر بالإحسان والعفو يحسنه كل أحد[2]. وأما معرفة[3] العدل والحكم بين الناس به، فلا يقدر عليه إلَّا آحاد الناس. ولهذا يوجد الذي يُصلح[4] بين الناس بالإحسان خلق كثير. وأما الذي يحسن أن يفصل بينهم بالعدل، فناس قليل. فكيف يقال: إن الذي يأمر بشرع الفضل هو الله، دون الذي يأمر بشرع العدل؟!.

والله ــ تعالى ــ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليقوم الناس بالقسط[5]، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

---

(١) في أ سقطت (الكُمَّال) وقد أثبتناها من ك و ط.

(٢) في ط (واحد).

(٣) في ط (شريعة).

(٤) في ك (الذين يصلح)، في ط (من الذين يصلحون).

(٥) **القسط**: العدل. وهو من أسماء الأضداد. قاله ابن القطاع.
انظر: المصباح ٣ ــ ٥.

لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وأَمْر المسيح ــ عليه السلام ــ للمظلوم بالعفو عن الظالم: ليس فيه ما يدل على أنه من الواجب الذي مَنْ تركه استحق الذم والعقاب، بل هو من المرغّب فيه، الذي من فعله استحق المدح والثواب. وموسى ــ عليه السلام ــ أوجب العدل الذي من تركه استحق الذم والعقاب. وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل، وبين استحباب الفضل.

لكن إيجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله. فذاك فيه رهبة مع ما فيه من الرغبة. وهذا فيه رغبة بلا رهبة، ولهذا قال المسيح ــ عليه السلام ــ :

﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[2] .

ولهذا قيل: إن المسيح ــ عليه السلام ــ بُعِثَ لتكميل التوراة، فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: يقول الله ــ تعالى ــ : «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٧، ١١٨.

حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الـذي يَسْمَعُ بـه، وبصره الـذي يبصر بـه، ويده التي يبـطش بها، ورجله التي يمشي بهـا، فبـي يسمع، وبـي يبصـر، وبـي يبطش، وبـي يمشي، ولئن سـألني لأعطينـه، ولئن استعاذ بـي لأعيـذنه، ومـا ترددت عن شيء أنـا فـاعله، تـرددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه»[1].

وإلاَّ فلو قيل: إن المسيح ـ عليـه السلام ـ أوجب على المـظلوم العفـو عن الـظالم، بمعنى: أنـه يستحق الـوعيـد والـذم والعقـاب[2] إن

---

(١) لفظ البخاري: عن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنتـه بالحـرب، وما تقـرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ومـا يزال عبـدي يتقرب إليَّ بـالنوافـل حتى أحبه، فـإذا أحببته كنت سمعه الذي يَسْمَعُ به، وبصـره الذي يبصـر به، ويـده التي يبطش بهـا، ورجله التي يمشي بهـا. وإن سألني لأعـطينه، ولئن استعـاذ بـي لأعيذنـه، وما تـرددت عن شيء أنـا فـاعله تـرددي عن نفس المؤمن، يكـره المـوت وأنا أكره مساءته»: كتـاب الرقاق، باب التواضع ١١/٣٤٠ ـ ٣٤٣ (٦٥٠٢) من فتح البـاري، وذكر ابن حجـر في شرحه في هـذا الموضـع أن للحديث طـرق أخرى ـ أي غيـر إسناد البخـاري ـ منها عن عائشة أخرجـه أحمد في الـزهد، وابن أبـي الـدنيا، وأبـو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والطبراني، والاسماعيلي، وعن أنس ـ وهو اللفظ الـذي ساقـه الشيخ المؤلف «. . . فقد بارزني . . .». أخرجه أبو يعلى والبـزار وابن ماجـه. وقال ابن حجر: «وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مـع أن المخلوق في أَسْـر الخالق، والجـواب: أنه من المخـاطبة بمـا يُفهَم، فـإن الحـرب تنشـأ عن العداوة، والعداوة تنشأ عن المخالفة، وغايـة الحرب الهـلاك، والله لا يغلبه غـالـب، فكان المعنى: فقد تعرض لإهلاكي إياه. فأطلق الحرب، وأراد لازمه: أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب». ونقل عن الفاكهاني قوله: (في هـذا تهديـد شديـد، لأن من حـارب الله أهلكه، وهـو من المجاز البليـغ، لأن من كره من أحب الله: خـالـف الله، ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هـذا في جانب المعـاداة: ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله).

(٢) في ك و ط (مستحق للوعيد وللذم والعقاب).

لم يعف عنه، لزم من هذا أن يكون كل من انتصف من الظالم ظالماً مستحقاً للذم والعقاب، وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف، فإن الظالم ظلمه أولاً، فلما انتصف منه ظلم ظلماً ثانياً، فهو ظلم العادل[1] انتصف من ظالمه.

وما أحسن كلام الله حيث يقول:

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

وقال:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

فهذا من أحسن الكلام وأعدله وأفضله، حيث شرع[4] العدل، فقال:

---

(١) في أ (للعادل) وحذف إحدى اللامين أصح.
(٢) سورة الشورى: الآيات ٣٦ ــ ٤٣.
(٣) سورة الحج: الآية ٦٠.
(٤) في ك و ط (يشرع).

﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[1].

ثم ندب إلى الفضل، فقال:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

ولما ندب إلى العفو. ذكر أنه لا لوم على المنتصف، لئلا يُظَن أن العفو فرض، فقال:

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

ثم بين أن السبيل إنما يكون على الظالمين، فقال:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[4].

ثم لما رفع عنهم السبيل، ندبهم مع ذلك إلى الصبر والعفو، فقال:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[5].

فهذا أحسن شرع وأحكمه[6]، يرغب في الصبر والغفر[7] والعفو والإصلاح بغاية الترغيب، ويذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤٠.
(٣) سورة الشورى: الآية ٤١.
(٤) سورة الشورى: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣.
(٥) سورة الشورى: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣.
(٦) في ك و ط (وأجمله).
(٧) سقطت (والغفر) من ط.

العاقبة، ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعذل[1]، ويبين أنه لا حرج عليه ولا سبيل إذا انتصر بعد ما ظلم.

فهل يمكن أن تأتي شريعة بأن[2] تجعل على المنتصف سبيلاً مع عدله، وهي لا تجعل على الظالم سبيلاً مع ظلمه؟!.

فعلم أن ما أمر به المسيح من العفو لم يكن لأن تاركه مستحق للذم والعقاب، بل لأنه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الأجر والثواب، وهذا حق لا يناقض شرع التوراة. فعلم أن شرع الإنجيل، لم يناقض شرع التوراة، إذ كان فرعاً عليها، ومكملاً لها. وحينئذ: فزعمهم أن شرع الإنجيل شرعه الله، دون شرع التوراة، كلام من هو من أجهل الناس[3] وأضلهم، ولهذا كان هذا فرعاً على قولهم بالاتحاد، وأن المسيح هو الله.

فذاك الضلال مما[4] أوجب هذا القول المحال[5].

• • •

(١) جاءت في جميع النسخ بالدال المهملة (العدل) والذي يظهر أنها (العذل) بالذال المعجمة وهو ما أثبتناه.

(٢) سقطت (بأن) من ط.

(٣) في أ لم تثبت كلمة (الناس) في الصلب. وأضاف الناسخ في الهامش قوله: لعله (الناس).

(٤) سقطت (مما) من ك و ط.

(٥) المحال: هو الباطل غير الممكن الوقوع.
انظر: المصباح المنير: ١٥٧.

فصل

بطلان استدلالهم بما يدعون أنه من كلام الأنبياء السابقين

وجميع ما احتجوا به من التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الأنبياء ــ عليهم السلام ــ إنما يكون[1] الحجة فيه علمية برهانية، إذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه، بأن بينوا إمكان النبوة، ثم بينوا[2] وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي.

وهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، بل احتجوا بذلك، بناء[3] على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهم، وهذا لا ينفعهم لوجوه:

أحدها: أن فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين أنه نبي، كميخا[4]، وعاموص.

---

(١) في ك و ط (تبينوا).

(٢) في ك (يكون) وفي ط (تكون).

(٣) سقطت (بناء) من ك و ط.

(٤) هو فيما يظن أحد أنبياء بني إسرائيل ولقبه «المورشي» نسبة إلى مسقط رأسه «مورشة» قرية بقرب «جت». ظهر في ملك «يوثام» و «آحاز» و «حزقيا» ملك يهوذا سنة ٧٥١ ــ ٦٩٣ق. م. وكان معاصراً لأشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته وإليه ينسب السفر الثالث والثلاثون من أسفار العهد القديم وفيه سبعة إصحاحات.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٩٣٦؛ والكتاب المقدس (عندهم): ١٠٣٥ ــ ١٠٤٠. والتراث الإسرائيلي: ٢٦٣، د. صابر عبد الرحمن طعيمة، دار الجيل، بيروت ١٣٩٩هـ.

الثاني: أن من ثبت عند المسلمين نبوته، كموسى، وعيسى، وداود وسليمان، لم يثبت عندهم أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام، وأن ترجمته بالعربية هو ما ذكروه، وأن مرادهم به ما فسروه[1].

الثالث: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد إلَّا بإخبار محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بنبوتهم، فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء، إلَّا بعد التصديق بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[2].

فإذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا نبوة هؤلاء، دون نبوة محمد، لم يمكن المسلمون أن يسلموا ذلك لهم، ولا يشرع[3] ذلك للمسلمين، لا عقلاً ولا نقلاً. وحينئذ إذا[4] لم يقيموا الأدلة على نبوة أولئك، لم يكونوا قد ذكروا، لا حجة برهانية، ولا حجة جدلية.

الرابع: أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى، إلَّا مع إخبارهما بنبوة محمد. فإن سلَّموا أنهما أخبرا بنبوة محمد، ثبتت نبوته ونبوتهما. وإن جحدوا ذلك، جحد المسلمون نبوة من يدعون أنه موسى

---

(١) راجع الفصل الذي عقده الشيخ المؤلف، من أجل مناقشة قضية الترجمة لنصوص التوراة والإنجيل، وبين فيه استحالة دعواهم بترجمة التوراة والإنجيل لجميع الأمم، وأن الترجمة لا تحتاج إلى معصوم ــ كما يزعمون ــ ، وأن دعوى العصمة لمترجمي التوراة والإنجيل دعوى باطلة.

انظر: هذا الفصل في الجواب الصحيح (رسالة دكتوراه) ٢/ ٨٠ ــ ٨٥ من طبعتنا هذه. دراسة وتحقيق الزميل: علي بن حسن بن ناصر. وكذلك الجواب الصحيح ٢/١٦ ــ ٢٧، وقد تحدث الشيخ هنا بتفصيل أكثر، وذلك على طريقته في هذا الكتاب، من البسط تارة، والاختصار مع الإحالة تارة أخرى.

(٢) لم ترد الجملة الدعائية فى أ ولا ك.

(٣) في ك و ط (يسوغ).

(٤) في ك و ط (فإذا).

وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

الخامس: أن المسلمين وكل عاقل، يمنع[1] ـ بعد النظر التام ـ أن يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، إذ كانت نبوته أكمل، وطرق معرفتها أتم[2] وأكثر. وما من دليل يستدل به على نبوة غيره إلَّا وهو على نبوته أدل، فإن جَحْد نبوته يستلزم جَحْد نبوة غيره بطريق الأولى. ولكن من قال ذلك، هو متناقض كما يتناقض[3] سائر أهل الباطل. ولهذا قال ـ تعالى ـ في الكفار:

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾[4].

● ● ●

---

(١) في ك و ط (يمتنع).
(٢) في أ (أثم) ويظهر أنه خطأ نسخي.
(٣) في ك و ط (تتناقض).
(٤) سورة الذاريات: الآيتان ٨، ٩.

فصل

إثبات الفضل والكمال لرسول الله ولشريعته ولأمته

قد ذكرنا في جواب أول كتابهم[1]، بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أو غيره من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ على ما يخالف دين المسلمين من دينهم. ونحن نبسط هذا هنا فنقول: لا ريب أن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح، لا عقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات، فإن الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه. فلو قام على الباطل دليل صحيح، لزم أن يكون حقاً مع كونه باطلاً، وذلك جمع بين النقيضين، مثل كون الشيء موجوداً معدوماً.

وأهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات، ومعهم باطل، وهو ما بدلوه في الخبريات، سواء كان المبدل هو اللفظ أو معناه، وما ابتدعوه، أو ما نسخ من العمليات. والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسل. فإن الذي اتفقت عليه: هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

---

(١) هي رسالة بولس الأنطاكي عن أهل قبرص. وانظر: الجواب الصحيح، رسالة دكتوراه ١/ ١٣٠ ــ ١٤٠ من طبعتنا هذه.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٩.

وعامة السور المكية، كالأنعام والأعراف وآل حم، وآل طس، وآل آلر[1]، هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل والإخلاص، وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم، وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء: من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء توافق المنقول عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شهد[2] هذا لهذا وهذا لهذا، وذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء، ومن دلائل نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3].

ولهذا يذكر الله ذلك بياناً لإنعامه بمحمد[4] ودلالة لنبوته، كقوله ـ تعالى ـ[5]:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ

---

(١) في أ (وألم حم، وألم طس، وألر) والأصوب ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٢) في ط (يشهد).

(٣) في ط تقدمت هذه الجملة على جملة (من دلائل نبوة الأنبياء).

(٤) في ط (على محمد).

(٥) في ط زيادة (لما ذكر قصة مريم).

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٢ ـ ٤٤.

هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾[1].

فذكر الإلّه نعمته[2] وآيته، بكونه لم يكن يعلمها هو، ولا قومه ــ أيضاً ــ كانوا يعلمونها، لئلا يُظن أنه تعلَّم ذلك من قومه، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك.

وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ولد بمكة، وبها نشأ بعد أن كان مُسْتَرضعاً في بادية[3] سعد بن بكر[4]، قريباً من الطائف[5]، شرقي مكة، وهو صغير، ثم حملته مرضعته حليمة السعدية[6]

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) في ك و ط (ألاءه ونعمته).

(٣) **البدو والبادية الباداة والبداوة**: خلاف الحضر، والحضر: هو السكن بالمدن والقرى.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٢٣٣.

(٤) هم بنو بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٦٥.

(٥) **الطائف**: كانت تسمى قديماً (وج)، وسميت الطائف لما أُطِيْفَ عليها الحائط، وهي ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غزوان، وبها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة، ونصف يوم للهابط إلى مكة، وهي الآن المصيف الأول للمملكة العربية السعودية وملتقى طرق نجد واليمن والحجاز.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٨٧٧؛ والمجاز بين اليمامة والحجاز: ٢٥٤ لعبد الله بن محمد بن خميس، ط ٣، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

(٦) هي بنت أبي ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وزوجها الذي أرضعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بلبنه، هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن نصية بن نصر بن سعد بن بكر، وقد حضرت بالجعرانة ورسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقسم لحماً، فلما دنت من النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بسط لها رداءه فجلست عليه، =

إلى أمه بمكة، [1]لا يعلم شيئاً من ذلك، ولا هناك من يتعلم منه شيء من ذلك. وأهل مكة يعلمون حاله، وأنه لم يتعلم ذلك من أحد، ثم أخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه أحد إلَّا بتعليم الله له.

فكان هذا من أعلام رسالته، ودلائل نبوته، عليهم أولاً، وعلى غيرهم آخراً، فإنهم كانوا مشاهدين له، يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من أحد. وغيرهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة[2]، ويعلم أن قومه المكذبين له ـ مع حرصهم على الطعن فيه، ومع[3] علمهم بحاله ـ لو كان قد تعلم من أهل الكتاب، لقالوا: هذا قد تعلمه منهم. قال ـ تعالى ـ:

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[4].

والمقصود أنه نفى علم قومه بما أخبره فيه، بياناً لآلاء الله[5] التي

= فقال أبو الطفيل: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته.
انظر: أسد الغابة ٦/٦٧ ـ ٦٩.

(١) في ط (ولا).

(٢) **الأخبار المتواترة**: هي ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، بأن يكونوا جمعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره. وهذا ما يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يعتبر فيه عدد معين في الأصح. وقد قيل ـ في العدد ـ: أكثر من خمسة. وقيل: عشرة، وهو المختار، لأنه أول جموع الكثرة، وقيل: أربعون. وقيل: سبعون. وقيل: ثلاثمائة وبضعة عشر.
انظر: تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي ٢/١٧٦ ـ ١٧٧ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ ٩١١هـ، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

(٣) سقطت الواو من أ.

(٤) سورة يونس: الآية ١٦.

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (لا إله إلَّا الله) وما أثبتناه أصح.

هي آياته ونعمه، فإن ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه، وفيه إنعام الله على الخلق بذلك.

وقال ــ تعالى ــ لما ذكر قصة يوسف:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[2].

فنفى ــ سبحانه ــ شهادته[3] لهذه الأمور الغائبة وحضوره لها، تنبيهاً للناس على أنه أخبر بالغيب الذي لم يشهده، ولم يعرفه من جهة أخبار الناس، فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك، ولا عاشر غير قومه. وكل من عرف حاله: يعلم أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك، لا من أهل الكتاب ولا ممن نقل عن أهل الكتاب.

فإذا كان محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[4] أخبر بمثل ما أخبرت

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٢) سورة القصص: الآيات ٤٣ ــ ٤٦.

(٣) في ك و ط (شهوده).

(٤) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

به الأنبياء قبله، في باب أسماء الله وصفاته وتوحيده، وملائكته وأوليائه وأعدائه، مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة: ما يمتنع اتفاق اثنين عليه، إلَّا عن مواطأة بينهما. ومحمد وموسى ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لم يتواطآ، بل لم يواطىء محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحداً من الرسل قبله، ولا واطؤه[1].

والخبر الكذب إما أن يتعمد صاحبه الكذب[2]، وإما أن يغلط. فالكاذبان المتعمدان للكذب لا يتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة.

وكذلك الغالطان لا يتفق غلطهما في مثل ذلك. بل الاثنان من آحاد الناس إذا أخبر كل منهما عن حال بلدة[3] وأخبر الآخر بمثل خبره من غير مواطأة، عرف صدقهما، فكيف بالأمور الغائبة، التي لا يمكن العلم بها إلَّا من جهة الله ـ تعالى ـ؟ فهذا من دلائل[4] نبوة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ.

وأما القدر الذي يخالف ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مما ينقلونه عن الأنبياء، فهو نوعان:

أحدهما: ما وقع فيه النسخ من الشرائع[5]، وهذا لا يمنعه، لكن

---

(١) في ط (واطئوه).

(٢) في ك و ط زيادة (فيه).

(٣) في ك و ط زيادة (رآها).

(٤) جمع دليل، يقال: دله عليه دَلالة ودِلالة ودُلالة ودَلولة فاندل: سدده إليه، والدليلي: الدلالة، أو: علم الدليل بها ورسوخه.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/٢٠٦.

(٥) في أ (الشريعة) وما في ك و ط أولى.

المنسوخ مثل هذا بالنسبة إلى ما لم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية، فإنه قليل جداً بالنسبة إلى ما لم ينسخ، وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الأنبياء، إذا اعتبر بما أمر به محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وجد عامة ذلك متفقاً لم ينسخ منه إلاَّ القليل.

والثاني: الخبريات، وهذه قد ادعى بعض أهل الكتاب أن محمداً خالف بعض ما أخبرت به الأنبياء قبله، وهذا باطل، فإن أخبار الأنبياء لا يجوز أن تتناقض، إذ هم ــ كلهم ــ صادقون مصدقون. ومن[1] علم أن محمداً رسول الله، وأن موسى رسول الله، وأن المسيح رسول الله، علم أن أخبارهم لا تتناقض. لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا، فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره، لا ما يناقض خبر غيره.

وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فهو ــ عامته[2] ــ مما حرفوا معناه وتأويله، وقليل منه حرف لفظه. وأهل الكتاب ــ اليهود والنصارى ــ مع المسلمين[3] متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها[4]، إما عمداً وإما خطأً في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها. وإنما تنازع الناس: هل وقع التحريف في بعض ألفاظها؟ وكل[5] ما يدعي فيه[6] مدع[7] أن محمداً

---

(١) في ط (فإن).
(٢) في ك (غايته).
(٣) في ط (المسلمون).
(٤) هكذا في ط، وأما في أ و ك فقد سقطت (بها) وإثباتها أصح.
(٥) في ك و ط (فكل).
(٦) سقطت (فيه) من ك و ط.
(٧) في أ (مدعي)، والصحيح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ناقضه فلا بد له من أن يثبت مقدمتين:

إحداهما: ثبوت ذلك اللفظ عن ذلك النبي.

والثاني: ثبوت معناه.

وكل من احتج بنقل عن نبي، فلا بد له من هاتين المقدمتين: الإسناد والمتن، فلا بد له من ثبوت اللفظ، ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ. وإذا كان النقل ليس بلغة النبي، بل بلغة أخرى، فلا بد من الترجمة الصحيحة، وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء[1].

فإن موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني إسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية[2].

والمسيح كان عبرانياً، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلم بغيرها، كالسريانية واليونانية والرومية، بعض من اتبعه. وجمهور

---

(١) وبهذا الصدد أذكر أن أحد المؤرخين المعاصرين من النصارى ـ ولا أذكر اسمه ولا المصدر الذي عرفت عن طريقه ذلك ـ أعلن ـ إنصافاً للحقيقة ـ أنه يتأسف على عدم وجود الكتاب المقدس (عندهم) بلغته الأصلية، ويعترف للقرآن بالفضل الباهر، حيث بقي إلى يومنا ـ وإلى ما شاء الله ـ تعالى ـ بلغته الأصلية التي نزل بها، والتي قرأه بها من أنزل عليه، وهو محمد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا ما يرى فيه ذلك المؤرخ أو المفكر ذلك الجانب الشامخ من القيمة العلمية.
ويقول د. صابر طُعيمة: إنه/ جميل حناطر أنجمان، في كتابه: الكتاب المقدس في اللغة العربية.

(٢) وها هم أولاء المعتدون اليهود الذين قدموا ضيوف نحس وثقل على وطننا الإسلامي من بلاد شتى: روسية وأوروبية وأمريكية بل وعربية وأفريقية، يجعلون العبرانية لغة رسمية، ويطلقون اسم (الجامعة العبرية Hebrew University) على جامعتهم، شعوراً منهم ـ أبعدهم الله ـ بأهمية اللغة ودورها في شخصية أهلها.

النصارى لا يُعْرَفُون بالعبرانية، فلا يحسنون[1] أن يقرؤوا بالعبرانية لا توراة ولا إنجيلاً، ولا غير ذلك، وإنما يتكلمون بذلك: [2]الرومية، أو السريانية[3] أو غيرهما، وإن كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية. بخلاف اليهود، فإن[4] العبرانية فاشية فيهم. وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول[5] بالرومية والسريانية أو بالعربية[6]، فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها فإنهم كثيراً ما يضطربون في الترجمة وصحتها[7] ويختلفون في معناها.

فهذه مقدمات ثلاث، لا بد لهم منها في كل ما يحتجون[8] من كلام الأنبياء، ولو لم يدَّعوا أنه معارض لما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فكيف إذا أدعوا به تناقضه[9] لما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟! فإن قدر أنه ثبت أن[10] نبياً أخبر بشيء، امتنع قطعاً أن يخبر محمد بنقيضه. فإن فيما نقل عن محمد ـ صلَّى الله

---

(١) هكذا في ك و ط وفي أ (يحسنوا) بحذف النون والأصح إثباتها كما في ك و ط.

(٢) في ك و ط زيادة (باللغة).

(٣) **السريانية**: لغة من اللغات المتفرعة من الآرامية، وهي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية.
انظر: المنجد في الآداب والعلوم ١٢ و٢٥٣، لويس معلوف، الطبعة الثامنة عشرة، بيروت.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (بأن) والأول أصح.

(٥) في ك و ط (المنقولة).

(٦) في ك و ط (بالعبرانية).

(٧) سقطت (وصحتها) من ك و ط.

(٨) في ط (يحتاجون).

(٩) في ط (مناقضته).

(١٠) في أ (عن نبي) وما أثبتناه من ك و ط أصوب.

عليه وسلَّم ــ أيضاً مـا ليس بثابت لفـظه، مثل بعض الأحـاديث الضعيفة والموضوعة، وفيما ثبت لفـظه ما ليس معنـاه صريحـاً في المناقضـة، بل لا يدل على ذلك.

فكم ممن يفسر القرآن بما لا يدل عليه لفظ القرآن، بـل ولا قالـه أحد من الصحابة بل[1] ولا التابعين[2].

كمن يقول: إنّ شعيباً النبـي هو[3] كان حمو[4] موسى. وليس في القـرآن والسنة وكـلام الصحابـة إلّا ما يـدل على نقيض ذلـك[5]. وكمن يقول: إنّ الرسل الذين أرسلوا إلى القرية كانوا من أتباع المسيح. وليس في القرآن والمنقول عن الصحابة إلّا ما يدل على نقيض ذلك[6].

وأما ما علم أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[7] أخبر به، فقد قامت الأدلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق مـا أخبر بـه، أعظم ممـا قامت على صدق غيره وصدق ما جاء بـه، فمهما عـارض ذلك عُلم أنـه كذب على الأنبياء. ولا يمكن أحداً من الخلق أن يذكر دليلاً قطعياً على

---

(١) سقطت (بل) من ك وط.

(٢) مفرده: تابعي: وهو من صحب صحابياً أو لقيه وإن لم يصحبـه. وقد عـدهم الحاكم خمسة عشر طبقة.

انظر: تدريب الراوي ٢/٢٣٤ ــ ٢٣٥.

(٣) سقطت (هو) من ك، وفي ط (كان هو).

(٤) في ط (حما).

حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمها أو الأحماء من قبلها خاصة.

انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٧١٨ ــ ٧١٩.

(٥) راجع البداية والنهاية ١/٢٢٤؛ وجامع البيان للطبري ٢٠/٦٢.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٥٥٤.

(٧) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

صحة ذلك النقل، بل غايتهم أن يذكروا طريقاً ظنياً لا يفيدهم إلَّا الظن، والظن لا يعارض اليقين.

فما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمكن صاحب النظر والاستدلال أن يعلمه علماً يقيناً، لا يرتاب فيه.

وما يناقضه لا سبيل لأحد إلى العلم به، ولا يُتصور أن يقوم بقلبه[1] منه إلَّا الظن والتقليد، وكلاهما لا يناقض[2] العلم، فهذا أصل جامع، ثم العارف يعبر عنه مع كل إنسان بحسب ما يوصل معناه[3] إلى ذلك المخاطب. والمقصود هنا أن يقال: كل ما يحتجون به على مخالفة ما ثبت عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يمكن أن يقوم لهم عليه دليل: لا شرعي ولا عقلي، وهذا نعلمه[4] مجملاً.

ونحن نبين ذلك مفصلاً فنقول: ما يحتجون به إما أن يكون حجة عقلية، وإما أن يكون سمعية. أما العقليات: فمعلوم أن الحجج العقلية الدالة على فساد ما يقوله[5] النصارى، أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم. ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها أجوبة:

أحدها: أن يُبين أن ذلك يَلزم غيره من الأنبياء، فإنهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه.

---

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ (عليه) والأرجح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه لأن الحديث عن صاحب النظر والاستدلال ـ المذكور آنفاً.

(٢) في ط (يناقضان).

(٣) سقطت (معناه) من ك.

(٤) في ط (نعلمه). في أ و ك (يعلمه) وقد أثبتنا ما في ط.
المقصود: صاحب النظر والاستدلال آنف الذكر.

(٥) في ط (تقوله).

فلا يقدح أحد بحجة عقلية في محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلاَّ كان ذلك قد جاء بطريق الأولى في غيره من الأنبياء، كما بينا في الرد على الرافضة[1]، أنه لا يقدح أحد في الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان إلاَّ أمكن[2] أن يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه في علي، فيمتنع أن يكون عليّ[3] سليماً من القوادح في إمامته إلاَّ والثلاثة أسلم منه، مما يقدح في إمامتهم.

ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في نبوتهم إلاَّ ومحمد أبرأ مما يقدح في نبوته. وهذا كما لو[4] احتج محتج بما في القرآن من إثبات[5] الصفات، فيقال له: في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء مثل ذلك وأعظم[6]. وإذا احتج بإنزال المتشابهات، فيقال له: في الكتب المتقدمة من التشابه[7] أعظم مما في القرآن. وهل ضلت

---

(١) **الرافضة**: هم صنف من أصناف الشيعة الثلاثة، وسموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نص على استخلاف علي بن أبي طالب، باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنه معصوم في جميع أحواله.

انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١٦ ـ ١٧ للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ ٣٢٤هـ تصحيح المستشرق هلموت ريتر، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) في أ (مكن) بدون همز، والأولى ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٣) في أ (عليا).

(٤) في ك و ط (إذا).

(٥) في ك و ط (آيات).

(٦) سقطت (وأعظم) من ك.

(٧) في ك و ط (المتشابهات).

النصارى إلَّا باتباع المتشابه[1] من كلام الأنبياء وترك المحكم؟.

والثاني: أن يبين أن[2] تلك الحجة لا تصلح أن يعارض بها ما جاءت به الأنبياء، كما إذا أخذ بعض الناس يطعن في شيء من الشرائع بالرأي، بين له أن ما ثبت عن الأنبياء، لا يعارض برأي ولا قياس.

الثالث: أن يُبَيّن فساد تلك الحجة العقلية. إن كانت من باب الخبريات: بُيّن فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك في كتاب «درء[3] تعارض العقل والشرع»[4] وذكرنا أن جميع ما يحتج به على خلاف نصوص الأنبياء من العقليات، فإنه باطل وذكرنا[5] ما يعتمد[6] عليه النفاة من[7] هذا الباب.

وإن كانت[8] من باب الطلبيات فهي من باب الأمر والنهي. فمن

---

(١) في ط (المتشابهات).

(٢) في ك و ط زيادة (مثل).

(٣) في ط (رد).

(٤) وهو الكتاب الذي طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (درء تعارض العقل والنقل) بتحقيق د. محمد رشاد سالم في عشرة مجلدات ومجلد للفهارس العامة وكان قد طبع من الكتاب ما يقارب ثلث حجم الكتاب الحقيقي وما لم ينشر أهم بكثير مما نشر وذلك بعنوان «بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول».
انظر: الكتاب المذكور ١/٣ ـ ٧.

(٥) في ط (فذكرنا).

(٦) كررت (ما يعتمد) مرتين في أ وهو خطأ نسخي بحت كما حصل في مواضع أخرى آثرت عدم الوقوف عندها.

(٧) في ك و ط (في).

(٨) في ط (كان).

كان في[1] مذهبه أنه لا يعلل أحكام الله، ولا يقول إن[2] حُسن الأفعال وقُبحها يُعْلم بالعقل، ولا ينزه الله عن فعل ولا عن حكم، بل يُجَوِّز عليه كل شيء، وإنما ينفي ذلك بالخبر السمعي أو العادة، فهذا يجيب بهذا الجواب، لكن عامة القلوب والعقول لا تقبل هذا.

وأما على قول الجمهور: فنبين[3] ما في مأموراته من الحِكَم والمصالح، وما في منهياته من المفاسد والضرر، ونبين[4] رجحان ما جاء به[5] على ما يعارض به، بل ونبين[6] رجحان شرائع الأنبياء على سياسات سائر الأمم، بل ونبين[7] رجحان شريعة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على[8] سائر الشرائع، وهذا مبسوط في مواضع[9].

وأما إذا احتج أهل الكتاب على[10] مناقضة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بحجة سمعية سواء كانت من كلامه، أو كلام غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، كان الجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال لهم: لا يمكنكم أن تصدقوا بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[11] والطريق

---

(١) في ك و ط (من).
(٢) في ك و ط (بأن).
(٣) في ك و ط (فيبين).
(٤) في ط (ويبين).
(٥) في ك و ط (فيه).
(٦) في ك و ط (فيبين).
(٧) سقطت (بل) من ط وفيها ـ أيضاً ـ (ويبين).
(٨) في ك و ط (وسائر).
(٩) انظر: الفصل الماضي من هذه الرسالة.
(١٠) في ك و ط (في).
(١١) في ك و ط زيادة (فإنكم لا يمكنكم أن تحتجوا بكلام أحد من الأنبياء حتى تثبت نبوته).

الذي[1] بها تثبت نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] بمثلها وبأعظم منها. بل نحن نبين أن التصديق بنبوته، أولى من التصديق بنبوة غيره، وأن[3] كل ما يستدل به على نبوة نبي، فمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره، وما يعارض به نبوة نبي: فالجواب عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أولى من الجواب عن غيره.

فهو مقدم فيما يدل على النبوة، وفيما يجاب[4] به عن المعارضة، وهذه[5] أكمل في ذلك. فيمتنع مع العلم أو العدل أن يصدق بنبوة غيره مع التكذيب[6] بنبوته، كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين: أحدهما أكمل من الآخر في فن[7]، أن يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول[8] دون الفاضل. وقولنا مع العلم والعدل: لأن الظالم[9] يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول. والجاهل قد يعرف المفضول ولا يعرف الفاضل.

فإن كثيراً من الناس يعلمون فضيلة متبوعهم: إما في العلم أو العبادة[10] ولا يعرفون أخبار غيره حتى يوجد أقوام يعظمون بعض

---

(١) في ك و ط (التي).

(٢) ليس في ك و ط الجملة الدعائية.

(٣) في ك و ط (لأن).

(٤) في ك (جاءت).

(٥) في ك و ط (وهو).

(٦) في أ (الكذب) والأصح ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.

(٧) سقطت كلمة (فن) من أ، والأولى إثباتها.

(٨) في أ (المفضول) والراجح ما أثبتناه من ك و ط.

(٩) في ك و ط (العالم).

(١٠) في أ و ك (والعبادة) والأصح ما في ط وهو المثبت.

الأتباع دون[1] متبوعه الذي هو أفضل منه عند التابع[2]، وغيره لا يعرفونه، فهؤلاء ليس عندهم علم، ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء يرجح المفضول، لعدم علمه[3] بأخبار الفاضل. وهذا موجود في جميع الأصناف، حتى في المدائن، يفضل الإنسان مدينة يعرفها على مدينة هي أكمل منها، لكونه لا يعرفها.

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو[4] التفاضل، يستدعي معرفة كل منهما، ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي يقع بها[5] التماثل والتفاضل. كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم، وكتابه أصح، أو أن سيبويه[6] أعلم من الأخفش[7] ونحو ذلك.

وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[8].

---

(١) هكذا في ك و ط، وفي أ (بعض الأتباع ومتبوعه) وإثبات (دون) أولى.

(٢) هكذا في ط، وفي أ و ك (المسامع) وقد اخترنا ما في ط.

(٣) في ك و ط (العلم).

(٤) في أ (والتفاضل) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٥) في ط (تستدعي).

(٦) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ١٨٠هـ وقيل غير ذلك، وله نيف وأربعون سنة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٦٣ ـ ٤٦٥؛ وسير أعلام النبلاء ٨/٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٧) هو الإمام الكبير، أبو عبد الله، هارون بن موسى بن شريك التغلبي الدمشقي، كان إماماً صاحب فنون وله تصانيف في القراءات والعربية، مولده سنة ٢٠٠هـ ووفاته سنة ٢٩٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٥٦٦؛ وشذرات الذهب ٢/٢٠٩.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[١].

والكلام في شيئين:

أحدهما: في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل، وهذا غاية الجهل والظلم. كقول الرافضة الذين يقولون: إن علياً كان إماماً عالماً عادلاً، والثلاثة لم يكونوا كذلك.

وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون: إن موسى كان رسولاً، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يكن كذلك، فإن هذا في غاية الجهل والظلم. بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة، ولكن فضل المفضول، فهذا أقل جهلاً وظلماً.

ومعلوم أن المرسلين يتفاضلون، تارة في الكتب المنزلة عليهم، وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم، وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل، وتارة في أممهم.

فمن عنده علم وعدل: فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، أو في معجزات محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ومعجزات غيره، أو في شريعته وشريعة غيره، أو في أمته وأمة غيره، وجد له[٢] من التفضيل على غيره ما لا يخفى إلَّا على مُفْرط في الجهل أو الظلم.

فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر، وغيره هو النبي الصادق؟!

---

(١) سورة البقرة: الآية **٢٥٣**.

(٢) سقط (له) من ط.

نعم: كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ما يبين لهم ذلك، كما أن كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة ما يبين لهم فضيلتهم على علي ـ رضي الله عنه ـ، فهؤلاء في الجهل، وطلب العلم عليهم فرض، خصوصاً أمر النبوة. فإن النظر في أمر من قال:

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾[1].

مقدم[2] على كل شيء، إذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة، والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة، فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء، وبين الحق والباطل، والهدى والضلال. والفرق بين أولياء الله وأعدائه.

وكما يَسْلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار، بأن يَعْتَبر حال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه[3]، وينظر: هل هما متماثلان أو متفاضلان؟ وأيهما أفضل؟ وإذا تبين أن حاله أفضل، كان تصديقه أولى، وامتنع أن يكون غيره صادقاً وهو كاذب.

بل لو كانا متماثلين، وجب[4] كونه صادقاً، بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره أفضل. فإن المتنبي الكذاب لا يقارب الصادق، بل بينهما من التباين، ما لا يخفى إلاَّ على أعمى الناس.

وكذلك نسلك[5] هذه[6] الطريق في جنس الأنبياء ـ عليهم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٢) في أ و ك (مقدماً) وقد أثبتنا ما في ط لأنه أصوب.

(٣) في ط زيادة (وأمته).

(٤) في ط (لوجب).

(٥) في ك و ط (فكذلك يسلك).

(٦) في ط (هذا).

السلام ـ مطلقاً وأممهم، بأن تُعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم. وتُرى آثار هؤلاء وهؤلاء، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

[2]وقال ـ تعالى ـ[3] :

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر آل فرعون ـ :

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾[5].

وكذلك قال ـ تعالى ـ[6] عن عاد ـ :

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :
﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ [يوسف: ١٠٩].

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك.

(٤) سورة يوسف: الآيات ١٠٩ ـ ١١١.

(٥) سورة القصص: الآية ٤٢.

(٦) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾[1] ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ[3] عن قوم شعيب ـ :

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ[4] كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾[5].

وإذا ذكر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[6].

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[7].

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[8].

---

(١) **عاد**: كانوا عرباً يسكنون الأحقاف: وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها (الشحر)، واسم واديهم (مغيث) وهم ذرية عاد بن عوص بن سام بن نوح.
انظر: البداية والنهاية ١/١٢٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦٠.

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ ولا ك.

(٤) **مدين**: مدينة قوم شعيب ـ عليه السلام ـ وهي تجاه تبوك، على بحر القلزم (البحر الأحمر). وقيل: هي (كفر مندة) من عمل (ولاية طبرية) وأهل مدين هم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ .
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٢٤٦؛ والكامل ١/٨٩.

(٥) ثمود: قبيلة من العرب العاربة، باسم جدهم (ثمود) أخي (جديس) وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح، يسكنون الحَجْر الذي بين الحجاز وتبوك.
انظر: البداية والنهاية ١/١٣٠.
سورة هود: الآية ٩٥.

(٦) سورة الصافات: الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٧) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(٨) سورة الصافات: الآية ١٢٠.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾[2].

ومثل هذا في القرآن كثير، فيذكر من حال الأنبياء وأتباعهم، وما حصل لهم من الكرامة، وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب، ما بَيَّن[3] حسن حال هؤلاء، وقبح حال هؤلاء.

ومما يوضح ذلك من أن من اعتبر حال[4] أهل الملل، من المسلمين واليهود[5]، والنصارى، وحال غيرهم، في العلوم النافعة والأعمال الصالحة، تبين له أن حال أهل الملل أكمل بما لا يُحصى. وإذا نَظَر ما عند غير أهل الملل، من الحكمة العلمية والعملية، كحكمة[6] الهند واليونان، والعرب من[7] الجاهلية[8]، والفرس

(١) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٠.

(٣) سقطت (ما بين) من ك و ط، وثبت مكانها واو.

(٤) سقطت (حال) من أ وأثبتناها من ك و ط.

(٥) سقطت (واليهود) من ط.

(٦) في أ (فحكمة) وقد صوبناها من ك و ط.

(٧) في ك و ط (في).

(٨) **الجاهلية**: زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا: الجاهلية الجهلاء: فبالغوا. هذا هو تعريف ابن منظور كما في اللسان ١١/١٣٠ مادة (جهل). والجاهلية في نظر الأستاذ سيد قطب: هي ركام هائل من العقائد والتصورات، والفلسفات والأساطير، والأفكار والأوهام، والشعائر والتقاليد، والأوضاع والأحوال. يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة. والفلسفة بالأسطورة، ومن ثم يتخبط الضمير البشري تحت هذا الركام الهائل في ظلمات وظنون، لا يستقر منها على يقين. والحياة الإنسانية ـ بتأثير هذا الركام الهائل ـ تتخبط في فساد وانحلال، =

وغيرهم، وجد ما عندهم بعض ما عند أهل الملل، من الحكمة العلمية والعملية. فيمتنع أن يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى، وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وضلال. وكذلك يمتنع أن تكون الأمة لها علم نافع وعمل صالح، وأهل الملل ليسوا كذلك.

ففي الجملة: لا يوجد في غير أهل الملل من علم نافع وعمل صالح.. من حكمة علمية وعملية، إلاَّ وذلك في أهل الملل أكمل. ولا يوجد في أهل الملل شر، إلاَّ وهو في غيرهم أكثر.

وهؤلاء فلاسفة اليونان، الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة، وحكمتهم كحكمة سائر الأمم، نوعان: فطرية[1] وعملية. والعملية في الأخلاق، وسياسة المنزل، وسياسة المدائن. وكل من تأمل ما عند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل، من سياسة الأخلاق والمنزل والمدائن، وجده خيراً مما عند أولئك بأضعاف مضاعفة.

فإن أولئك عمدة أمرهم: الكلام على قوى النفس الشهوية

= وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة، لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان!.

وهذه التصورات والفلسفات والمذاهب الموجودة الآن ــ وخاصة التي يقوم عليها الفكر الغربي والحياة الغربية ــ والتي يتأثر بها جمهور عريض في بلاد المسلمين وغيرهم ــ لم تجيء بخير من هذا الركام.

انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ٢٦ ــ ٤٤ للشهيد سيد قطب. ١٩٦٥م دار الشروق بيروت ــ القاهرة.

وانظر: كتاب أخيه الأستاذ: محمد قطب: جاهلية القرن العشرين. فقد أفرد هذه المسألة بالحديث كما هو ظاهر من عنوانه.

(١) في ط (نظرية).

والغضبية، وقوة[1] العلم والعدل، كأمور[2] من جنس آداب العقلاء، ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله، ومن عبادته وحده لا شريك له، شيء له قدر والذي عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية، ليس مما ينفع بعد الموت، إلَّا أن يستعان به على ما ينفع بعد الموت. والذي عندهم من العلم الإلهي قليل جداً، مع ما فيه من الخطأ الكثير[3].

وكل ما عندهم من علم نافع وعمل صالح، فهو جزء مما جاءت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيمتنع أن يكون هؤلاء المسمون بالحكماء وأتباعهم على حق في الاعتقاد، وصِدق في الأقوال، وخير في الأعمال، كما هو غاية مطلوبهم. والأنبياء وأتباعهم، ليسوا كذلك.

واعتبر ذلك بمن يُعرف[4] من خاصة هؤلاء وعامتهم، وخاصة هؤلاء وعامتهم ـ وإن كان بينهما من التفاوت ما[5] بين أهل الجنة وأهل النار ـ فالاعتبار في مثل ذلك، مما[6] جاء به التنزيل.

قال ـ تعالى ـ:

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾[7].

والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة يوزن[8] الشيء

---

(١) في ط (قوى).

(٢) في أ (مأمور) والأصح ما في ك و ط وهو ما أثبتناه.

(٣) في ط (الكبير).

(٤) في ك و ط (تعرف).

(٥) في ك و ط (كما).

(٦) في ط (بما).

(٧) سورة النمل: الآية ٥٩.

(٨) في ط (توزن).

بما[1] يناظره، ويعتبر به قياس الطرد، وقياس العكس[2].

فيظهر لكل من تدبر ذلك أن أهل الملل أولى بالحق والصدق والخير من غيرهم، وإن كان لأولئك من الحكمة ما يناسب أحوالهم. وحكماؤهم أفضل من عوامهم، وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس فيهم خير أصلاً[3]، وهذا مما استفادوه أتباع الأنبياء منهم، فيكون هذا من دلائل نبوتهم، وأعلام رسالتهم، استدلالاً بالأثر على المؤثر، وبالمعلول على علته.

وكذلك من تدبر حال المسلمين، وحال اليهود والنصارى، تبين له رجحان حال المسلمين، فيكون هذا من دلائل نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأعلام رسالته.

وقد ذكرنا في غير هذا الوضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة، وذكرنا طرقاً متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبي[4] الكذاب، غير طريق

---

(١) في أ (مما) والأصح ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ط (تعتبر).

القياس: تقدير شيء بشيء آخر، **فالطردي**: ما تناسب مقدار المقيس مع المقيس عليه قلة وكثرة، **والعكسي**: ما خالف أحدهما الآخر زيادة ونقصاً.

انظر: ابن قدامة وآثاره الأصولية ـ تحقيق كتاب روضة الناصر، وجنة المناظر ـ ٢/١٨ للعلامة الموفق ابن قدامة المقدسي ـ ٥٥٨هـ، ت: د. عبد العزيز السعيد ط ٣، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م، ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ٩/٨ وما بعدها و ٢٥٩؛ وأصول مذهب الإمام أحمد: ٥٤٩ وما بعدها تأليف د. عبد الله التركي، ط ٣، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٣) في ط (ليس لهم من الحكمة ما لهم).

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (النبي) والأول أولى وأليق.

المعجزات[1]. فإن الناس كما قويت حاجتهم إلى معرفة الشيء، يسر الله أسبابه، كما يتيسر[2] ما كانت حاجتهم إليه في أبدانهم أشد. فلما كانت حاجتهم إلى النَّفس والهواء أعظم منها إلى الماء، كان مبذولاً لكل أحد في كل وقت. ولما كانت حاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى القوت، كان وجود الماء أكثر.

وكذلك لما كانت حاجتهم[3] إلى معرفة الخالق أعظم، كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها. ولما كانت حاجتهم إلى معرفة صدق الرسل ــ بعد ذلك ــ أعظم من حاجتهم إلى غير ذلك، أقام الله ــ سبحانه ــ من دلائل صدقهم، وشواهد نبوتهم، وحسن حال من اتبعهم، وسعادته ونجاته، وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح، وقبح حال من خالفهم، وشقاوته، وجهله وظلمه، ما يظهر لمن تدبر ذلك:

﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[4].

وهذا الذي ذكرناه، من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه وأشباهه، واعتباره[5] بأضداده ومخالفيه، حتى يعرف في المتشابهين أيهم[6] أكمل

(١) انظر: الجواب الصحيح (رسالة دكتوراة) ١/١٤١ وما بعدها. و٢/٣٥٤ ــ ٣٦٧ فقد ذكر الشيخ ــ رحمه الله ــ خمسة أوجه فيما يثبت لأهل الكتاب نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بأسلوب قوي وفكر عميق، وانظر الجواب الصحيح (طبع المدني) ٤/٢٨٧ وما بعدها إلى آخر الكتاب، فقد تحدث المؤلف عن ذلك حديثاً دقيقاً وافياً.

(٢) في ك و ط (ييسر).

(٣) في ك و ط (وجود الماء أكثر لذلك. فلما كانت حاجتهم).

(٤) سورة النور: الآية ٤٠.

(٥) في أ زيادة واو عطف لا نرى لها محلاً، ولهذا تركناها كما في ك و ط.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (أنهم) في هذا الموضع وفي الذي يليه بعد بضع كلمات. وما في ك و ط أظهر ولهذا أثبتناه.

وأفضل، وفي المختلفين أيهم أولى بالحق والهدى، والعدل موجود في سائر الأمور علمها وعملها، كعلم الطب والحساب[1] والفقه وغير ذلك، فيمتنع ـ مع العلم والعدل ـ أن يقال: جالينوس كان طبيباً، وأبقراط[2] لم يكن طبيباً، * أو أن يقال تاميطميوس[3] كان فيلسوفاً، وأرسطو لم يكن فيلسوفاً[4] *، أو أن يقال: الأخفش كان نحوياً، وسيبويه لم يكن نحوياً، أو أن يقال[5] زُفَر والحسن بن زياد[6]، ومحمد بن الحسن[7] كانوا فقهاء، وأبو حنيفة لم يكن فقيهاً، أو أن أشهب[8]،

---

(١) في ك و ط زيادة (والنحو).

(٢) هو ابن إيراقليس، من تلاميذ اسقلبيوس الثاني، كان في أيام بهمن بن أردشير، قال يحيى النحوي: بقراط وحيد دهره، الذي يضرب به المثل، الطبيب الفيلسوف، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس. توفي سنة ٣٥٧ق. م، وعمره ٩٥ سنة.
انظر: طبقات الأطباء ٢٤؛ والفهرست ٤٠٠؛ وتاريخ الحكماء ٩٠.

(٣) من شراح كتب أرسطو، وكان أفلاطونيا محدثاً ولد سنة ٣١٧م، وعاش في القسطنطينية، وأيد الإمبراطور (جوليان) في العمل على إحياء الوثنية، وتوفي سنة ٣٨٨م.
انظر: الملل والنحل ٢/١٠٣٣ ـ ١٠٣٦؛ وتاريخ الحكماء ١٠٧؛ والفهرست ٣٥٥.

(٤) ما بين النجمتين ليس في ك ولا ط.

(٥) سقطت (يقال) من ك و ط.

(٦) **الحسن بن زياد**: هو اللؤلؤي، فقيه العراق، أبو علي الأنصاري مولاهم، الكوفي، كان أحد الأذكياء البارعين في الرأي، توفي سنة ٢٠٤هـ ضعفه أكثر من واحد من علماء السنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٤٣ ـ ٥٤٥؛ وميزان الاعتدال ١/٤٩١.

(٧) بدلاً من (محمد بن الحسن) جاء (يوسف بن خالد السمتي) في ك، وفي ط (يونس بن خالد السمتي).

(٨) هو ابن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي، أبو عمرو، الفقيه المصري، قيل: اسمه (مسكين) و (أشهب) لقب له، مات سنة ٢٠٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٣٥٩؛ ووفيات الأعيان ١/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

وابن القاسم[1]، وابن وهب[2] كانوا فقهاء، ومالك لم يكن فقيهاً[3]، أو أن المزني[4] والبويطي[5] وحرملة[6][7]، كانوا فقهاء، والشافعي لم يكن فقيهاً[8]، وأن أبا داود[9] وإبراهيم الحربي[10]، ـــــــــــــ

---

(1) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقي، أبو عبد المصري، الفقيه، أثنى عليه كثير من الأئمة ووثقوه، وأنفق أموالاً كثيرة في طلب العلم، وكان زاهداً صبوراً مجانباً للسلطان، مات سنة ١٩١هـ، وله ٦٠ سنة.
انظر: طبقات الحفاظ ١٥٢؛ وشذرات الذهب ١/٣٢٩.

(2) ابن وهب: هو الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم، الفهري مولاهم المصري، أحد الأعلام، كان فقيهاً محدثاً عابداً، وله تصانيف كثيرة، وصحب مالكاً عشرين سنة، ومات سنة ١٩٧هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٢/٥٢١ ـ ٥٢٣؛ وشذرات الذهب ١/٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(3) في أ تقدم ذكر الشافعي وأصحابه على ذكر مالك وأصحابه، والأولى العكس، وهو ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.

(4) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو، أبو إبراهيم، المصري، فقيه زاهد، ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي سنة ٢٦٤هـ وله ٨٩ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٢ ـ ٤٩٧؛ ووفيات الأعيان ١/٢١٧ ـ ٢١٩.

(5) هو يوسف بن يحيى المصري البويطي أبو يعقوب، الفقيه، صاحب الشافعي، كان زاهداً مجتهداً ذاكراً، مات في سجن الخليفة الواثق سنة ٢٣١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٥٨ ـ ٦١؛ وتهذيب التهذيب ١١/٤٢٧ ـ ٤٢٩.

(6) هو ابن يحيى بن حرملة بن عمران، أبو حفص التجيبي المصري، صاحب الشافعي، مات سنة ٢٤٣ أو ٢٤٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٥٨؛ سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٩ ـ ٣٩١.

(7) في ك و ط (الربيع).

(8) في ك و ط (أو).

(9) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء مات سنة ٢٧٥هـ.
تقريب التهذيب ١/٣٢١؛ ووفيات الأعيان ٢/٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(10) هو ابن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة ١٩٨هـ =

وأبـا بكر الأثـرم[1] كـانـوا فقهـاء، وأحمد بن حنبـل لم يكن فقيهاً، أو أن علياً كان إمـام[2] عدل، وأبا[3] بكر وعمـر لم يكونـوا[4] إمامي عـدل، أو أن نور الدين الشهيد[5] كان عادلاً، وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلاً، أو أن كوشيار، كان يعلم الهيئـة[6]، وبـطليمــوس[7] لم يكن يعـرف

= وتفقه على الإمام أحمد وكان من نجباء أصحابه، زاهداً حافظاً للحديث قيماً بـالأدب مات سنة ٢٨٥هـ.

انظر: فوات الـوفيات ١/١٤ ــ ١٧؛ وصفـوة الصفوة ٢/٤٠٤ ــ ٤١٠ لأبـي الفـرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ، ت: محمود فاخوري ود. محمـد قلعة جي، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(١) هـو أحمد بن محمد بن هانىء، الطائي الحافظ الثبت الثقة، أحد الأئمة المشاهير، كان من أذكياء الأمة، مات سنة ٢٦١هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١/٢٥؛ وشذرات الذهب ٢/١٤١ ــ ١٤٢.

(٢) في أ تردد بين نصب (إمام) وعدمه.

(٣) في ط (أبو).

(٤) في ك و ط (يكونا).

(٥) هـو محمود بن زنكي عمـاد الدين ابن أقسنقـر التركي أبـو القاسم، الملقب بـالملك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل الملوك في زمانه وأجلهم وأفضلهم، كان من المماليك، مولده سنة ٥١١هـ ومات سنة ٥٦٩هـ في دمشق، ودفن بمـدرسة النورية.

انـظر: الكامـل ٩/١٢٤ ــ ١٢٥؛ وسير أعـلام النبلاء ٢٠/٥٣١؛ والبـداية والنهـاية ١٢/٢٧٧ ــ ٢٨٤.

(٦) **علم الهيئة**: هو المعـروف بعلم الفلك، وهو علم مـوضوعـه: الأجرام العلويـة، أي الشمـوس والسيارات والثـوابت وتـوابعهـا، وذوات الأذنـاب، وهـو قسمـان: نـظري وعملي.

انظر: دائرة معارف وجدي ٧/٤٨١.

(٧) **بطليموس**: هو القلوذي، مؤلف كتاب المجسطي، عالم بالرياضة والنجوم، وهو أول من عمـل الأسـطرلاب الكـرى (المنـظار الفلكي) والآلات النجـومية والمقـاييس والأرصاد، وقيل: بل هو تلميذ (ابرخس) أو أستاذه، وقد كـان في زمان (أدريـانوس) =

الهيئة[1]، أو أن النابغــة الجعدي[2] كان شاعراً، والنابغة الذبياني[3] لم يكن شاعراً، أو أن يقال: إن القمــر مستنيــر، والشمس ليست مستنيــرة، أو أن عطارد[4] نجـم ثاقب[5]، وزحل[6] ليس بنجم ثاقب، أو أن مسلماً كان عالماً بالحديث، والبخاري لم يكن كذلك، أو أن كتابه أصح من كتـاب البخاري. ونحـو ذلك مما يطول تعداده.

= و (انطونينوس).

انظر: الفهرست ٣٧٤؛ وتاريخ الحكماء ٩٥؛ وتتمة المختصر ١٢١/١.

(١) في ك و ط زيادة (أو أن أبا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة، وإقليدس لم يكن يعرف ذلك).

(٢) هـو قيس بن عبد الله ــ وقيل غير ذلك ــ ابن عمرو بن عـدس بن ربيعة بن عـامر بن صعصعة العامري الجعدي، طال عمره في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النـابغة الذبياني، عاش ١٨٠سنة ــ فيما يقال ــ وكان يذكر في الجاهلية دين إبراهيم ــ عليه السلام ــ ويصوم ويستغفر، ووفد على رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فـأسلم، وعـاش إلى زمن ابن الزبيـر ومات بـأصبهـان، وكـان من أصحـاب علي ــ رضي الله عنهما ــ.

انظر: أسد الغابة ٥١٦/٤ ــ ٥١٧؛ والإصابة ٥٣٧/٣ ــ ٥٤٠.

(٣) **النـابغة الـذبياني**: هـو زياد بن معـاوية بن ضبـاب الـذبيـاني الغـطفـاني المضـري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، وعـاش عمراً طـويلاً، وله ديوان شعر صغير مطبوع، ومات نحو سنة ١٨ق. هـ.

انظر: الأعلام ٥٤/٣ ــ ٥٥.

(٤) **عطارد**: هو أقرب السيارات إلى الشمس ومتوسط بعده عن الشمس ٣٥ مليون ميل، وهو يدور بسرعة كبيرة (٣٠) ميلاً في الثانية، ويشـاهد الفلكيـون على سطحـه جبالاً شامخة، وأودية عميقة.

انظر: دائرة معارف وجدي ٤٩٦/٧ ــ ٤٩٧.

(٥) في ك و ط زيادة (ثقب ضوؤه).

(٦) في ك و ط (والمشتري).

زحـل: هو أبعـد السيـارات عن الشمس، نـوره أصفـر ثـابت، لكنـه ضعيف بسبب المسافة وفلكه واسع جداً، وهو يدور حول الشمس على بعد ٨٧٣ مليون ميل.

انظر: المصدر السابق ٥٠٨/٧.

فصل

اشتراطهم لصحة النبوة تبشير الأنبياء بها، والرد عليهم

والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم، وهو أن فيهم[1] من يقول: «محمد لم تبشر به النبوات، بخلاف المسيح فإنه بشرت به النبوات». وزعموا أن من لم تبشر به، فليس بنبي. وهذا السؤال يورد على وجهين:

أحدهما: أنه لا يكون نبياً حتى تبشر[2] به.

والثاني: أن من بشرت به أفضل أو أكمل، ممن لم تبشر به[3]، أو أن هذا طريق يعرف[4] به نبوة المسيح، اختص به.

وأنتم قد قلتم: «ما من طريق تثبت به نبوة نبي إلَّا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق وأفضل» فأما هذا الثاني، فيستحق الجواب، وأما الأول[5] نجيبهم عنه ـ أيضاً ـ لكن هل تجب[6] الإجابة عنه؟ فيه[7] قولان، بناء على أصل: وهو أنه: هل من شرط النسخ الإشعار بالمنسوخ؟ ولنظار المسلمين فيه قولان:

---

(١) في ك و ط (منهم).
(٢) في ك و ط (يبشر).
(٣) سقطت (به) من أ والأصوب إثباتها كما في ك و ط.
(٤) في ك و ط (تعرف).
(٥) في ك و ط زيادة (فنحن).
(٦) في ك و ط (يجب).
(٧) في أ (ففيه).

أحدهما: أنـه لا بد إذا شـرع حكماً يـريد أن ينسخـه، فلا بـد أن يشعر المخاطبين بأنه سينسخه[1]، لئلا يظنوا دوامه، فيكون ذلك تجهيلاً لهم.

والثاني: لا يشترط ذلك.

وأيضاً، فمن بعث بعد موسى[2]، هل يجب أن يكـون مبشراً بـه؟ فيه قولان.

وبكـل حال، فـلا ريب عند علمـاء المسلمين أن المسيح ـ عليـه السلام ـ بشر بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[3].

وقد[4] قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي

---

(١) في ك و ط (بأني سأنسخه).

(٢) في ك و ط زيادة (بشريعة).

(٣) سورة الصف: الآية ٦. وفي ك و ط زيادة قوله: (الآية).
قوله ـ تعالى ـ (أحمد) يحتمل معنيين: **أحدهمـا**: المبالغـة في الفاعـل، يعني أنه أكثر حمداً لله من غيره. **وثانيهما**: المبالغـة من المفعول، يعني، أنـه يحمد بمـا فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره.
انظر: التفسير الكبير ٢٩/٣١٤ م ١٥.

(٤) سقطت (قد) من ك و ط.

كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[3].

في موضعين من القرآن، أحدهما في التوحيد[4] والقرآن، والآخر في القبلة، والقرآن ومحمد.

فقال في الأول:

﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦، وسورة الأنعام: الآية ٢٠.
(٤) في ك و ط (أو).
(٥) سورة الأنعام: الآيتان ١٩، ٢٠.

وهذا في سورة الأنعام، وهي مكية[1].

وقال في سورة البقرة ــ وهي مدنية ــ :

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾[2]﴾[3].

---

(١) في ط (مدنية).

(٢) شطر المسجد: وجهة المسجد الحرام وتلقاءه وجانبه.
انظر: التفسير الكبير ٤/١٢٤ م ٢.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٤٤ ــ ١٤٧.
في أ جاء بقوله ــ تعالى ــ :
﴿**ومن حيث خرجت**﴾، إلى قوله: ﴿**فولوا وجوهكم شطره**﴾.
وهي الآية رقم ١٥٠ ثم أتبعها بقوله ــ تعالى ــ :
﴿**وإن الذين أوتوا الكتاب**...﴾ الآيات.
وهي آخر الآية رقم ١٤٤ والآيتان التاليتان لها.
الممترين: الشاكين، وجملة: «فلا تكونن من الممترين». عائدة إلى أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأن بعضهم عاند وكتم، أو إلى أمر القبلة، أو إلى صحة نبوته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وشرعه، وهذا هو الأقرب، لأن أقرب المذكورات إليه قوله ــ تعالى ــ :
﴿**الحق من ربك**﴾.
فإذا كان ظاهره يقتضي النبوة وما تشتمل عليه من قرآن ووحي وشريعة. =

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ... وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

وقال[2] ــ تعالى ــ :

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ؟ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا

= فقوله ــ تعالى ــ :

﴿فلا تكونن من الممترين﴾. ظهر كونه راجعاً إليه.

انظر: التفسير الكبير ٤/١٤٤ م ٢.

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) سقطت الواو في ط.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(٥) سورة الرعد: الآية ٤٣.

عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ . . . ﴾[1] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ[2] يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[3] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ[4] وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5] .

وقال ــ تعالى ــ[6] :

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[7] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣ وفي ك و ط زيادة (الآية).

(٢) هو جمع قلة من (ذقن) وهو من الإنسان مجمع لحييه.
انظر: المصباح المنير ٢٠٨.

(٣) سورة الإسراء: الآيتان ١٠٧، ١٠٨.

(٤) أي: يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم بالحسنة أي الكلمة الطيبة الجميلة.
أو لا يقابلون السيِّىء بمثله ولكن يعفون ويصفحون.
انظر: صفوة التفاسير ٢٠/٤٣٩ م ٢.

(٥) سورة القصص: الآيات ٥٢ ــ ٥٤.

(٦) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٧) سورة يونس: الآية ٩٤ وفي ط زيادة (الآية).

وإذا كان كذلـك، فيقال: معلوم بـاتفاق أهـل الملل، أنه ليس من شـرط نبوة كـل نبـي أن يبشر بـه من قبله، إذ النبوة ثـابتـة بـدون ذلـك، لا سيمـا ونـوح وإبـراهيم وغيـرهمـا لم يُعلم أنـه بُشِّـر بهمـا من قبلهمـا، وكـذا عامـة الأنبيـاء الـذين قـامـوا في بني إسـرائيـل، لم تتقـدم بهم[1] بشارات، إذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة، كداود وأشعيا[2] وغيرهما.

وإنما قد يدعى[3] هذا فيمن جاء بنسخ[4] شرع من قبله، كما جاء المسيـح بنسخ بعض أحكـام التوراة، وكـذلك محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ. ففي مثـل هـذا يتنـازع المتنـازعـون من علمـاء المسلمين وغيرهم: هل يُشترط أن يكون قد أخبر بذلك قبل النسخ؟ على قولين.

وحينئذ[5] فالمسلمون يقولون: شريعـة التوراة والإنجيـل لم تشرع شرعاً مطلقاً، بل مقيداً، إلى أن يأتي محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لا يعلم متى يكون، كقوله ــ تعالى ــ:

﴿... فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ...﴾[6].

وقوله[7] ــ تعالى ــ:

﴿... فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾[8].

---

(١) في ك و ط (يتقدم لهم).

(٢) سبق التعريف به ٢/ ٢٤ رسالة دكتوراه (من طبعتنا هذه)، د. علي بن حسن بن ناصر.

(٣) رُسمت في أ هكذا (يدعا).

(٤) في ك و ط زيادة (بعض) وهي في أ مضروب عليها.

(٥) في ك و ط زيادة (فنقول).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٧) في ط (قال).

(٨) سورة النساء: الآية ١٥.

ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل.

وهل يسمى هذا نسخاً؟ فيه قولان: قيل: لا يسمى نسخاً، كالغاية المعلومة. كقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ . . .﴾[1].

فإن ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل، لا يسمى نسخاً باتفاق الناس.

فقيل: إن الغاية المجهولة، كالمعلومة. وقيل: بل هذا يسمى نسخاً، ولكن هذا النسخ جائز باتفاق أهل الملل: اليهود وغيرهم. وعلى هذا، فثبوت نبوة المسيح ومحمد ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ لا تتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه، فإن ذلك إنما يكون في الحكم المطلق، والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً.

وسواء قيل: إن الإشعار بالناسخ واجب، أو قيل: إنه غير واجب، فعلى القولين قد أشعر أهل الشرع الأول، بأنه سينسخ. فإن موسى بشر بالمسيح، وكذلك غيره من الأنبياء. وموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء بشروا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإذا كان هذا هو الواقع، فنبوة المسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليهما[2] وسلَّم ـ لا تتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه.

وحينئذ فنقول: العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح، لا تتوقف على

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) في أ (عليه).

العلم بأن من قَبْلَهما بَشَّر بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عُرِفت نبوته بطريق من الطرق، ثبتت نبوته عند من علم ذلك، وإن لم يُعْلَم أن من قَبْله بَشَّر به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قَبْله بمجيئه، وأن الإشعار بنسخ شريعة من قَبْله واجب أو واقع، صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته، علم أن هذا قد وقع، وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به[1]، يقدح في نبوته، وأنه[2] إذا قُدِّر أنه لم يخبر به من قبله ــ والإخبار شرط[3] في النبوة ــ كان ذلك قدحاً. قيل: الجواب هنا من طريقين:

أحدهما: أن يقال: إذا عُلِمت نبوته بما قام عليها من أعلام النبوة: فإما أن يكون تبشير من قبله به لازماً لنبوته، واجباً أو واقعاً، وإما أن لا يكون لازماً.

فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً عُلِمَ أنه قد وقع. وإن كان ذلك لم ينقل إلينا: إذ ليس كُلُّ ما[4] قالته الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا. وليس كل ما[5] أخبر به المسيح ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قُدِّر أن هذا ليس في الكتب الموجودة، لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه، بل يمكن أنهم ذكروه وما نقل. ويمكن أنه كان في كتب غير هذه[6]. ويمكن أنه كان في نُسخ غير هذه النُّسخ، فأزيل من

---

(١) في ك و ط زيادة (قد).

(٢) في ك و ط (فإنه).

(٣) في ك و ط (شرطاً) بالنصب.

(٤) في أ و ك (كلما).

(٥) في أ و ك (كلما).

(٦) في ط زيادة (الكتب).

بعضها، ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة، لا يمكن الجزم بنفيه.

فلو قُدِّر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب، لم يُقطَع بأن الأنبياء لم يبشروا به. فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يبشر به الأنبياء، ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يبشر[١] به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك، بل غاية ما يكون عند أحدهم ظن، لكونه طلب ذلك، فلم يجده.

ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية، لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء، كما في صحيح البخاري: أنه قيل لعبد الله بن عمرو[٢]: «أَخْبِرْنا ببعض صفة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة، فقال: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر[٣]، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة

---

(١) في ك و ط (تبشر).

(٢) هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات سنة الحرة ٦٢هـ بالطائف.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٣٦؛ وسير أعلام النبلاء ٣/٨١ ــ ٩٤.

(٣) في أ (أو تغفر) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

الموجاء[1]، فأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً. وقلوباً غلفاً، بأن يقولوا: لا إلّه إلاَّ الله»[2].

ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور: قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس، فَيُعَبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، كما في الحديث الصحيح عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «خُفف على داود القرآن، فكان ما بين أن تُسرج[3] دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن»[4] والمراد به قرآنه: وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلاَّ على محمد.

وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد[5]: «أناجيلهم في صدورهم»[6] فسمى الكتب الذي[7] يقرؤونها ــ وهي القرآن ــ أناجيل.

---

(١) في ك (العرجاء).

(٢) أورده الشيخ هنا بشيء من اختلاف اللفظ وهو في صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق ٤/٣٤٢ ــ ٣٤٣ (٢١٢٥) وفي كتاب التفسير، سورة الفتح، باب ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ٨/٥٨٥ (٤٨٣٨) من فتح الباري.

(٣) في ك و ط (يسرج).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله ــ تعالى ــ : ﴿... وآتينا داود زبوراً﴾ ٦/٤٥٣ (٣٤١٧) من فتح الباري بلفظ: «خفف على داود ــ عليه السلام ــ القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلاَّ من عمل يده».
ورواه الإمام أحمد ٢/٣١٤.

(٥) **أُمَّة محمد**: هم أتباع ملة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وشريعته ومنهاجه وسنته. انظر: الملل والنحل ١/٣٠٨.

(٦) يبدو لي أن هذا النص هو من العهد الجديد. حسب الترجمة السائدة في أيام شيخ الإسلام، وقد بحثت عن هذه الجملة القصيرة المجتزأة فلم أعثر عليها.

(٧) في ط (التي).

وكذلك في التوراة: «إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم أنـزل عليه توراة مثل توراة موسى»[1]، فسمى الكتاب الثاني توراة.

فقـوله: «أخبـرني بصفة رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ في التوراة»[2] قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلهـا، وكلها تسمى تـوراة، ويكون هذا في بعضها.

وقـد يراد بـه التوراة المعينـة، وعلى هذا فيكـون هـذا في نسخـة لم ينسخ[3] منها هذه النسخ، فـإن النسخ المـوجودة بـالتوراة التي وقفنـا عليها، ليس فيها هذا[4].

لكن هذا عندهم في نبوة أشعيا، قال فيها: «عبـدي الذي سُـرَّت به نفسي، أنزل عليه وحيـي، فيظهر في الأمم عـدلي، ويوصيهم بـالوصـايا، لا يضحك، ولا يُسْمَعُ صوته في الأسـواق، يفتح العيـون العور، والآذان الصم، ويحيـى القلوب الغلف، ومـا أعطيـه لا أعطي أحـداً، يحمد الله حمداً جديداً، يأتي من أقصى الأرض، وتفرح البريـة وسكانهـا، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يَضْعُفُ ولا يُغْلَب، ولا يميـل إلى الهوى، مشقـح[5]، ولا يُذِل الصـالحين الذين هم كـالقصبـة

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح ١٨، العهد القديم ٢٤٢ الكتاب المقدس (عندهم) أي كتب العهـدين القديم والجـديد. متـرجم من اللغات الأصليـة: وهي العبريـة والكلدانيـة واليـونانيـة، دار الكتاب المقـدس (عنـدهم) في الشـرق الأوسط بمصـر، ونصـه في الترجمة الحالية: «يقيم لك الرب إلٓهك نبياً من وسط إخوتك مثلي، له تسمعون».

(٢) هو في الأثر عن ابن عمرو المذكور آنفاً.

(٣) في ك و ط (تنسخ).

(٤) هذا تصريح من الشيخ المؤلف بأنه قد اطلع بصفة شاملة على كل مـا هو مـوجود في وقته من الكتب السابقة ــ حسب ما أمكنه.

(٥) في أ بياض بمقدار كلمة وقد كتب أولها (مـ) وهي في ك و ط «مشقح» وأظن، أنها =

الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى. أثر سلطانه على كتفيه»(1).

وهذه صفات منطبقة على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأمته، وهي من أجَلِّ بشارات الأنبياء المتقدمين به.

ولفظ التوراة، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك الزبور، ونبوة أشعيا، وسائر النبوات غير الإنجيل.

فإن كان المراد بلفظ التوراة والإنجيل في القرآن هذا المعنى، فلا ريب أن ذكر النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في التوراة(2) كثير متعدد(3).

الطريق الثاني من الجواب: أن نبين أن الأنبياء قبله بشروا به. وهذا هو دليل مستقل على نبوته، وعَلَم عظيم من أعلام رسالته. وهذا ــ أيضاً ــ يدل على نبوة ذلك النبي إذ أخبر بأنباء من الغيب، مع دعوى

= مقحمة، وربما يكون من شقحت البسرة: إذا تغيرت إلى الحمرة، ومن أشقح النحل: إذا أزهى.
انظر: اللسان ٢/٤٩٩ مادة: شقح.

(1) انظر: سفر أشعيا، الإصحاح ٣٥، فقرة ١ ــ ١٠ العهد القديم ٨١٥ والإصحاح التاسع فقرة ٦ العهد القديم ٧٩٠. والإصحاح الثاني والأربعين فقرة ١ ــ ٩.

(2) في ك و ط زيادة (بهذا الاعتبار).

(3) في ك و ط زيادة (ظاهر كما سنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة في قوله:
﴿... **يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**...﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧].
متناولة لجنس الكتب التي يُقِرُّ بها أهل الكتاب، ولفظ الإنجيل يختص بما عند النصارى، ولهذا لم يذكر كونه في الزبور، مع أنه مذكور فيه إذ كان مندرجاً في لفظ التوراة).

النبوة، ويدل على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لإخبار من تثبت نبوته بنبوته. هذا إذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته[1]، ولم يذكر في كتابنا.

وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى، كموسى والمسيح، فهذا مما تظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد، وهو ـ أيضاً ـ يتضمن أن كل ما ثبتت به نبوة غيره، فإنه تثبت به نبوته. وهو جواب ثانٍ لمن يجعل ذلك شرطاً لازماً لنبوته.

● ● ●

(١) في ك و ط (ثبوته) بالتاء المثلثة في أوله.

فصل

طرق العلم بشارة الأنبياء بمحمد ــ عليهم الصلاة والسلام ــ

ثم العلم بأن الأنبياء قبله، بشروا به يعلم من وجوه:

أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذِكْره.

الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم ــ بما وجدوه من ذكره فيها[١].

وهذا مثل ما[٢] تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم[٣]، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه، من غير رهبة ولا رغبة.

ولهذا قيل: إن المدينة فتحت بالقرآن، لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها[٤].

---

(١) في ك و ط (بها).

(٢) رسمت في أ و ك هكذا: (مثلما).

(٣) في ك و ط زيادة: (وكانوا ينتظرونه).

(٤) في ك و ط زيادة (وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن، قال ــ تعالى ــ: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون * وقالوا: قلوبنا غلف. بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلاً =

ومثل ما تواتر عن أخبار النصارى بوجوده في كتبهم، مثل أخبار هرقل[1]. ملك الروم، والمقوقس[2] ملك مصر، صاحب الاسكندرية[3]، والنجاشي ملك الحبشة، والذين جاؤوه بمكة[4]، وقد ذكر الله ذلك[5] في القرآن في قوله عن اليهود:

﴿... وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ...﴾[6].

وقال ـ عن النصارى ـ :

= ما يؤمنون * ولما جاءهم كتاب من عند الله، مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به، فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم، أن يكفروا بما أنزل الله، بغيا أن ينزل الله من فضله، على من يشاء من عباده، فباؤوا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين﴾. [سورة البقرة: الآيات ٨٧ ـ ٩٠].

(١) **هرقل**: هو ابن أبوسطنيوس، وكان مدة ملكه ٢٥ سنة، وقيل ٣١ سنة، وفي أيامه كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومنه ملك المسلمون الشام مات سنة ٢٠هـ وقد مَلَك بعده ابنه أو ابن أخيه قسطنطين.
انظر: مروج الذهب ٣٢٨/١؛ والكامل ١٩٢/١؛ والبداية والنهاية ٩٧/٧.

(٢) هو جريج بن مينا القبطي. البداية والنهاية ٢٧٢/٤.

(٣) المشهورة بهذا الاسم هي الاسكندرية العظمى في بلاد مصر، ولقد بنى الاسكندر ١٣ مدينة سماها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده.
انظر: مراصد الاطلاع ٧٦/١.

(٤) انظر: الخبر عن النفر العشرين، من نصارى نجران، الذين قدموا مكة قبل الهجرة فأسلموا. في دلائل النبوة ٣٠٦/٢ للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ـ ٤٥٨هـ. توثيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٥) في ك و ط زيادة (عنهم).

(٦) سورة البقرة: الآية ٨٩.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

وقوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ . . . ﴾[2].

وقال ابن إسحاق[3]: «حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[4]: أن يهود كانوا يستفتحون[5] على الأوس والخزرج[6] برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطّلبي، إمام المغازي، صدوق يدلس، مات سنة ١٥٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٤٤؛ وسير أعلام النبلاء ٧/٣٣ ــ ٥٥.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ دعا له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بالفهم في القرآن فكان يسمى (البحر) و (الحبر) لسعة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة مات سنة ٦٨هـ بالطائف.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٥؛ وأسد الغابة ٣/١٨٦ ــ ١٩٠.

(٥) **الاستفتاح**: الاستنصار.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٣/٤٤٣.

(٦) الأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيْقيا بن عامر ــ ماء السماء ــ ابن حارثة بن الغطْريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ و ٣٢٩ ــ ٣٣٠.

ما كانوا يقولون فيه. فقال معاذ بن جبل[١] وبشر بن البراء بن معرور[٢]، وداود بن سلمة[٣]، يا معشر يهود، اتقوا الله، وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته». فقال سَلاَّم بن مِشْكَم[٤]، أخو بني النضير[٥]: «ما جاءنا شيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم».

---

(١) **معاذ بن جبل**: هو ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، من أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها كان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ١٨هـ وهو مشهور.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٥٥؛ وأسد الغابة ٤/٤١٨ ــ ٤٢١.

(٢) **بشر بن البراء بن معرور**: هو ابن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي، من بني سلمة، شهد العقبة وبدراً وأحداً، ومات بخيبر سنة ٧هـ وذلك بسبب أكله من الشاة المسمومة التي أكل منها مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ١/٢١٨؛ وطبقات ابن سعد ٢/٢٠٢ و٣/٦١٨. والمسماة الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن منيع البصري الزهري ــ ٢٣٠هـ دار بيروت ودار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م.

(٣) **داود بن سلمة**: هو الأنصاري، قال ابن حجر: له ذكر، ثم أورد هذا الأثر من رواية ابن أبي حاتم في التفسير ثم عقب بقوله: كذا رأيته في نسخة. ووقع في نسخة أخرى: «فقال لهم معاذ وبشر بن البراء أخو بني سلمة». كذا ذكره الطبري من هذا الوجه، فلعل الأول تصحيف.
انظر: الإصابة ١/٤٧٣.

(٤) هو: سيد بني النضير في زمانه، وصاحب كنزهم، وهو الذي نهى بني قومه عن نية إلقاء الحجر على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «هو يعلم». وهو زوج زينب بنت الحارث، التي أطعمت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الشاة المسمومة في خيبر، وقد تزوج أم المؤمنين صفية بنت حيي فمات عنها، ومعنى ذلك أن سلاّم قد مات قبل عام خيبر.
انظر: السيرة لابن هشام ٣/٤٧؛ والكامل ٢/٩٩ و١١٩ و١٥٠ و٢١٠.

(٥) هم قبيلة كبيرة من اليهود، كان رئيسهم حيي بن أخطب، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة، غزاهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وحاصرهم ــ بعد =

فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقال أبو العالية[2] وغيره: «كانوا ـ يعني اليهود ـ إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب[3] يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا، حتى نعذب المشركين ونقتلهم»[4]. فلما بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ورأوا أنه من غيرهم، كفروا به حسداً

= نقضهم العهد ـ وأجلاهم إلى الشام على أن لهم ما حملت الإبل، وفيهم نزلت سورة الحشر.
انظر: فتح الباري ٧/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣.

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.
السيرة لابن هشام ٢/ ١٩٦، ورجال إسناد هذا الأثر ثقات سوى محمد بن أبي محمد، وقد ذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) **أبو العالية**: هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي البصري، وهو ثقة، فأما قول الشافعي: «حديث أبي العالية الرياحي رياح» فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط. ومذهب الشافعي: أن المراسيل ليست بحجة، فأما إذا أسند أبو العالية فحجة، وهو إمام مقرىء حافظ مفسر، أدرك زمان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه. وحفظ القرآن على أبيّ بن كعب وذاع صيته، مات سنة ٩٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧؛ وتقريب التهذيب ١/ ٢٥٢.

(٣) **مشركوا العرب**: أولهم عمرو بن لحي من قَمَعة بن خِندق الخزاعي، فهو أول من غير دين إسماعيل ـ عليه السلام ـ فنصب الأوثان، وبَحَر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي. وكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: « . . . لا شريك لك إلَّا شريكاً هو لك . . . » وكان لكل قبيلة صنماً، واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت: وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدي لها ويطاف وينحر.
انظر: السيرة لابن هشام ١/ ٧٨ ـ ٨٥.

(٤) في ك و ط (يعذب المشركين ويقتلهم) بالياء في الموضعين.

للعرب وهم يعلمون: أنه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] فأنزل الله هذه الآيات:

﴿... فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ...﴾[2].

وروى ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، ثم الظَّفَري[3]، عن رجال من قومه قالوا: «ومما دعانا إلى الإسلام ـ مع رحمة الله وهداه ـ أنا كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل الكتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: «قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم[4]، فكنا كثيراً ما[5] نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسولاً من عند الله، أجبنا حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت[6] هؤلاء الآيات

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٩.
الأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره: جامع البيان ٢/٣٣٤ (١٥٢٦) ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ونقله ابن كثير في تفسيره: تفسير القرآن العظيم ١/١٧٨.

(٣) في ك و ط (الطفري).

(٤) ارم: هم عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عموص بن سام بن نوح، ورسولهم: هو هود ـ عليه السلام ـ وقال مجاهد: إرم: أمة قديمة ـ يعني عادا الأول ـ كما قال قتادة والسري: إن ارم بيت مملكة عاد. قال ابن كثير: وهذا قول حسن جيد قوي.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٤١٦ ـ ٤١٧.

(٥) هكذا في ك و ط، وفي أ (مما) والأول أصح، وهو ما أثبتناه.

(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك (نزل) والأصوب ما في ط ولهذا اعتمدناه.

التي في البقرة:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

قال ابن إسحاق: «وحدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[2]، حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري[3]، قال: حدثني من شئت من رجال قومي، عن حسان بن ثابت الأنصاري قال: «والله أني لغلام يفعة[4]، ابن سبع سنين أو ثمان سنين، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يقول على أُطُم[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.
الأثر بمعناه في السيرة لابن هشام ٢/١٩٠. وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٣ (١٥١٩) ت: محمود شاكر. وقال: هذا له حكم الحديث المرفوع.. ورجحنا اتصاله».

(٢) هو الزهري، أبو عبد الرحمن، المدني، ثقة، من الطبقة الخامسة، مات قبل سنة ١٢٧هـ، في ولاية إبراهيم بن هشام.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٥٨؛ والكاشف ٢/١٨.

(٣) هو الأنصاري البخاري المدني، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البجلي: تابعي ثقة.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/٢٤١.

(٤) في ط (يفقه).
من اليَفَاع: وهو ما ارتفع من الأرض مثل (سلام) وأيفع الغلام: شب.
انظر: المصباح المنير ص ٦٨١.

(٥) **الأُطُم**: القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح. وجمعه: آطام وأطوم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/١٥٧.

يثرب[1]، يصرخ: «يا معشر اليهود» فلما اجتمعوا عليه قالوا: «ما لك ويلك؟» قال: «طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة»[2].

وروى أبو زرعة[3]، بإسناد صحيح، عن أسامة بن زيد، عن أبيه زيد بن حارثة[4]، قال: «خرج[5] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو مُرْدِفِيَّ. ثم أقبل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في يوم حار من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي، لقيه زيد بن عمرو بن نفيل[6] فقال له رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «يا ابن عمرو. ما لي أرى قومك قد شنفوكِ؟»[7].

---

(١) مدينة الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ سميت بأول من سكنها وهو: يثرب بن قانية، من ولد سام بن نوح. وقيل: إن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كره هذا فسماها طيبة وطابة. ويروى عن ابن عباس: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة.
انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٣٠.

(٢) السيرة لابن هشام ١/١٦٨، وإسناد هذا الأثر فيه مجهولون.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرّوخ، القرشي المخزومي. الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور، أحد الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام، قال إسحاق بن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل مات بالري آخر سنة ٢٦٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٣٦؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤.
أخبرني شيخي أ. د. محمد مصطفى الأعظمي: أن مسند أبي زرعة لا يزال في عالم المخطوطات.

(٤) مترجم له في ١/١٧٣ رسالة دكتوراه (من طبعتنا هذه) د. علي بن حسن بن ناصر.

(٥) في ك و ط زيادة (علينا).

(٦) هو ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط القرشي العدوي، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، كان موحداً في الجاهلية، توفي قبل مبعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ٢/١٤٣ ــ ١٤٤.

(٧) **الشَّنَف**: النظر إلى الشيء كالمعترض عليه أو كالمتعجب منه، أو كالكاره له. وشَنِف =

قال: «أما والله، إن ذلك لغير ثائرة[1] كانت مني فيهم، لكن أراهم على ضلال».

فخرجت أبتغي هذا الدين، فأتيت إلى أحبار[2] يثرب، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فخرجت حتى آتي أحبار خيبر، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام: «إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلاَّ شيخ بالجزيرة». فخرجت، فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: «إن كل من رأيت في ضلالة، فمن[3] أنت[4]؟ قلت: أنا من أهل بيت الله[5]، ومن أهل الشوك والقَرْظ»[6].

فقال: «إنه قد خرج في بلدك نبي، أو خارج قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه وآمن به»، فرجعت فلم أحس شيئاً بعد، قال:

= له ــ كفرح ــ : أبغضه وتنكره فهو شَنِف. وفَطِن. والشانف: المعرض.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ٢/٧٦٤.

(١) في ط (مأثرة) وهو تحريف.
الثائرة: طلب الثأر والدم.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٣٩٤.

(٢) جمع حَبْر وهو العالم أو الصالح، ويجمع على حبور ــ أيضاً ــ .
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٧٣.

(٣) في ك و ط (ممن).

(٤) في ك و ط زيادة (قال).

(٥) هو الذي بمكة ــ حرسها الله ــ وهو البيت الحرام. وهو الكعبة زادها الله شرفاً.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٣٧؛ و٣/١١٦٨.

(٦) **القرظ**: هو استخراج الماء من الآبار.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٩٣.

«فأناخ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بعيره، فقدمنا[1] إليه السفرة»[2]. قال زيد: «ما آكل شيئاً ذبح لغير الله» فتفرقا، فجاء رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فطاف بالبيت. قال زيد[3]: وأنا معه: وكان صنمان من نحاس يقال لهما (إساف) و(نائلة)[4] مستقبل الكعبة، يتمسح بهما الناس إذا طافوا، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «لا تمسهما ولا تمسَّح بهما».

قال زيد: فقلت في نفسي، وقد طفنا، لأمسنهما[5] حتى أنظر ما يقول، فمسستهما فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ألم تُنْهه؟» فلا والذي أكرمه، ما مسستهما حتى أنزل الله عليه الكتاب.

ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: إنه يبعث أمة وحده».

وروى البخاري حديث خروج زيد بن عمرو قريباً من هذا

---

(١) في ط (قدمنا).
(٢) السّفْرة: طعام يصنع للمسافر. وسميت الجِلْدة التي يوعى فيها الطعام سفرة مجازاً.
انظر: المصباح المنير ص ٢٧٩.
(٣) هو الراوي: زيد بن حارثة ــ رضي الله عنه ــ.
(٤) هما رجل وامرأة من جُرْهُم، لم يمهلهما الله ــ تعالى ــ حتى يَفْجرا في الكعبة، ولكنه قَبَّلها، فمُسخا حجرين، فأُخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبرة وعظة، فلما كان عمرو بن لحي: نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عُبدا من دون الله ــ تعالى ــ، وإساف هو ابن بغي، ونائلة هي بنت ديك.
انظر: الروض الأنف ١/١٠٥ لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ــ ٥٨١هـ بتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.
(٥) في ك و ط (لأمسهما).

اللفظ[1].

وقال ابن إسحاق: حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد[2] عن سلمة بن سلامة بن وقش[3]، قال:

---

(١) وهو عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ: «أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل (بَلْدَح) قبل أن ينزل على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الوحي فَقُدِمْت إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ سُفْرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلَّا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم...» الحديث.
وأخرج البخاري تعليقاً ــ عن سالم عن أبيه ــ مع الشك ــ عن موسى بن عقبة في رواية سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ــ أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويَتَّبِعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم فقال: «إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني»، فقال: «لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله»، قال زيد: «ما أَفِرُّ إلَّا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنَّى أستَطيعه، فهل تدلني على غيره»؟ قال: «ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً»، قال زيد: «وما الحنيف»؟ قال: «دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلَّا الله»، فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى. فذكر مثله فقال: «لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله»، قال: «ما أفر إلَّا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره»؟ قال: «ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفاً». قال: «وما الحنيف»؟ قال: «دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلَّا الله» فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ــ عليه السلام ــ خرج. فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم».
أخرجهما البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢/٧ ــ ١٤٤ (٣٨٢٦ ــ ٣٨٢٧) من فتح الباري.

(٢) **محمود بن لبيد**: هو ابن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي، أبو نعيم المدني، صحابي صغير، وَجُلّ روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٦هـ، وله ٩٩ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢٣٣/٢؛ وأسد الغابة ٣٤١/٤ ــ ٣٤٢.

(٣) **سلمة بن سلامة بن وقش**: هو ابن زغبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل الأنصاري =

«كان بين أبياتنا يهودي، فخرج على نادي[1] قومه بني عبد الأشهل[2] ذات غداة، فذكر البعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثن، لا يرون أن بعثاً كائن بعد موت، وذلك قبل مبعث رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: «ويحك يا فلان ــ أو ويلك[3] ــ وهذا كائن؟ أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار، أن توقدوا[4] أعظم تنور في داركم، فتحمونه[5]، ثم تقذفوني فيه، ثم تَطَيّنون عليَّ، وإني أنجو من تلك النار غداً. فقيل: يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: «نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار إلى مكة واليمن بيده»، قالوا: فمتى تراه[6]؟ فرمى بطرفه فرآني وأنا

= الأشهلي، أبو عوف. شهد العقبتين والمشاهد كلها، ولاه عمر على اليمامة، مات سنة ٣٤هـ، وله ٧٠ سنة.

انظر: أسد الغابة ٢/٢٧٦.

في ك و ط (وقس) بالسين المهملة.

(١) في ك و ط (بادي) بالباء في أوله.

(٢) **بنو عبد الأشهل**: نسبة إلى عبد الأشهل بن جُشَمْ بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ــ مُزَيْقِياء ــ ابن عامر ــ ماء السماء ــ ابن الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ــ وهو أدد ــ بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان. بطن من الأنصار.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ١/٦٨؛ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٢٩ ــ ٣٣٩.

(٣) ويح لزيد وويحاً له: كلمة رَحْمَة. والويل: حلول الشر.

انظر: ترتيب القاموس ٤/٦٦٥ ــ ٦٦٦.

(٤) في ك و ط (يوقدوا).

(٥) في ك و ط بالياء المثناة التحتية في المواضع الثلاثة.

(٦) في ط (نراه).

مضطجع بفناء[1] باب[2] أهلي وأنا أَحْدَث القوم فقال: «إن يستنفذ[3] هذا الغلام عمره يدركه». فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله، وإنه لحيٌّ بين أظهرهم، فآمنا به وصدقناه، وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا له: يا فلان، ألست الذي قلت ما قلت، وأخبرتنا؟ قال: «ليس به»[4].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن غلاماً يهودياً[5] كان يخدم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فمرض، فأتاه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة. فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «يا يهودي، أَنْشُدُك بالله[6] الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة[7] صفتي ومخرجي؟» قال: لا. قال الفتى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك[8]، وإني أشهد أن لا إلٓه إلَّا الله، وأنك رسول الله. فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أقيموا هذا من عند

---

(١) الفناء: ـ مثل كتاب ـ هو: سعة أمام البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه.
انظر المصباح المنير ص ٤٨٢.

(٢) في ك و ط (بفنايات).

(٣) في ك (يستنقد) بالقاف وفي ط (يستقد).

(٤) السيرة لابن هشام ١/٢٢٥ وهذا الأثر رجال إسناده ثقات.

(٥) قال ابن حجر: لم أقف في شيء من الطرق الموصولة على تسميته، إلَّا أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب (العتبية) حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام (عبد القدوس) قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره.
انظر: فتح الباري ٣/٢٢١.

(٦) أي: ذكّرتك به، أو سألتك به مقسماً عليك.
انظر: المصباح المنير ٢/٦٠٥.

(٧) في دلائل النبوة زيادة (نعتي).

(٨) اللفظ في دلائل النبوة: «قال الفتى: يا رسول الله، إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك».

رأسه، وَلُوا[١] أخاكم». رواه البيهقي[٢] بإسناد صحيح[٣]. وقال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة[٤]، قال: هل تدري عما كان إسلام أسيد[٥] وثعلبة[٦] ابني

---

(١) من وَلِيَه: إذا قام به، فهو ولي، والجمع: أولياء، قال ابن فارس: وكل من ولي أمر أحد فهو وليه.
انظر: المصباح المنير ص ٦٧٢.

(٢) هو: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، ولد سنة ٣٨٤هـ، درس على أبي عبد الله الحاكم، وتخرج، كان ديناً زاهداً ورعاً، مات بنيسابور سنة ٤٥٨هـ، ونقل جثمانه إلى بيهق ودفن بها ــ على يومين من نيسابور ــ وكان له ٧٤ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣ ــ ١٧٠؛ ووفيات الأعيان ١/٧٥ ــ ٧٦.

(٣) وإسناده: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا أحمد بن عمر، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس. . .
انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٦/٢٧٢ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ــ ٤٥٨هـ، ت: د. عبد المعطي قلعجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

(٤) قريظة: اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة. وقريظة والنضير: أخوان من أولاد هارون النبي ــ عليه السلام ــ.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٦ لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري ــ ٦٣٠هـ دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٥) هو القُرَظي، أسلم وأحرز ماله وحسن إسلامه توفي في حياة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ١/١١٠.

(٦) وقيل: إن يامين لما أسلم قالت اليهود: والله ما آمن بمحمد ولا أتبعه إلَّا أشرارنا. ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره «فأنزل الله ــ تعالى ــ في ذلك من قولهم:
﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة..﴾ إلى قوله ــ تعالى ــ: ﴿... من =

سعيـة[1]، وأسد بن عبيـد[2]، نفـر من[3] هَـدْل[4]، لم يكـونـوا من بني قريظة وبني النضير، كانوا فوق ذلـك؟ فقلت: لا، قال: فـإنه قـدم علينا رجـل من الشام من يهـود يقال لـه: ابن الهيَّبَان[5]، فـأقام عنـدنـا، والله مـا رأينا رجـلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منـه، فقـدم علينـا قبـل مبعث النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ بسنين، وكنـا إذا أقحـطنـا وقـلَّ علينـا المطر نقول: يـا ابن الهيَّبان، أخـرج فاستسق لنـا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمـام مخرجكم صـدقة! فنقـول: كم؟ فيقول: صـاعاً[6] من تمـر أو مُدَّيْن من شعير فنخـرجه، ثم يخـرج إلى ظاهـر حَرَّتنـا[7] ونحن معه،

= الصالحين﴾ [سورة آل عمران: الآيات ١١٢ ــ ١١٤].
وهو وأسيد وأسد من (بني هَدل) ليسـوا من بني قريـظة، فنسبهم فوق ذلـك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم سعـد بن معاذ. وقـد توفي في حياة النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أيضاً.
انظر: الإصابة ١/٢٨٧ و ٢٨٨؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ١/٦٩.

(١) في ك و ط (سعيد).
(٢) هـو القُرَظي اليهـودي، وهو ابن عـم أسيـد وثعلبـة ابني سَعْيَة، ذكـره ابن حبـان في الصحابة.
انظر: طبقات ابن سعد ١/١٦٠؛ وأسد الغابة ١/٨٥؛ والإصابة ١/٣٣.
(٣) في ك و ط زيادة (بني).
(٤) في جميع النسخ بما فيها أ (هُذَيل) وهو تحريف.
هذه النسبة إلى (الهَدْل) وهم إخوة قريظة ودعوتهم في بني قريظة.
انظر اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٣٨٢.
(٥) هـو أبو عميـر، وهو رجـل يهودي قـدم من بيت المقدس إلى المـدينة، ينتـظر ظهور محمـد رسول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ لكي يتبعه ــ كمـا ورد في هذا الأثـر ــ وقد مات قبل البعثة ودفن بالمدينة.
انظر: البداية والنهاية ٤/٨٠.
(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك «صاع» والصحيح ما أثبتناه من ط.
(٧) **الحرة**: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. =

فنستقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب[1] قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة. فحضرته الوفاة، واجتمعوا إليه، فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير[2] إلى أرض البؤس والجوع[3]؟ قالوا: أنت أعلم. قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع[4] خروج نبي قد أظل[5] زمانه، هذه البلاد[6] مهاجره، فاتبعوه ولا تُسْبَقُن[7] إليه إذا خرج، يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وبسبي[8] الذراري والنساء ممن يخالفه، ولا يمنعنَّكم ذلك منه» ثم مات. فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شباناً أحداثاً: يا معشر يهود، والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان. فقالوا: ما هو به. قالوا: «بلى والله إنه لصفته» ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم

= انظر: مختار الصحاح: ١٢٩ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٣م.

(١) جمع شِعْب وهو الطريق، وقيل: الطريق في الجبل.
انظر: المصباح المنير ص ٣١٣.

(٢) هو «الخميرة» ــ بتاء وبدونها ــ وهو ما يجعل في العجين. أراد بذلك الرخاء وسعة العيش.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٩.

(٣) المقصود بأرض الخمر والخمير أرض بيت المقدس، والمراد بأرض البؤس والجوع أرض المدينة أو الجزيرة العربية.
انظر: البداية والنهاية ٤/٨٠.

(٤) في ط (توقع).

(٥) من (أظلك فلان) إذا دنا منك كأنه ألقى عليه ظله.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٠٥.

(٦) في ط بزيادة واو.

(٧) في ط (تسبقن).

(٨) في ك و ط (سبي).

وأهاليهم. قال ابن إسحاق: فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم[1].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب، لما حدثه عن هرقل ــ وقد تقدم حديثه في أول الكتاب[2] ــ وذكر فيه: أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إن يكن ما تقول حقاً، أنه نبي[3]، قد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أَخْلُص[4] إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه».

وزاد البخاري في حديثه، وقال ابن الناطور[5]: وكان هرقل

---

(١) السيرة لابن هشام ١/٢٢٦، وإسناد هذا الأثر فيه مجهول. وقد أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق ــ أيضاً ــ من روايتين.
انظر: دلائل النبوة ٤/٣١ ــ ٣٢.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٢٨١ ــ ٢٨٥ من طبعتنا هذه للزميل د. علي بن ناصر، والجواب الصحيح (طبع المدني) ١/٩٢ ــ ٩٦، قال الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ : «وكان هرقل من أجل ملوك النصارى في ذلك الوقت، وقد أخبر غير واحد: أن هذا الكتاب إلى الآن باق، عند ذرية هرقل، في أرفع صوان، وأعز مكان، يتوارثونه كابراً عن كابر، وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق إلى الآن عند (الفنش) صاحب (قشتالة وبلاد الأندلس) يفتخرون به، وهذا أمر مشهور معروف».

(٣) في ك و ط (لنبي، وقد).

(٤) أخلص: أصل.
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٤.

(٥) في ط (الناظور) بالظاء المعجمة.
هو بالطاء المهملة، وفي رواية الحموي بالظاء المعجمة، وهو بالعربية حارس البستان. ووقع في رواية الليث عن يونس «ابن ناظورا» فعلى هذا هو اسم أعجمي، وقد روى أبو نعيم في الدلائل أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان، وقد كان أمير إيلياء «بيت المقدس».
انظر: فتح الباري ١/ ٤٠ ــ ٤١.

حَزّاء[1] ينظر في النجوم، فنظر فقال: «إن ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة»؟ قال: تختتن اليهود، فلا يهمنك شأنهم، وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم[2]. ثم وجد إنساناً من العرب فقال: «انظروا، أمختتن هو»؟ فنظروا، فإذا هو مختتن. وسأله عن العرب فقال: يختتنون. وقال فيه: وكان برومية صاحب له، كان هرقل نظيره في العلم، فأرسل إليه وصار إلى حمص[3]، فلم يَرِمْ من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنه نبي[4].

وكذلك النجاشي ملك الحبشة، لما هاجر الصحابة إليه، لما آذاهم المشركون، وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم، وقرؤوا عليه القرآن، قال: فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا[5] عيسى بن[6] مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته[7]، فقال: وإن نخرتم، اذهبوا

(١) **الحزّاء**: هو الذي يشتغل بالزجر والكهانة.
انظر: ترتيب القاموس المحيط ١/٦٣٧.

(٢) في ط (فيقتلونهم).

(٣) **حمص**: بلد مشهور كبير، بين دمشق وحلب، في منتصف الطريق، يسمى باسم من أحدثه وهو حمص من مكنف العميلقي.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٤٢٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان. . . ، ١/٣١ ـ ٣٣ (٧) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/١٣٩٣ (١٧٧٣).

(٥) ما عدا: ما جاوز، من عداه عدواً.
انظر: مختار الصحاح ص ٤١٩.

(٦) في ط (ابن).

(٧) جمع بطريق: كلمة يونانية مأخوذة من كلمة «أب» في اللغة المذكورة، وهو لقب =

فأنتم سيوم بأرضي. يعني أنتم آمنون. وقال هذا، لأن قريشاً أرسلوا هدايا إليه وطلبوا منه أن يرد هؤلاء المسلمين وقالوا: «هؤلاء فارقوا ديننا، وخالفوا دينك»[1].

وفي الصحيح[2]، حديث ورقة بن نوفل الذي ترويه عائشة ــ رضي الله عنها ــ في بدء الوحي، قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من الوحي الرؤيا الصادقة من[3] النوم، وكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه ــ وهو التعبد[4] ــ الليالي ذوات العدد ــ إلى أن قالت ــ: فأتت به خديجة ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل ــ ما شاء الله أن يكتب ــ، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس[5] الذي أنزل الله على موسى، ليتني

= لكل الذين يشتهرون بخدمتهم للامبراطورية أو الامبراطور ولهم المقام الأول في المملكة.
انظر: دائرة المعارف ٥/٤٧٧ ــ ٤٧٨ لبطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.

(١) في ك و ط زيادة (الحديث رواه أحمد وغيره).
رواه الإمام أحمد ١/٢٠١ ــ ٢٠٣ قال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».
انظر: مجمع الزوائد ٦/٢٤ ــ ٢٧، وقد ورد الحديث في السيرة لابن هشام ١/٣٥٧ــ ٣٦٢.
(٢) في ك و ط بالتثنية.
(٣) في ك و ط (في).
(٤) في أ (البعيد) وهو خطأ. والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٥) **الناموس**: صاحب سر الرجل، الذي يطلعه على باطن أمره، ويخصه بما يستره عن غيره. وزعم ابن ظفر: أن الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر. والمراد به هنا جبريل ــ عليه السلام ــ وقال: «على موسى» ولم يقل: على =

كنت[1] جَـذَعاً أنصـرك[2] إذ يخرجـك قـومـك، قال: أَوَ مُخْـرِجيّ هم؟ قـال: لم يأت أحـد بمثل مـا جئت به إلاَّ عُـودِيَ، وإن يـدركني يـومـك أنصرك نصراً مؤزراً» ثم لم ينشب[3] ورقة أن توفي[4].

= عيسى. مع كونـه نصرانيـاً لأن كتاب مـوسى ــ عليـه السـلام ــ مشتمـل على أكثـر الأحكام بخلاف عيسى. وأما ما ذكره السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بنـاسوت المسيـح واتحد به. الروض الأنف: ١/٢٧٣.

فهـذا الـذي ذكـره السهيلي: محـال لا يعـرَّج عليـه في حق ورقـة وأشبـاهــه، ممن لم يـدخلوا في التبديـل، ولم يأخـذ عمن بدل. وقـد ورد بإسنـادين أحـدهمـا حسن والآخر ضعيف «ناموس عيسى» فعلى هذا كان ورقة يقول تارة نامـوس عيسى، وتـارة ناموس موسى، فعند إخبـار خديجـة له بـالقصة قـال لها: «نـامـوس عيسى» بحسب مـا هو فيـه من النصرانيـة، وعند إخبـاره النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال لـه: ناموس موسى. للمناسبة المذكورة آنفاً، وكل صحيح.

انـظر: فتح البـاري ١/٢٦؛ وغريب الحـديث ٢/١٩٩ لأبـي عبيد القـاسم بن سلاّم الهروي ــ ٢٢٤هـ مصورة عن ط ١، حيدرآباد الـدكن الهند، دار الكتـاب العربـي، بيروت ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

(١) سقطت (كنت) من ك و ط.

(٢) في ط زيادة (نصراً مؤزراً).

(٣) أي: لم يلبث. وأصل النشوب التعلق، أي: لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات.
وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٣٤٠.
وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الـدعوة، وإلى أن دخـل بعض الناس في الإسـلام.
فإن ما في الصحيح أرجح وأصح.
انظر: فتح الباري ١/٢٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيـى بن بُكَيْر. . . ، ١/٢٣ (٣) من فتـح البـاري ــ واللفظ للبخـاري وآخـره: «ثم فتـر الـوحي». ورواه مسلم كتـاب الإيمـان، باب بـدء الـوحي إلى رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ، ١/١٣٩ ــ ١٤٥ (١٦٠ ــ ١٦١).

وقال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشرون رجلاً، أو قريب من ذلك ـ وهو بمكة ـ من النصارى، حين ظهر خبره بالحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم. فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الله ـ عز وجل ـ، وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا، فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به، وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا من عنده، اعترضهم أبو جهل[1] في نفر من قريش، فقالوا[2]: خيبكم الله من ركب، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم لترتادوا[3] لهم، فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم ـ أو كما قالوا لهم ـ، فقالوا: «سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم»[4]. ويقال: فيهم نزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟

---

(١) هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح يوم بدر سنة ٢هـ فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ـ أي جرحه جراحة لا يقوم معها ـ ثم تركه وبه رمق، ثم ذفف عليه ـ أسرع قتله ـ عبد الله بن مسعود، واحتز رأسه حين أمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يُلْتَمَس في القتلى.

انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٨.

(٢) في ط (فقال).

(٣) **لترتادوا**: لتطلبوا.

انظر: ترتيب القاموس ٢/٤١٠.

(٤) في السيرة بقية كلامهم: «لم نأل أنفسنا خيراً».

ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ . . . ﴾[١]. الآية[٢].

وعن محمد بن عمر بن إبراهيم[٣] بن محمد بن جبير[٤]: حدثتني جدتي أم عثمان بنت سعيد[٥] بن محمد بن جبير[٦] عن أبيها سعيد[٧] بن محمد بن جبير بن مطعم[٨]، عن أبيه[٩] قال: سمعت أبي جبيراً يقول: لما بعث الله نبيه، وظهر أمره بمكة، خرجت إلى الشام، فلما

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٣.

(٢) في السيرة: إلى قوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [سورة القصص: الآية ٥٥]، بدلاً من قوله هنا: «الآية».
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٢ والإسناد منقطع لم يصله محمد بن إسحاق.

(٣) في ك و ط (سعيد).

(٤) **محمد بن عمر بن إبراهيم**: هو من آل جبير بن مطعم القرشي، مكي، روى عن أم عثمان بنت سعيد، عن أبيها، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، روى عنه محمد بن يحيى.
انظر: الجرح والتعديل ٨/١٩ لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ــ ٣٢٧هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد. الهند ١٣٧١هـ.

(٥) في أ (سعد)، وقد صححناه من التاريخ الكبير للبخاري وك و ط والدلائل لأبي نعيم.

(٦) **أم عثمان**: لم أعثر لها على ذكر أو ترجمة، ولعلها المقصودة بقول الهيثمي في تخريج هذا الحديث: «. . . وفيه من لم أعرفهم».

(٧) في أ (سعد) وقد صوبناه كما تقدم.

(٨) هو سعيدبن محمد بن جبير بن مطعم النوفلي المدني، ذكره ابن حبان في الثقات وهو مقبول من الطبقة الرابعة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٠٤؛ وتهذيب التهذيب ٤/٧٦.

(٩) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدي، النوفلي، أبو سعيد المدني، ثقة، عارف بالنسب، مات على رأس المائة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٥٠؛ وتهذيب التهذيب ٢/٦٣.

كنت ببصرى[1]، أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم[2] أنت؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، قال[3]: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً[4] لهم، فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: انظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم؟ فنظرت فلم أرَ صورته، قلت: لا أرى صورته.

فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير، فيه صور أكثر مما في ذلك الدير. فقالوا لي: أنظر هل ترى صورته؟ فنظرت، فإذا أنا بصفة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته، وهو آخذ بعقب[5] رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، فقالوا لي: أنظر هل ترى صفته[6]؟ قلت: نعم. قالوا: هو هذا؟ وأشاروا إلى

---

(١) هي قصبة (عاصمة) كورة (منطقة) حَوْران بالشام وهي التي وصل إليها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهي المشهورة عند العرب.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٠١.

(٢) يقصدون مكة المشرفة، والحرم: بمعنى الحرام مثل زمن وزمان. فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٤٣.

(٣) هكذا في ك و ط وفي أ (قالوا) والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٤) **الدير**: بيت يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم، إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كان كنيسة أو بيعة وربما فرقوا بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى. قال الجوهري: ودير النصارى أصله الدار والجمع أديار، والديراني صاحب الدير. ودير بصرى: هو الذي كان به بحيرا الراهب الذي بشر بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ .
انظر: معجم البلدان ٢/٥٠٠.

(٥) **العقب**: موخر القدم. وجمعه: أعقاب: وهي مؤنثة.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٣.

(٦) في ك (صورته).

صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، قلت: اللهم نعم. أشهد أنه هو.

قالوا: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم.

قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده، رواه البخاري في تاريخه[1]، وقال فيه: قال الذي أراه الصور لم يكن نبي إلَّا كان بعده نبي، إلَّا هذا النبي ورواه أبو نعيم[2] في دلائل النبوة[3].

وروى موسى بن عقبة[4] أن هشام بن العاص[5]، ونعيم بن

---

(١) التاريخ الكبير الجزء الأول، القسم الأول ١٧٩ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ـ ٢٥٦هـ، حيدرآباد الدكن ١٣٦٢هـ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥ إلَّا أنه قال: «محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير» بدلاً من «محمد بن عمر بن إبراهيم...» واللفظ للبيهقي.

(٢) هو: الحافظ الكبير، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الصوفي الأحول، ذو التصانيف الكثيرة الشهيرة، كان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد، توفي سنة ٤٣٠هـ، وله ٩٦ سنة.
انظر: ميزان الاعتدال ١/١١١؛ ولسان الميزان ١/٢٠١؛ وشذرات الذهب ٣/٢٤٥.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٥٥ ـ ٥٦ (١٢) ت: د. محمد رواس قلعة جي، وعبد البر عباس، ط ١، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٠هـ = ١٣٩٠هـ. قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٤٣، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفهم.

(٤) موسى بن عقبة، هو ابن أبي عياش الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه، إمام في المغازي، لم يصح أن ابن معين لينه، مات سنة ١٤١هـ وقيل بعدها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٨٦؛ وسير أعلام النبلاء ٦/١١٤ ـ ١١٨.

(٥) **هشام بن العاص**، هو ابن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، وهو أخو عمرو بن العاص، كان قديم الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة فحبس حتى قدم المدينة بعد الخندق، =

عبد الله[1]، ورجلاً آخر[2]، قد سماه[3]، بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر، قال: فدخلنا على جَبَلَة بن الأيهم[4] وهو بالغوطة[5] ـ فذكر الحديث ـ

= كان قد فتن فافتتن استشهد بأجنادين سنة ١٣هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٦٣٦؛ والإصابة ٣/٦٠٤.

(١) **نُعَيْم بن عبد الله**، هو ابن أسيد بن عوف بن عَبِيد بن عَوِيج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، سمي (النحام) لما ورد عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم فيها» ـ والنحمة: السعلة أو النحنحة الممدودة آخرها ـ أسلم قديماً، وشهد الحديبية، ولما قدم من هجرته اعتنقه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقبَّله، قتل يوم اليرموك شهيداً سنة ١٥هـ.
انظر: أسد الغابة ٤/٥٧٠؛ والإصابة ٣/٥٦٧ ـ ٥٦٨.

(٢) قال ابن حجر: «(عدي بن كعب) لا أعرفه. وقع ذكره في حديث غريب، روى المعافى في (الجليس) عن عبادة بن الصامت قال: بعثني أبو بكر إلى ملك الروم ومعي عمرو بن العاص، وأخوه هشام، وعدي بن كعب، ونُعَيم بن عبد الله فخرجنا حتى قدمنا على جبلة بن الأيهم... ثم قال: ويحتمل أن يكون عدي بن كعب هذا هو أبو خيثمة والد سليمان: فقد سماه الأزدي كذلك».
انظر: الإصابة ٢/٤٧١.

(٣) ظاهر من هذا أن الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يكتب من حفظه ـ ولو أحياناً ـ إذ لو كان لديه كتاب المغازي لموسى بن عقبة لم يحتج إلى كلمة «قدسماه» ولاستطاع أن يذكر اسم الرجل صريحاً. وقد يكون لقوله: (قد سماه). سبب آخر. بل ربما تكون الجملة من قول غيره.

(٤) **جَبَلَة بن الأيهم**، هو ابن جَبَلة بن الحارث بن أبي شمر ـ واسمه المنذر بن الحارث ـ وأمه مارية ذات القرطين، وهو الغساني الجفني، ملك النصارى من العرب، وغسان أولاد عم الأنصار، أوسها وخزرجها، أسلم وسكن المدينة، ثم ارتد وذهب إلى هرقل في القسطنطينية، وبقي فيها في نعيم دنيوي لا يخلو من حسرة على الإسلام، ثم مات سنة ٥٣هـ في خلافة معاوية.
انظر: البداية والنهاية ٨/٦٣ ـ ٦٦.

(٥) هي الكورة (المنطقة) التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلاً، يحيط بها جبال عالية جداً، وتمتد فيها أنهار تسقي بساتينها، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/١٠٠٥ ـ ١٠٠٦.

وأنـه انطلق بهم إلى الملك وأنهم وجـدوا عنده شبـه الرَّبْعَـة[1] العظيمـة مُذَهبة، وإذا فيها أبواب صغـار ففتح فيهـا[2] بابـاً، فاستخـرج منه خـرقة حـرير سـوداء، فيها صـورة بيضاء، وذكـر صفة آدم، ثم فتـح بابـاً آخـر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح، ثم إبراهيم، ثم أراهم حريرة فيها صورة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقال[3]: هذا آخر الأبواب لكني عجلته لأنظر ما عندكم، ثم فتح أبواباً أُخَر، وأراهم صـورة بقية الأنبيـاء، موسى، وهرون، وداود، وسليمان، وعيسى بن مريم ـ عليهم السلام ـ وصفة لوط، وصفة إسحاق، وذكـر أن هذا عنـدهم قديمـاً من عهد آدم، وأن دانيال صورها بأعيانها[4].

وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبة، أنه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية ملك النصارى، أخرج له صور الأنبياء، وأخـرج له صورة نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فعرفها[5].

والـوجه الثـالث: نفس إخباره بـذلك في القـرآن مـرة بعـد مـرة، واستشهاده بأهل الكتاب وإخباره بأنه مذكور في كتبهم، مما يدل العاقـل

---

(١) **الـرَّبْعَة**: هـي جـؤنـة العطار، وهي سُلَيْلَة مستـديرة مغشـاة أَدَمـا (جلدا) تكـون مـع العطارين.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٠ و ١١٨.

(٢) في ك و ط (منها).

(٣) في ك و ط (فقال).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل في رواية مطولة ١/٣٨٥ ـ ٣٩٠؛ وأبو نعيم في الـدلائل ١/٩.

(٥) أصـل قصة دخـول المغيرة على المقـوقس بصحبـة المـالكيين الثـلاثـة عشـر رواهـا الــواقـدي محمــد بن عمـر بن واقــد ـ ٢٠٧هـ في المغــازي ٢/٥٩٦ و ٣/٩٦٤ ت: المستشـرق د. **ماردسـون** جونس مؤسسـة الأعلمي: بيروت. ونقلهـا عنه في سير أعـلام النبلاء ٣/٢٤ وليس فيها ذلك الصورة.

على أنه كان موجوداً في كتبهم، فإنه لا ريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر، أنه كان من أعقل أهل الأرض، فإن المكذبين له لا يشكون في أنه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق، ما أوجب أن يقيم مثل هذا الأمر العظيم، الذي لم يحصل لأحد مثله، لا قبله ولا بعده، فعلم ضرورة أنه لا يفعله ولا يخبر به، وهو من أحرص الناس على تصديقه، وأَخْبَرهم بالطرق التي يُصَدق بها، وأبعدهم عن أن يفعل ما يعلم أنه يكذب به.

فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم، بل علم انتفاء ذلك. لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه، وأوليائه وأعدائه، فإن هذا لا يفعله إلاّ من هو أقل الناس عقلاً، لأن فيه إظهار كذبه عند من آمن به منهم، عند من يخبرونه، وهو ضد مقصوده، وهو بمنزلة من يريد إقامة شهود على حقه فيأتي إلى من[1] يعلم أنه لا يكذب، ويعلم أنه ليس بشاهد ولا حضر قضيته، ويقول: هذا يشهد لي، وهذا يشهد لي.

فإنهم كانوا حاضرين هذه القضية، فيقول أولئك: لسنا نشهد له، ولا حضرنا هذه القضية. فهذا لا يفعله عاقل، يعلم أنهم لم يكونوا حاضرين، وأنهم يكذبونه[2]، ولا يشهدون له.

الرابع: أن يقال: لما قامت الأعلام على صدقه، فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة، وأن الأنبياء بشروا به، علم أن الأمر كذلك، لكن[3] هذا لا يذكر إلاّ بعد أن يقام دليل منفصل على نبوته.

---

(١) في ك و ط زيادة (لا).

(٢) هكذا في ط، وفي أ و ك (يكذبوه) والصحيح ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٣) في أ بدون (لكن) والأولى إثباتها كما في ك و ط.

والطريق الأول، هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب، وأظهر الأعلام على نبوته.

وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة، وصنفوا في ذلك مصنفات[1]، وهذه البشارات في هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

واليهود يقرون باللفظ، لكن يدَّعون أن المُبَشَّر به ليس هو المسيح عيسى ابن مريم، وإنما هو آخر ينتظر. وهم ـ في الحقيقة ـ لا ينتظرون إلَّا المسيح الدجال[2]، وينتظرون ـ أيضاً ـ مجيء المسيح عيسى بن مريم إذا نزل من السماء، كما بسط في موضع آخر[3]، ويحرفون دلالة اللفظ، ويقولون[4]: إنها لا تدل على نبي منتظر، كما

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن د. أحمد حجازي السقا قد حاز على درجة الدكتوراه برسالته التي سماها البشارة بنبي الإسلام، في التوراة والإنجيل. وقد سألت د. صابر بن عبد الرحمن طعيمة: هل طبعت؟ فقال: إنها لم تطبع حتى الآن. (سألته سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

(٢) **الدجال**: رجل يخرج في زمن متأخر من عمر الدنيا، وتكون له أحوال عجيبة وخطيرة، وهو شاب، قطط ـ أي متجعد الشعر ـ عينه طافئة ـ أي خارجة عن صفة العين الطبيعية ـ، يشبه رجلاً في عهد النبوة اسمه «عبد العزى بن قَطَن». ويبقى في الأرض ٤٠ يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه عادية. وله أوصاف كثيرة وردت في أحاديث صحاح وحسنة.
انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ **١٠/٣٣٢ ـ ٣٦٢**. لمجد الدين أبي السعادات، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٦٠٦هـ ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان، **١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م**.

(٣) انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) **٢/١٨٦ ـ ١٨٧**.

(٤) هكذا في ك و ط وفي أ (يقولوهن) وقد أثبتنا ما في ك و ط لأنه أولى.

قالوا في قوله: «سأقيم لبني إسرائيل[1] من إخوتهم مثلك يا موسى، أنزل عليه مثل توراة موسى، أجعل كلامي على[2] فيه»[3].

قال بعضهم: ليس هذا إخباراً[4]، بل[5] هذا استفهام إنكار، وقدروا ألف استفهام، وليس في النص شيء من ذلك.

فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح، وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدح في البشارة[6] بالمسيح، بل تبين دلالة النصوص عليه، وبطلان تحريف اليهود.

وكذلك البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب المتقدمة، لا يقدح فيها تحريف أهل الكتاب، اليهود والنصارى، بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وبطلان تحريف أهل الكتاب.

الوجه الخامس: أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد ـ صلَّى الله

---

(١) في ك و ط زيادة (نبياً).

(٢) سقطت (على) من ك.

(٣) نصه في الترجمة الحديثة كما يلي: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك، من إخوتك مثلي، له تسمعون، حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في (حوريب) يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة ـ أيضاً ـ لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».
انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر: **١٥ ـ ١٩**. العهد القديم: **٢٤٢**.

(٤) هكذا في ك و ط، وفي أ (أخبار) بغير النصب وقد صححناه من ك و ط.

(٥) في أ (بلى).

(٦) في ط (البشارات).

عليه وسلَّم ـ في مشارق الأرض ومغاربها، أعظم حادث حدث في الأرض. فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه، فإن شرع موسى وإن دام، فلم ينتشر انتشاره ودوامه، بل كان غاية ظهوره ببعض الشام. وأما شرع المسيح، فقبل قسطنطين لم يكن له ملك، بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها. وكانوا مستضعفين تُقْتَل[١] أعيانهم أو عامتهم في كثير من الأوقات. ولما انتشر تفرق أهله فرقاً متباينة، يكفر فيها بعضهم بعضاً.

ثم إن شرع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ظهر في مشارق الأرض ومغاربها، وفي وسط الأرض المعمورة: الإقليم[٢] الثالث والرابع والخامس[٣]، وظهرت أمته على النصارى في أفضل الأرض وأجلها عندهم، كأرض الشام ومصر والجزيرة وغيرها، ودام شرعه، فله اليوم أكثر من سبعمائة سنة[٤].

ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة، سواء كان صادقاً أو كاذباً، لا بد

---

(١) في ط (يقتل).

(٢) في ك و ط زيادة (الثاني و).

(٣) سقطت (الخامس) من ك و ط.

الإقليم الثالث: يبتدىء من المشرق، فيمر على شمال بلاد الصين إلى بلاد طنجة وينتهي إلى البحر المحيط، **والإقليم الرابع**: يبتدىء من أرض الصين ـ كذلك ـ إلى جزيرة قبرص ورودس وصقلية ثم البحر المحيط على الزقاق بين الأندلس وبلاد المغرب، **والإقليم الخامس**: يبتدىء من أرض الترك المشرفين ويأجوج المسرودين إلى بلاد الأندلس، وينتهي إلى البحر المحيط. أو أن الإقليم الثالث الحجاز ومدنه، والرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينها، والخامس الشام والروم والجزيرة.

انظر: معجم البلدان ١/٢٩ ـ ٣١؛ ومروج الذهب ١/٨٧.

(٤) حيث كان مولد المؤلف سنة ٦٦١هـ ووفاته سنة ٧٢٨هـ، والعبارة الآن يمكن أن تقال هكذا: فله اليوم أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

أن يخبر به الأنبياء، فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب، تحذيراً للناس[1] مع أن الدجال مدته قليلة، فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقاً، وأنه كاذب ليس برسول، لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال، فلو كان كاذباً، لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال، فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال، إذ ليس في العالم من زمان آدم إلى اليوم، كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام[2]، فكيف تغفل[3] الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذباً؟.

وإذا كان صادقاً: فالبشارة[4] للإيمان به، [5]أولى ما يُبَشِّر به الأنبياء من المستقبلات، ويُخْبر به، فعلم أنه لا بد أن يكون في الكتب ذكره. ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب، تزيد على مائة موضع، استدلوا بها على أنه مذكور، وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم، وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب إسلامهم ــ أو من أعظم سبب إسلامهم ــ علمهم بذكره في الكتب المتقدمة. إما بأنه وجد ذكره في الكتب، كحال كثير ممن أسلم قديماً وحديثاً. وإما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب، كالأنصار[6] فإنه كان من أعظم أسباب

---

(١) في ك و ط زيادة: «... من فتنته، وأنه كذاب يظهر على يديه أمور، يفتتن بها الناس».

(٢) في أ كتب فوق كلمة (والدوام) كلمة (بدا) وبجانبها رمز (صح) والظاهر أنها كلمة (أبداً).

(٣) في ك و ط (يغفل).

(٤) في ك و ط زيادة (به).

(٥) في ك و ط زيادة (من).

(٦) هم أهل المدينة، من الأوس والخزرج، الذين بايعوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه =

إسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته، وانتظارهم إياه، وأن من خيارهم من لم يوجب له أن[1] يسكن أرض يثرب مع شدتها، ويدع أرض الشام مع رخائها إلَّا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد إسماعيل.

ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال. وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه: كعمر بن الخطاب وغيره، وعدلهم وسيرتهم، عن المسيح وغيره، ما هو معروف عندهم. فإذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب، والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء، عُلم بذلك أن الأنبياء المتقدمين، ذكروه بالمدح والثناء، ولم يذكروه بذم ولا عيب.

وكل من ادَّعَى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه، لم يكن إلَّا صادقاً في دعوى النبوة، إذ[2] يمتنع أن الأنبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[3].

وهذا مما يبين أنه لا بد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به، وأنهم لم يذكروه إلَّا بالثناء والمدح، لا بالذم والعيب، وذلك ـ مع دعوى

= وسلَّم ـ قبل الهجرة على الإسلام والنصرة، وكان العرب يسمون هذا الحي من الأنصار «الخزرج» خزرجها وأوسها. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٨٤.

(١) سقطت جملة (يوجب له أن) من أ و ك و ط، وقد أثبتناها من نسخة أكسفورد.

(٢) سقطت (إذ) من ك و ط.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

النبوة ــ لا يكون إلَّا إذا كـان صادقاً في دعوى النبـوة، فتبين أنهم بشروا بنبوته، وهو المطلوب.

يبين ذلك[١] أن الأنبياء أخبروا أهل الكتـاب بما سيكـون منهم من الأحـداث، ومـا يسلط عليهم من الملوك الــذين يقتلونهم، ويخـربــون بلادهم، ويسبونهم كـ (بخت نصر) و (سنجاريب)[٢] ولكن هؤلاء الملوك لم يـدَّعـوا أنهم أنبيـاء، ولـم يَـدْعُـوا إلى دين، فلم تحتـج الأنبيــاء إلى التحذير من اتِّباعهم، وقد حذروا من اتِّباع من يَدَّعِي النبوة وهو كاذب.

ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد قهر أهـل الكتاب، [٣]وقتـل من قتـل وسبـى من سبـى، وأخرجهم من ديـارهم، فلا بـد أن يـذكـروه ويذكروا الأحداث التي تجري عليهم في أيامه. وإذا كان كاذباً[٤] مُدَّعِيـاً للنبـوة، فلا بـد أن يحذروهم من اتبـاعه. ومعلوم أن عـامة أهـل الكتاب

---

(١) في ط (تبين من ذلك).

(٢) (**سنجـاريب**): اسم أكـادي، وهـو ملك أشـور «بـابـل». (٧٠٤ ــ ٦٨٢ق.م) وقـد اعتلى العـرش بعد وفـاة والده سـرجون، وقـد سار بجيش كثيف إلى بني إسـرائيل، ومعه ابن عمه «بختنصر» حتى نزل بيت المقـدس، وكان ملك بني إسـرائيل «صـدقيا» مريضـاً، فاقبل على الدعاء والتضرع فشفي، وأرسل إليه على عساكر سنجاريب ملَكَاً صاح بهم، فماتوا غير ستة نفر، فيهم سنجاريب وخمسة من كتابه فيهم «بختنصر» ــ في قول بعضهم ــ فأسرهم «صدقيا» ثم أوحى الله ــ تعالى ــ إلى أشعيـا ــ فيما يقـال ــ يأمره بإطلاق سنجاريب ومن معه فأطلقهم، فعادوا إلى بـابل، وبقي بعـد ذلك سبـع سنين ثم مات.

انـظر: الكامـل ١٤٤/١؛ والبـدايـة والنهـايـة ٣٣/٢؛ وقـامـوس الكتـاب المقـدس (عندهم): ص ٤٨٧.

(٣) في ك و ط تقدمت جملة (وسبـى من سبـى) على جملة (وقتل من قتل).

(٤) في ط (كاذياً) بياء مثناة وهو خطأ مطبعي.

ومن نقل عنهم إما أن يقول: ليس موجوداً في كتبنا، أو يقول: إنه موجود بالمدح والثناء، لا يمكن أحد أن ينقل عن الكتب المتقدمة أنه موجود فيها بالذم والتحذير. ولو كان مذكوراً عندهم بالذم والتحذير، لكان من هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته، وعلى أمته بعد مماته، ويحتج به من لم يُسلم منهم على من أسلم.

فإنه معلوم أن كثيراً من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه، والحرص على إبطال أمره، ما أوجب أن يفتروا أشياء لم توجد، وينسبوا[1] إليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره، حتى آل الأمر ببعضهم إلى أن فسروا قول المسلمين «الله أكبر» بأن[2]«أكبر»: صنم، وأن النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم. وقال بعضهم فيه: إنه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثاً. عقوبة لزوجها بأنه لا ينكحها حتى يزني بها غيره. وقال بعضهم: إنه تعلم من «بحيرى[3] الراهب» مع علم كل من عرف سيرته أنه[4] لم يجتمع بـ (بحيرى) وحده، ولم يره إلاّ بعض نهار[5] مع أصحابه، لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة، وأن (بحيرى) سألهم عنه، ولم يكلمه إلاّ كلمات يستخبره فيها عن حاله[6]،

---

(١) في ط (ونسبوا).
(٢) في ط (بأنه).
(٣) في جميع النسخ وفي جميع المواضع رسمت هكذا (بحيرا) بخلاف الرسم الإملائي الحديث.
انظر: المفرد العلم في رسم القلم: ص ١٤١ لأحمد الهاشمي دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) في ط (بأنه).
(٥) في ك و ط زيادة (الواو).
(٦) في ط زيادة (الواو).

لم يخبره بشيء[1].

ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بأنه بعث بالسيف، حتى قد يقولوا: إنما قام دينه بالسيف، وحتى يوهموا الناس أن الذين اتبعوه إنما اتبعوه خوفاً من السيف، وحتى يقولوا: إن الخطيب إنما يتوكأ على سيف يوم الجمعة إشارة إلى أنه إنما يقوم[2] الدين بالسيف، إلى أمثال هذه الأمور، التي هي من أظهر الأمور كذباً عليه، يعرف أدنى الناس معرفة بحاله أنها كذب، وهم ــ مع هذا ــ يتشبثون[3] بها.

فلو كان عندهم أخبار عن الأنبياء توجب ذمه[4] والتحذير من متابعته، لكان إظهارهم لذلك. واحتجاجهم به، أقوى وأبلغ، وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم، قديماً وحديثاً، وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين، فإن هذا الأمر من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره.

فإذا لم يكن كذلك، عُلم أنه ليس في كتب الأنبياء ما يوجب تكذيبه[5]، وقد قام الدليل على أنه لا بد من أن تذكره الأنبياء وتخبر بحاله، فإذا لم يخبروا أنه كاذب، عُلم أنهم أخبروا أنه نبي صادق، كما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٩١ ــ ١٩٤. وأخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٥/٥٩٠ (٣٦٢٠) قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه». قال بعضهم: «والظاهر أن الخبر لا يثبت، حيث ورد فيه: وبعث معه أبو بكر بلالاً. .» وقد كان أبو بكر حينذاك طفلاً صغيراً».

(٢) هكذا في ط وفي أ و ك (يقم) والأصح ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٣) **التَّشَبُّث**: التعلق، ورجل شَبِث ــ ككتف ــ: طبعه ذلك.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٦٤.

(٤) في ك و ط زيادة (وتكذيبه).

(٥) في ك و ط زيادة (وذمه).

شاع ذلك، وظهر واستفاض[1] من وجوه كثيرة.

فالكتاب الذي بعث به. مملوء بشهادة[2] الكتب له، والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة[3]، والأخبار متواترة عمن أسلم لأجل ذلك، وهذا مما يوجب القطع بأنه مذكور فيها بما يدل على صدقه في دعوى النبوة، وليس فيها ما يخبر بكذبه والتحذير منه، وهذا هو المطلوب.

وفي الجملة أمره أظهر وأشهر، وأعجب وأبهر، وأخرق للعادة من كل أمر ظهر في العالم من البشر. ومثل هذا إذا كان كاذباً، فلكذبه لوازم كثيرة جداً تفوق الحصر، متقدمة ومقارنة ومتأخرة. فإن من هو أدنى دعوة منه إذا كان كاذباً، لزم كذبه من اللوازم ما يبين كذبه، فكيف مثل هذا؟ فإذا انتفت لوازم المكذوب[4] انتفى الملزوم.

وصدقه لازم لأمور كثيرة كلها تدل على صدقه، وثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم، ماضيه ومقارنه ومتأخره. ومدعي النبوة لا يخلو من الصدق أو الكذب، وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات، فأدلة الصدق مستلزمة له، وأدلة الكذب مستلزمة له، والصدق له لوازم والكذب له لوازم. فصدقه يعرف بنوعين، بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه، وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاؤها انتفاء كذبه. كما أن كذب الكذاب يعرف بأدلة كذبه

---

(١) استفاض الخبر فهو مستفيض ومُستفاض فيه: إذا انتشر.
المصدر السابق ٣/٥٤٢.

(٢) في ك و ط زيادة (أهل).

(٣) في ك و ط زيادة (والأخبار متواترة عمن اطلع على ما فيها بذلك).

(٤) في ك و ط (المكذب).

المستلزمة لكذبه، وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم[1] انتفاؤها لانتفاء صدقه، والله أعلم.

والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته، وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه، وهو الذي يسمى قياس الخُلْف. فإن الشيء إذا انحصر في شيئين، لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر، ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر. ومدعي النبوة إما صادق، وإما كاذب، وكل منهما له لوازم. يدل انتفاؤها على انتفائه، وله ملزومات، يدل ثبوتها على ثبوته.

فدليل الشيء مستلزم له كأعلام النبوة ودلائلها، وآيات[2] الربوبية، وأدلة الأحكام[3] وغير ذلك. وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكاذب[4]، يقال: لو كان صادقاً، لكان متصفاً بما يتصف به الصادقون.

وكذلك كذب الصادق، يقال: لو كان كذاباً لكان متصفاً بما يتصف به الكذاب، فإنه قد عُرف حال الأنبياء الصادقين، والمتنبئين الكذابين، فانتفاء لوازم الكذب. دليل صدقه، كما أن ثبوت ما يستلزم الصدق. دليل صدقه. وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه، وبانتفاء لوازم صدقه، وهكذا سائر الأمور.

● ● ●

---

(١) هكذا في ط وفي أ و ك (المستلزمة) والأصوب ما في ط ولذلك أثبتناه.

(٢) في أ (أو آيات) والأصح ما في ك و ط ولذلك أثبتناه.

(٣) في ك و ط زيادة (الشرعية).

(٤) في ك و ط (الكذاب).

في أ زيادة (أصل) وليست في ك ولا ط ولا نسخة أكسفورد، وقد وضع الناسخ فوقها رمز التهميش ولم أجد في الهامش إلاَّ رمزاً ــ كذلك ــ ويظهر لي أن الكلمة مقحمة من الناسخ.

فصـل

شهادات الكتب المتقدمة لمحمد ـ عليه الصلاة ـ وأمثلة منها

ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة[1]، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين[2] الملحدين[3]، كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه.

كما في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[4].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (طبع المدني) ٢/٢١٣ ـ ٢١٤، إلى جانب ما تضمنه الفصل السابق.

(٢) في ك و ط زيادة واو العطف.

(٣) **الملحدون**: من الإلحاد، وهو في اللغة: العدول عن الاستقامة، والانحراف عنها، أو هو الجدال والمراء، والملحدون: هم أصحاب المذاهب المادية والطبيعية، التي لا تعترف بما وراء المادة، ولا تؤمن بغير المحسوس. قال الفيومي: قال بعض الأئمة: والملحدون في زماننا هم الباطنية، الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن ـ فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن.

انظر: مفاتيح الغيب ١٥/٧٥؛ ومعالم الثقافة الإسلامية ص ٢٦ لعبد الكريم عثمان ط ٥، مؤسسة الأنوار بالرياض ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م؛ والمصباح المنير ص ٥٥٠.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٨٨.

وقوله:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ . . .﴾[1].

وقوله: ﴿. . . قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ . . .﴾[2].

وقوله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ . . .﴾[3].

وقوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾[4].

وقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[5].

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٣. وفي ك و ط زيادة (وقوله: ﴿**والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق**﴾) [سورة الأنعام: الآية ١١٤].

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦؛ وسورة الأنعام: الآية ٢٠.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٨٣، ٨٤.

(٥) سورة الإسراء: الآيتان ١٠٧ ــ ١٠٨.

وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم بالعربية: «جاء الله من طُور سَيْنا[1]»، وبعضهم يقول[2]: «تجلى الله من طور سينا، وأشرق من ساعير[3]، واستعلن من جبال فاران»[4].

قال كثير من العلماء ــ واللفظ لأبي محمد بن قتيبة[5] ــ ليس بهذا خفاء ــ على من تدبره[6] ولا غموض، لأن مجيء الله من طور سينا: إنزاله التوراة على موسى من طور سينا، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على

---

(١) **طُور سَيْنا**: بكسر السين ويروى بفتحها ــ وهو اسم جبل بقرب «أيلة». ــ مدينة على ساحل بحر القُلْزُم ــ الأحمر ــ مما يلي الشام. وعنده بُلَيْد ــ تصغير بلد ــ فتح في زمن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ سنة ٩هـ صلحاً.
انظر: معجم البلدان ١/٢٩٢ و ٤/٤٨.

(٢) في ك و ط زيادة (في الترجمة).

(٣) اسم لجبال فلسطين وهو من حدود الروم، وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا.
انظر: معجم البلدان ٣/١٧١.

(٤) تمام النص من الترجمة الحديثة: «وهذه هي البركة، التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سينا، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك».
انظر: سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، ١ ــ ٣ العهد القديم ٢٦٢.

(٥) في ك و ط (واللفظ لمحمد بن قتيبة).
أبو محمد بن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينَوَري، وقيل: المروزي، النحوي اللغوي، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحَدَّث بها، كانت ولادته سنة ٢١٣هـ ووفاته فجأة سنة ٢٧٠ او ٢٧١ أو ٢٧٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢ ــ ٤٣؛ ولسان الميزان ٣/٣٥٧ ــ ٣٥٩؛ واللباب في تهذيب الأنساب ٣/١٥.

(٦) في ط (تدبر).

المسيح، وكان المسيح من ساعير ــ أرض الخليل[١] بقرية تدعى (ناصرة) ــ وباسمها يسمى من اتبعه نصارى[٢].

وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وجبال فاران هي جبال مكة. قال: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم[٣].

قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن (هاجر)[٤] و (إسماعيل) فاران؟

وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح. أو ليس (استعلن) و (عَلِنَ)

---

(١) **الخليل**، هو نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ وهو ابن تسارخ بن ناحور بن ساروغ بن آرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قنيان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح ــ عليه السلام ــ وسمى الخليل لقوله ــ عز وجل ــ :
﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٥].
انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٢٣٣؛ والبداية والنهاية ١/١٣٩.

(٢) في ك و ط (سمي من اتبعه من نصارى).

(٣) راجعت ما وقع بين يدي من مؤلفات ابن قتيبة فلم أعثر على هذا النص.

(٤) **هاجر**: كانت جارية عند ملك مصر، فأعطاها سارة امرأة إبراهيم ــ عليه السلام ــ خادمة لها، ثم قالت سارة لإبراهيم: إن ربي قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقني منها ولداً، فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم فولدت له إسماعيل، ولإبراهيم من العمر ست وثمانين سنة، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة. وماتت هاجر بمكة بعد زواج ابنها إسماعيل لما بلغ الرشد ودفنت بالحِجْر، وكانت الروم تسمي العرب (سارقيوس) يعني: عبيد سارة بسبب هاجر فنهاهم نقفور عن ذلك.
انظر: الكامل ١/٧١ و ١٩٣؛ والبداية والنهاية ١/١٥٠ ــ ١٥٥.

وهما[1] بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف[2].

فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور الإسلام[3] وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟

وقال[4] ابن ظَفَر[5]: (ساعير) جبل بالشام، منه ظهرت نبوة المسيح[6]. قلت: وبجانب بيت لحم[7]، القرية التي ولد فيها المسيح، قرية[8] تسمى إلى اليوم ساعير، ولها جبل تسمى ساعير[9].

وفي التوراة: أن نسل العيص[10] كانوا سكاناً بساعير، وأمر الله

---

(١) في ط بدون عطف.

(٢) عَلِنَ الأمر: من باب دَخَلَ وطَرِب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٥٢؛ وانظر: اللسان ١٣/٢٨٨ ـ ٢٨٩ مادة: عَلن.

(٣) في ط (فهل تعلمون ظهر دين ظهور الإسلام).

(٤) في ك و ط زيادة (أبو هاشم).

(٥) هو: حجة الدين أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظَفَر الصَّقَلِّي، نشأ بمكة، وسكن حماة، وكان قصيراً لطيف الشكل، وله نظم وفضائل مات سنة ٥٦٥هـ بحماة.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(٦) لعل هذا القول في كتاب «خير البِشر بخير البَشر». لابن ظفر، وأظنه غير مطبوع إن لم يكن مفقوداً، والذي ذكره ابن خلكان.

(٧) هو: بُليد قرب البيت المقدس، المشهور أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد به، وقيل: هو بالخاء المعجمة، وقيل: لغتان.
انظر: مراصد الاطلاع ١/٢٣٨.

(٨) هكذا في ك و ط زيادة (قرية) وليست في أ، وإثباتها أولى.

(٩) انظر: معجم البلدان ٣/١٧١.

(١٠) **العيص**: هو ابن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، وأمه: رفقا بنت بتويل، وأخوه التوأم يعقوب، و**العيص** أكبرهما، وقد ولدا وعمر إسحاق ٦٠ سنة، وزوجته هي: نسمة بنت عمه إسماعيل، وقد ولدت له الروم بن عيص، وكل بني الأصفر من ولده، وهو أحب من يعقوب إلى أبيه، وكان صاحب صيد.
انظر: الكامل ١/٤٦ و ٧١؛ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٦٤٩.

موسى أن لا يؤذيهم[1].

وعلى هذا، فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقاً، جبل حراء[2] الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه، ومنه كان نزول أول الوحي على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وحوله من الجبال، جبال كثيرة، حتى قد قيل: إن بمكة اثني عشر ألف جبل[3]. وذلك المكان يسمى فاران، إلى هذا اليوم، وفيه كان ابتداء نزول القرآن[4].

والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران، ولا يمكن أحداً أن يدعى أنه ـ بعد المسيح ـ نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي. فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلَّا إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو ـ سبحانه ـ ذكر هذا في[5] التوراة على الترتيب الزماني، فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القرآن، وهذه الكتب نور الله وهداه.

وقال في الأول: جاء أو[6] ظهر، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن. وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو أظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد[7] به النور والهدى.

---

(١) انظر: سفر التكوين الإصحاح السادس والثلاثين ٨/٩؛ والعهد القديم ٥١.

(٢) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، ويقابله جبل ثبير وحراء أرفع منه.
انظر: معجم البلدان ٢/٢٣٣.

(٣) بحثت عن مصدر لهذه المعلومة، فلم أصل إلى شيء.

(٤) فقد كان ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يجاور ـ يعتكف ـ في كل سنة شهراً في حراء، فجاور في تلك السنة التي ابتدأ نزول القرآن عليه في شهر رمضان.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٥٢.

(٥) في ط (بالتوراة).

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ بالعطف، وما أثبتناه أرجح.

(٧) في ط (ازداد).

وأما نزول القرآن. فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: واستعلن من جبال فاران، فإن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها، أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت[1] في مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا سماه الله سراجاً منيراً، وسمى الشمس سراجاً وهاجاً[2].

والخلق يحتاجون[3] إلى السراج المنير، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فإن الوهاج يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وكما قيل[4]: قد يَنْضَرّون[5] به بعض الأوقات. وأما السراج المنير. فيحتاجون إليه كل وقت، وفي كل مكان، ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية.

وقد قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «زويت[6] لي الأرض، [7]مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيْ لي منها»[8].

---

(١) في ك و ط (استعلنت).

(٢) الوهاج: الحار المضطرم الاتقاد.
انظر: البحر المحيط ٨/٤١١.

(٣) في ك و ط (محتاجون).

(٤) في ك و ط (بل قد) بدلاً من (وكما قيل).

(٥) في ك و ط (يتضررون).

(٦) زويت: جمعت وقبضت.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٩٦.

(٧) في ك و ط زيادة (فرأيت).

(٨) الحديث رواه مسلم عن ثوبان بلفظ: (إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...) الحديث. كتاب الفتن...، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ٤/٢٢١٥ (٢٨٨٩) ورواه أبو داود بنحوه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ٤/٩٧ (٤٢٥٢). =

وهـذه الأمـاكن الثـلاث أقسم الله بهـا في القـرآن في قـولـه ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾[1].

فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسـة الذي[2] ينبت فيهـا ذلـك، ومنها بعث المسيـح، وأنـزل عليـه فيهـا الإنجيـل، وأقسم بـطور سنين[3]، وهو الجبل الذي كلم الله فيه مـوسى، وناداه من واديـه الأيمن من[4] البقعـة المباركـة من الشجـرة، وأقسم بـالبلد الأمين: وهي مكـة، وهو[5] البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسمـاعيل وأمـه، وهو الـذي جعله الله حـرماً آمنـاً، ويُتَخَـطَّف النـاس من حـولهم[6]، خلقـاً وأمـراً، قـدراً وشرعاً، فإن إبراهيم حرمه ودعا لأهله، فقال:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

= والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثاً في أمتـه، ٤/٤٧٢ (٢١٧٦) وابن مـاجـه بلفظ: «زويت لي الأرض، حتى رأيـت مشارقها ومغاربها... قيـل لي: إن ملكك إلى حيث زوي لـك...» أبواب الفتن، بـاب ما يكـون من الفتن، ٢/٣٦٨ (٤٠٠٠) والحاكم في المستـدرك، كتـاب الفتن والملاحم، ٤/٤٤٩. ورواه أحمد عن شداد بن أوس، ٤/١٢٣.

(١) سورة التين كاملة.
(٢) في ط (التي).
(٣) في ك و ط (سينا).
(٤) في ك و ط (في).
(٥) سقطت (هو) من ك و ط.
(٦) في ك و ط زيادة (وجعله آمناً).

لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

و[2]قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً[3] لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾[4].

فأخبر الله ـ تعالى ـ أن إبراهيم دعا الله بأن يجعل مكة بلداً آمناً، واستجاب الله دعاء[5] إبراهيم وذكر ذلك في غير موضع[6]، وبها بنى إبراهيم البيت كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) سقطت واو (وقال) من ط.

(٣) مثابة: أي مرجعاً للناس يقبلون عليه من كل جانب.
انظر: صفوة التفاسير ١/٩٣.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٢٥، ١٢٦.

(٥) في ط (الدعاء).

(٦) سقطت عبارة (وذكر ذلك في غير موضع) من ك و ط.

(٧) سورة البقرة: الآيات ١٢٧ ـ ١٢٩. وفي ك و ط زيادة: (وقد استجاب الله دعاء إبراهيم، فبعث فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، وذكر ذلك في غير موضع).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[١] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾[٢] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾[٣]

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾[٤] .

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة قريش كاملة.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٧.

في ك و ط زيادة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت، أن لا تشرك بي شيئاً، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر، يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، =

فقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾[1]؛

إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة، التي ظهر فيها نوره وهداه، وأنزل فيها[2] الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن. كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله: «جاء الله من طور سينا، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[3].

ولما كان ما في التوراة خبراً عنها، أخبر بها على ترتيبها الزماني، فقدم الأسبق فالأسبق. وأما القرآن، فإنه أقسم بها تعظمياً لشأنها، وذلك تعظيم[4] لقدرته ــ سبحانه ــ وآياته، وكتبه، ورسله. فأقسم بها على وجه التدريج، درجة بعد درجة، فختمها بأعلى[5] الدرجات. فأقسم أولاً بالتين والزيتون، ثم بطور سينا، ثم بمكة، لأن أشرف الكتب

= على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها، وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [سورة الحج: الآيات ٢٦ ــ ٢٩].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، والشهر الحرام والهدى والقلائد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات والأرض، وأن الله بكل شيء عليم﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٧].

(١) سورة التين: الآيات ١ ــ ٣.

(٢) في ك و ط زيادة (كتبه).

(٣) سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، ١ ــ ٣ العهد القديم ٣٦٢.

(٤) هكذا في ك و ط، ولم ترد (تعظيم) في أ وقد أثبتناها من ك و ط من أجل استقامة المعنى.

(٥) رسمت في أ و ك (باعلا) وقد أثبتنا ما في ط، حسب الرسم الإملائي الحديث. المفرد العلم في رسم القلم ص ١٤١.

الثلاثة: القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء، فأقسم بها على وجه التدريج، كما في قوله:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا[1] ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾[2].

فأقسم بطبقات المخلوقات، طبقة بعد طبقة، فأقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحاب الحاملات للمطر، فإنها فوق الرياح، ثم بالجاريات يسراً، وقد قيل: إنها السفن[3]، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب[4] المذكورة في قوله:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ[5] ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ[6] ۝١٦﴾[7].

فسماها جواري، كما سمى الفُلك جواري، في قوله:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝٣٢﴾[8].

والكواكب فوق السحاب.

---

(١) الذاريات: هي الرياح الذي تذروا التراب فتفرقه، وتحمل الرمال من مكان إلى مكان. انظر: صفوة التفاسير ٢٦/٢٥١.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ١ ــ ٤.

(٣) وهو قول الأكثر.
انظر: جامع البيان للطبري ٢٦/١٨٧ ــ ١٨٨.

(٤) انظر: البحر المحيط ٨/١٣٣؛ وتفسير القرآن العظيم ٧/٣٩١.

(٥) التي تخنس نهاراً وتختفي عن البصر، جمع خانس. التي تغيب. انظر: صفوة التفاسير ٣٠/٥٢٤.

(٦) كنس: يقال كنس: إذا دخل الكِنَاس، وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء. انظر: المصدر والموضع السابق.

(٧) سورة التكوير: الآيتان ١٥، ١٦.

(٨) سورة الشورى: الآية ٣٢.

ثم قال:

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾.

وهي الملائكة، التي هي أعلا درجة من هذا كله[1].

وما ذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين، من تربية إسماعيل في برِّية «فاران» فهكذا هو في التوراة، قال فيها: (وغدا إبراهيم، فأخذ الغلام، وأخذ خبزاً وسقاء من ماء، ودفعه إلى هاجر، وحمله عليها، وقال لها: اذهبي! فانطلقت هاجر، فضلت[2] في برية سَبْع[3]، ونفد[4] الماء الذي كان معها، فطرحت الغلام تحت شجرة، وجلست في مقابلته على مقدار رمية بسهم[5]، لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام، فدعا ملَكُ اللَّهِ هاجر، وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تَخْشَيْ فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام، وشُدِّي يدك[6] به، فإني جاعله لأمة عظيمة. وفتح الله عينيها[7] فبصرت بئر ماء، فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام، فَرَبَى وسكن في برية «فاران»[8].

---

(١) البحر المحيط ٨/١٣٣.

(٢) أي: ضاعت. مختار الصحاح ص ٣٨٣.

(٣) هي برية من أرض فلسطين بالشام كما قال ياقوت في معجمه ٣/١٨٥ واستعمال هذه الكلمة هو من تحريف أهل الكتاب ـ حيث أن من الواضح أنها برية مكة (فاران) كما هو ثابت لدينا نحن المسلمين.

(٤) في ط (نفذ). ونفد: أي فني وذهب.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤١١.

(٥) في ط (سهم) بدون باء.

(٦) في ك و ط (يديك) بالتثنية.

(٧) في ك و ط (عينها) بالإفراد.

(٨) في الترجمة الحالية هكذا: «فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقِربة ماء، وأعطاهما =

فهذا خبر الله في التوراة: أن إسماعيل ربى وسكن في برية فاران، بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء. وقد علم بالتواتر، واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربى بمكة، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت، فعلم أن أرض مكة[1]، فاران[2].

= لهاجر، واضعاً إياهما على كتفها والولد، وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة: طرحت الولد تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، فجلست مقابلها، ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران...».
انظر: سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، ١٤ ــ ٢١ العهد القديم ٢٩.

(١) في ك و ط زيادة (من).
(٢) بعد هذا في ك و ط زيادة بمقدار صفحة وهي قوله:

والله ــ تعالى ــ قد أخبر في القرآن ــ في غير موضع ــ بكون إسماعيل كان بمكة، فقال عن الخليل:
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً، واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع، عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات، لعلهم يشكرون﴾ [سورة إبراهيم: الآيات ٣٥ ــ ٣٧].

وقال ــ تعالى ــ:
﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين * وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾. =

وهـذه البشارة[1] في التـوراة لهاجـر بإسمـاعيل، وقـول الله: «إني جاعله لأمة عظيمة، ومعظمة جداً جداً، وإن هـاجر فتحت عينهـا، فرأت بئر ماء فدنت منها»[2] إلى آخر الكلام[3].

وفي موضع آخر قال عن إسماعيل: «إنه يجعل يـده فوق[4] يـدي الجميع»[5].

ومعلوم باتفاق الأمم، والنقل[6]، أن إسماعيـل تربَّـى بـأرض مكة،

= إلى أن قال ــ عز وجل ــ(*):

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيـل، ربنا تقبـل منا إنـك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا منـاسكنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آيـاتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

(١) في ك و ط زيادة (التي).

(٢) في ك و ط زيـادة (وملأت المـزادة، وشربت وسقت الصبـي، وكـان الله معهـا ومـع الصبـي، حتى تربـى، وكان مسكنه في برية فاران).

(٣) ونصه في الترجمة الحالية: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركـه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. . .).
انظر: سفر التكوين، الإصحاح السـابع عشـر، ٢٠ العهد القـديم ٢٤؛ وبقية النص هو من النص المذكور منذ قليل.

(٤) في ك و ط (أيدي).

(٥) ونصه كما يلي: (. . . وقـال لها مـلاك الرب: هـا أنت حبلى فتلدين ابناً، وتـدعين اسمه (إسماعيـل)، لأن الرب قـد سمع لمـذلتك، وأنـه يكون إنسـاناً وحشيـاً ــ أي برِّياً ــ يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن. . .).
انظر: سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر، ١٢ ــ ١٣ العهد القديم ٢٣.

(٦) في ك و ط زيادة (المتواتر).

. . . .

(*) لم ترد هذه الإشارة لا في ك ولا ط، إنما أتبعت الآية رقم ١٢٥ بالآية رقم ١٢٧ مباشرة.

فعلم أنها «فاران»، وأنه هو وإبراهيم بنيا البيت[1] الذي ما زال محجوجاً من عهد إبراهيم، تحجه العرب وغير العرب من الأنبياء وغيرهم، كما حج إليه موسى بن عمران، ويونس بن مَتَّى، كما في الصحيح من رواية ابن عباس: أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مر بوادي الأزرق[2]، فقال: «أي واد هذا؟»، فقالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «كأني أنظر إلى موسى ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ هابطاً من الثنية[3]، واضعاً أصبعيه في أذنيه، له جؤار[4] إلى الله ــ عز وجل ــ، بالتلبية[5]، ماراً بهذا الوادي». قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: هرشىٰ[6]، فقال: «كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء، عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خُلبة[7]، ماراً بهذا الوادي ملبياً».

---

(١) في ك و ط زيادة (الحرام).

(٢) في ك و ط زيادة (بين مكة والمدينة).
هو بلفظ اللون، وهو خلف قرية «أَمْجَ» بينه وبين مكة ميل واحد.
انظر: فتح الباري ٣/٤١٤.
ولقد عجبت من «ياقوت» ــ رحمه الله ــ حيث مر على ذكر هذا الوادي بقوله: وادي الأزرق بالحجاز، هكذا دون أي تفصيل!.
انظر: معجم البلدان ١/١٦٨.

(٣) الثنية، هي: الطريق في الجبل.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٢٤.

(٤) جأر ــ كمنع ــ جَأْراً وجُؤاراً: رفع صوته بالدعاء وتضرع، واستغاث. المصدر السابق ١/٤٣٢.

(٥) في ط (في التلبية).

(٦) في ك و ط (هو شيء).
هي ثنية في طريق مكة، قريبة من الجحفة، يرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد.
انظر: معجم البلدان ٥/٣٩٧.

(٧) **الخُلْبة**: هو الليف، وروي بتنوين ليف، وروي بإضافته إلى خلبة، فمن نون جعل =

وفي رواية: «أما موسى فرجل آدم[1]، جعد[2] على جمل أحمر مخطوم بخلبة»[3].

ولما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[4] أوجب حجه على كل أحد، فحجت إليه الأمم من مشارق الأرض ومغاربها. والبئر

= خلبة بدلاً أو عطف بيان.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٣٠ ليحيى بن شرف الحزامي الحواربي الشافعي النووي ــ ٦٧٦هـ دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

أو هو الحبل الصلب الرقيق.

انظر: ترتيب القاموس ٢/ ٨٨.

(١) آدم: اسمر. مختار الصحاح ص ١٠.

(٢) في ط (جعل).

الجعد: المراد به جعودة البدن وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشَّعر.

انظر: مختار الصحاح ١٠؛ وصحيح مسلم ت: عبد الباقي، ١/ ١٥١. **هامش ٦**.

(٣) في ك و ط زيادة (ليف).

الحديث رواه مسلم بلفظ: سرنا مع رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بين مكة والمدينة فمر بنا بواد فقال: «أي واد هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق. فقال: كأني أنظر إلى موسى ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود ــ أحد رجال الإسناد ــ واضعاً صبعيه في أذنيه، له جؤار إلى الله بالتلبية، ماراً بهذا الوادي، قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية، فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هرشىٰ ولفت. فقال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة، ماراً بهذا الوادي ملبياً. والرواية جزء من حديث آخر يلي هذا الحديث المذكور. مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء. . . ، ١/ ١٥٢ ــ ١٥٣ (١٦٦) وفي رواية البخاري عن ابن عباس: . . . وأما موسى فرجل جعد، على جمل أحمر مخطوم بخلبة، كأني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي يلبي» كتاب اللباس، باب الجعد، ١٠/ ٣٥٧ (٥٩١٣) من فتح الباري.

ورواه ابن ماجه، أبواب المناسك، الحج على الرحل، ٢/ ١٥٥ (٢٩٢٣).

(٤) لم ترد الجملة الدعائية لا في أ ولا ك.

الذي شرب منها إسماعيل وأمه، هي بئر زمزم[1]، وحديثها مذكور في صحيح البخاري[2]، عن ابن عباس، قال: أول ما اتخذ النساء المنطق[3] من قِبَل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً ليُعَفِّي أثرها على سارة[4].

ثم جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة

---

(١) هي البئر المباركة المشهورة بالمسجد الحرام بمكة ـ زادها الله شرفاً ـ، وقد كانت في زمن إسماعيل ـ عليه السلام ـ، وطوتها السيول، وتطاولت عليها الأيام، فلم يبق لها أثر، فأتى عبد المطلب فأمر بحفرها، ودُل على موضعها، فاستخرجها ووجد فيها غزالين من ذهب وأسيافاً فضرب الغزالين صفائح على باب الكعبة، وبقيت لسقاية الحاج، واختص بها العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: مراصد الاطلاع ٢/٦٦٩ ـ ٦٧٠.

(٢) في ك و ط زيادة (عن سعيد بن جبير).

(٣) المِنْطَق: هو النِّطاق، وهو مثل إزار فيه تِكَّة ـ رباط ـ تلبسه المرأة، وقيل: هو حبل تشد به المرأة وسطها للمهنة، أو هو ما شَدَدْت به وَسْطَك.
انظر: المصباح المنير ص ٦١١.

(٤) وكان السبب في ذلك: أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة. ويقال: إن إبراهيم شفع فيها، وقال لسارة: حللي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها ـ أي تختنيها ـ فكانت أول من فعل ذلك. وقد لا يثبت ذلك السبب.
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٠ ـ ٤٠١.
هي: بنت هاران عم إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو ملك حران توفيت بالشام ولها ١٢٧ سنة، وقيل: بأرض الجبابرة من بلاد كنعان. وهي أصغر من إبراهيم بعشر سنوات و «سارة» اسم عبراني معناه: أميرة وأصله «ساراي».
انظر: الكامل ١/٧٠؛ والبداية والنهاية ١/١٥٠؛ وقاموس الكتاب المقدس (عندهم ٤٤٣.

يومئذ أحد، وليس بها ماء[1]، ووضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء. ثم قفَّا[2] إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، ليس فيه أنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قالت: إذا لا يضيعنا[3] ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية[4]، حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، فقال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ — حتى بلغ — ﴿يَشۡكُرُونَ﴾[5].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد[6] ما في السقاء، وعطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى[7]، انطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها[8]،

---

(١) في ك و ط زيادة (فوضعها هناك).

(٢) **قفا**: من القفاء أي ولاها قفاه ذاهباً عنها.

(٣) في ك و ط زيادة (وفي لفظ: وتبعته أم إسماعيل حتى بلغوا كداء، نادته من وراء: يا إبراهيم إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله! قالت: رضيت بالله.

(٤) في ك و ط (البيت).

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٦) في ط (نفذ).

(٧) في ك و ط زيادة (أو قال يتلبط).

(٨) **درع المرأة**: قميصها.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٠٣.

ثم سعت سعي الإنسان المجهود[1]، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت، هل ترى من أحد؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «فلذلك سعى الناس بينهما». فلما أشرفت[2] المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه[3]، تريد نفسها، [4]فسمعت ـ أيضاً ـ فقالت: قد أسمعتَ إن كان عندك غَوَاث[5]، فإذا هي بالملك[6] عند موضع زمزم، فبحث بعَقِبه[7]، ـ أو قال: بجناحه ـ، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا، [8] تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «يرحم الله أم

---

(١) من ظهرت عليه آثار المشقة.
انظر: المصدر السابق ١١٤.

(٢) في ك و ط زيادة (على).
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٠٢.

(٣) بفتح الصاد وسكون الهاء وبكسرها مُنَونة، كأنها خاطبت نفسها، فقالت لها: اسكتي.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٧٢.

(٤) في ك و ط زيادة (ثم سمعت) قبل: (سمعت ـ أيضاً).

(٥) بفتح أوله وضمه وهو العون والنصرة.
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٢؛ والمصباح المنير ص٤٥٥.

(٦) في رواية «فإذا جبريل» وللطبري عن علي بإسناد حسن: «فناداها جبريل فقال: من أنت...».
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٢.

(٧) **العقب**: موخر القدم.
انظر: المصباح المنير ص ٤١٩.

(٨) في ك و ط زيادة (وجعلت).

إسماعيل، لو تركت زمزم[١] لم تغرف من الماء، لكان[٢] عيناً معيناً»[٣].

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: «لا تخافوا[٤] الضيعة، فإن ههنا بيت الله، [٥]يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله». وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذه عن يمينه وشماله[٦]» وذكر تمام الحديث[٧].

---

(١) في ك و ط زيادة (أو قال: لو).

(٢) في ك و ط زيادة (زمزم).

(٣) أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض.
انظر: فتح الباري ٦/٤٠٢.

(٤) في ط (لا تخافي).

(٥) في ط (يبنيه).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفّون: النَّسلان في المشي ٦/٣٩٦ ـ ٣٩٨ (٣٣٦٤) من فتح الباري.

(٧) في ك و ط بقية الحديث وهي: «فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُم ـ أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عايفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي، وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيّاً أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم؟ ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشَبَّ الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زَوَّجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل. فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل، يطالع تركته فلم يجد، فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: بِشَرٍّ نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه. قال: «إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له، يُغَيِّر عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً، فقال: «هل جاءكم من أحد»؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا =

وكانت بئر زمزم قد عميت[1]، ثم أحياها عبد المطلب، جد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وصارت السقاية[2] في ولده: في

= فأخبرته أنَّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، وقال: «تغير عتبة بابك»، قال: ذاك أبي، قد أمرني أن أفارقك، إلحقي بأهلك فطلقها. ثم تزوج منهم أخرى، فلبث عنهم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده. فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنت؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: «اللهم بارك لهم في اللحم والماء». قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «ولم يكن لهم يومئذٍ حب، ولو كان لهم، دعا لهم فيه» قال: فهما لا يخلو عنهما أحد بغير مكة إلاَّ لم يوافقاه. قال: «فإذا جاء زوجك، فاقرئي عليه السلام، ومريه أن يثبت عتبة بابه». فلما جاء إسماعيل قال: «هل أتاكم من أحد»؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت (في ك «فغسلت») عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا بخير. قال: «فأوصاك بشيء»؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويقول لك: «أن تثبت عتبة بابك». قال: «وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك». ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له، تحت دوحة قريباً من زمزم. فلما رآه، قام إليه، فصنع كما يصنع الولد بالوالد، والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني»، قال: «فاصنع ما أمرك (في ط زيادة «ربك») قال: «وتعينني»؟ قال: «وأعينك». قال: «فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك (في ك طمست جملة: قال فعند ذلك) رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿... **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٢٧]. قال: فجعلا يبنيان حتي يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿... **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾.

(١) استعار الشيخ المألف وصف العمى للبئر، كناية عن الخفاء والانطماس، والعلاقة: عدم الاهتداء.
انظر: المصباح المنير: ٤٣١.

(٢) هي: مصدر من (سقى) قال الحسن: كانت السقاية بنبيذ الزبيب. =

العباس وأولاده، يسقون منها، ويسقون ـ أيضاً ـ الشراب الحلو، والشرب من ذلك سنة[1].

والله ـ تعالى ـ قال في إسماعيل: «إني جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جداً جداً»[2]. وهذا التعظيم المؤكد بـ «جداً جداً» يقتضي أن يكون تعظيماً مبالغاً فيه[3]. فلو قدر أن البيت الذي بناه لا يحج إليه أحد، وأن ذريته ليس منهم نبي[4]، كما يقوله كثير من[5] أهل الكتاب، لم يكن هناك تعظيم مبالغاً فيه جداً[6] جداً، إذ أكثر ما في ذلك أن يكون له ذرية. ومجرد كون الرجل له نسل وعقب، لا يَعْظُم به إلَّا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله.

وكذلك قوله: «أجعله لأمة عظيمة» إن كانت تلك الأمة كافرة، لم تكن عظيمة، بل كان يكون أباً لأمة كافرة، فعلم أن هذه الأمة

انظر: التفسير الكبير ١٣/١٥، م ٨.

(١) والدليل قوله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما رواه أبو ذر: «إنها مباركة. إنها طعام طُعْم». رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، ٤/١٩٢٢ (٢٤٧٣)، وروى ابن عباس أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «إن آية ما بيننا وبين المنافقين: لا يتضلعون من زمزم». قال في الزوائد: «هذا إسناد صحيح ورجاله موثقون»، وعن جابر قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول: «زمزم لما شرب له» قال السيوطي: والمعتمد تصحيحه. والحديثان رواهما ابن ماجه، أبواب المناسك، الشرب من زمزم، ٢/١٨٩، (٣٠٩٧ ـ ٣٠٩٨).

(٢) انظر: سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، ٢٠ العهد القديم: ٢٤.

(٣) سقطت من ك و ط (فيه).

(٤) في ك و ط (شيء).

(٥) في ك و ط (كفرة).

(٦) في ك و ط (بجدا).

العظيمة، كانوا مؤمنين، وهؤلاء يحجون البيت، فعلم أن حج البيت مما يحبه الله ويأمر به. وليس في أهل الكتاب إلاَّ المسلمون، فعلم أنهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه، وأنهم وسلفهم الذين كانوا يحجون البيت، أمة أثنى الله عليها، وشرفها، وأن إسماعيل عظمه الله جداً جداً، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة، وهذا هو كما امتن الله على نوح وإبراهيم بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[1].

وقال في الخليل:

﴿... وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾[2].

فعلم بذلك أن في[3] إسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون، وأن إسماعيل معظم جداً جداً، كما عظم الله نوحاً وإبراهيم، وإن كان إبراهيم أفضل من إسماعيل. لكن المقصود أن هذا التعظيم له ولذريته: إنما يكون إذا كانت ذريته معظمة على دين حق، وهؤلاء يحجون إلى هذا البيت، ولا يحج إليه بعد مجيء محمد غيرهم[4].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٧. وفي ك و ط زيادة «ولما قال في نوح: ﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ [سورة الصافات: الآية ٧٧].
كان في ذريته أهل الإيمان كلهم».

(٣) في أ (ولما قال في).

(٤) في ك و ط زيادة: «قال ـ تعالى ـ:
﴿... **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**...﴾.
[سورة آل عمران: الآية ٨٠].
قالت اليهود أو بعض أهل الكتاب: «فنحن مسلمون».

ولهذا لما قال الله[1] ــ تعالى ــ :

﴿ . . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ . . . ﴾[2].

فقالوا: لا نحج، فقال:

﴿ . . . وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ . . . ﴾[3].

و ــ أيضاً ــ فهذا التعظيم المبالغ فيه، الذي صار به ولد إسماعيل فوق الناس، لم يظهر إلاَّ بنبوة محمد، فدلَّ ذلك على أنها حق ومبشر[4] به.

* فهذا نعت محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا نعت المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته، من مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانه دائم، لم يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها *[5].

ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، من كلام «شمعون» بما رضوه من ترجمتهم، وهو «جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء[6] والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته»[7].

---

(١) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.

(٢) في ط زيادة قوله ــ تعالى ــ :
﴿ . . . من استطاع إليه سبيلاً﴾.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٤) في ك و ط (مبشر) بدون عطف.
في أ (مبشراً) بالنصب والأصح ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٥) ما بين النجمتين سقط من ك و ط، وهو بمقدار ثلاثة أسطر.

(٦) في ك و ط (السموات) بالجمع.

(٧) ونصه في الترجمة الحالية: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه، =

* فهذا تصريح بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، الذي جاء بالنبوة من جبال «فاران» وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته.

ولم يخرج أحد قط، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته *[1] مما يسمى «فاران» سوى محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ . [2]والمسيح لم يكن في أرض فاران ألبتة. وموسى إنما كُلِّمَ من الطور، والطور ليس من أرض فاران وإن كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران. فلم ينزل الله فيها التوراة، وبشارات التوراة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الإنجيل[3] بجبل (ساعير).

ومثل هذا كما[4] نقل في[5] نبوة (حبقوق)[6] أنه قال: جاء الله من التيمن[7]، وظهر القُدُس[8] على جبال (فاران) وامتلأت الأرض من

= جلاله غطى السماوات والأرض، امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته.
انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ــ ٤، العهد القديم: ١٠٤٦.

(١) ما بين النجمتين بمقدار سطرين أو أكثر سقط من ك.

(٢) في ك و ط (فإن).

(٣) سقطت جملة (بجبل الطور، وبشارة الإنجيل) من أ وإثباته أجود.

(٤) في ك و ط (ماء).

(٥) في ك و ط (عن).

(٦) اسم عبري معناه: «يعانق»، أو ربما اسم نبات حديقة، وهو نبي في يهوذا، ويستفاد من المزمور المنسوب له أنه كان من سبط لاوي. وأنه أحد المغنّين في الهيكل. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٢٨٧.

(٧) اسم عبري معناه: اليمنين أو الجنوبي أو الصحراء الجنوبية. المصدر السابق ص ٢٢٨.

(٨) **القدس**: يراد به موضع ظهور مجده ــ تعالى ــ للشعب. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٧١٨.

تحميـد (أحمـد) وملك بيمينـه رقـاب الأمم، وأنـارت الأرض لنـوره، وحملت خيله في البحر[1].

ومن ذلـك ما في التـوراة[2] التي بأيـديهم في السفر الأول منهـا، وهي خمسة أسفار في الفصل التاسـع في قصة هـاجر، لمـا فارقت سارة وخاطبها المَلَك[3] فقـال: «يا هـاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟». فلما شرحت لـه الحال قـال: ارجعي فإني سـأكثر ذريتـك وزرعك حتى لا يُحْصَوْنَ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً نسميه[4] إسماعيل، لأن الله قد سمع تذللك وخضـوعك، وولـدك يكون وحشي[5] النـاس، ويكون يـده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون[6] على تَخّوم[7] جميع إخوته[8].

---

(١) انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ــ ٨، العهد القديم: ١٠٤٦.

(٢) **التـوراة**: لفظ عبراني معنـاه: التعليم والشريعـة، وهو الكتـاب الذي أنـزله الله على موسى ــ عليه السلام ــ ويطلق ــ تجوزاً ــ على مجموع كتب العهـد القديم والكتب الملحقة بها وهي ٣٩ سفراً.
انظر: مقارنة الأديان اليهودية ٢٣٨ ــ ٢٤٠ د. أحمـد شلبـي، ط ٥، مكتبة النهضـة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م، والبحر المحيط ٢ / ٣٧٠.

(٣) وهو المَلاك وجمعه ملائكة، والكلمة الأصلية في كل من العبرانية واليونانية المترجمة بملاك يراد بها رسول، حيث تشير إلى أناس لا إلى أرواح سماوية، غير أنه في أكثـر الأماكن يشار بها إلى أرواح خادمة مرسلة للخدمة من أجل العتيدين.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٩٢٠.

(٤) في ك (سميته) وفي ط (تسميته).

(٥) في الترجمة الحالية: وأنه يكون إنساناً وحشياً. في الموضع المذكور هنا.
في ط (وحي).

(٦) في ك و ط زيادة (مسكنه).

(٧) **التخوم**: هو صف من الأشجار أو كومة من الحجارة توضع على زوايا الحقل.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ٢١٣.

(٨) انظر: سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر ١١ ــ ١٢، العهد القديم ٢٣.

قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني إسماعيل قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى، وكانوا مع موسى[1] أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد، ثم[2] مع (يوشع) بعده إلى زمن داود، ومَلَك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله، وسُلط عليهم بعد ذلك (بخت نصر)، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم يد[3]، ثم بعث المسيح وخُرِّب بيت المقدس الخراب الثاني[4]، حيث أفسدوا في الأرض مرتين، ومن حينئذ زال ملكهم وقَطَّعهم الله في الأرض أمماً، وكانوا تحت حكم الروم والفرس[5] لم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم، فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم، لا أهل الكتاب ولا الأميين، فلم يكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع، حتى بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا[6]:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[7].

---

(١) لم يرد اسم (موسى) في أ. وقد أثبتناه من ك و ط.

(٢) سقطت (ثم) من أ.

(٣) في ك و ط (أمر).

(٤) وكان ذلك في سنة ٧٠ ميلادية، حيث أخذ القائد «تيطس» الروماني المدينة، وأحرق الهيكل، وباع كثيرين من شعبها في السبي، عندما ثار اليهود على روما.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ص ١٣٥.

(٥) في ك و ط زياد (والقبط و).

(٦) في أ (قال) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

فلما بعث، صار[1] يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين. فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة «وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به» وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر.

فإن قيل: هذه بشارة بملكه وظهوره؟. قيل: الملك ملكان، ملك ليس فيه دعوى نبوة، وهذا لم يكن لبني إسماعيل على الجميع، وملك صدر عن دعوى نبوة. فإن كان مدعي النبوة كاذباً:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[2].

وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم، وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يَدَّعِ نبوة كـ (بختنصر) و (سنجاريب).

ومعلوم أن الإخبار بهذا لا يكون بشارة، ولا تفرح سارة وإبراهيم بهذا، كما لو قيل: يكون جباراً طاغياً، يقهر الناس على طاعته، ويقتلهم، ويسبى حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل «فإن الإخبار بهذا لا يكون بشارة، ولا يَسرّ[4] المُخبَر بذلك، وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك[5] يعدل، وكان علوه محموداً لا إثم فيه، وذلك في[6] مدعي النبوة لا يكون إلاّ وهو[7] صادق لا كاذب.

• • •

(١) في ك و ط (صارت).

(٢) كان الأولى ربط الآية الشريفة بالسياق هنا بمثل جملة: (فيصدق عليه قوله ـ سبحانه ـ :).

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٤) في ط (بشر).

(٥) أي صاحب السلطان من ولد إسماعيل.

(٦) في ك و ط (من).

(٧) سقطت (وهو) من أ.

فصل

بشارة من الزبور وتفسيرها

وقال داود في الزبور في قوله: «سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له[1] أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على[2] مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين[3]، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»[4].

وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ـ وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة، في أذانهم

---

(١) في ك (من) بدلاً من (له).

(٢) هكذا في ك و ط وفي أ (عن)، و (على) أولى وأظهر.

(٣) مفرده شفرة: وهي حد السيف.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٢٩.

(٤) وهو في الترجمة الحالية من سفر المزامير. المزمور التاسع والأربعين بعد المائة وهو تسع فقرات، ونصه: «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء، ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود ليرنموا له، لأن الرب راض عن شعبه، يُجَمِّل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم، ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب، كرامة هذا الجميع أتقيائه، هللويا». العهد القديم ٧٣٦.

(٥) ليس في أ الجملة الدعائية.

للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية، كما قال جابر بن عبد الله: (كنا مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا علونا كَبَّرنا، وإذا هبطنا سَبَّحْنا، فوضعت الصلاة على ذلك). رواه أبو داود وغيره[1]: وفي الصحيحين عن ابن عمر[2]، قال: كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا قفل من الجيوش، أو السرايا، أو الحج، أو العمرة. إذا أوفى على ثنية أو فَدْفَد[3]، كبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إلَه إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[4].

---

(١) في ك و ط (البخاري).
رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، **٣/٣٣** **(٢٥٩٩)** وإسناده معضل، كما نقل عبد القادر الأرناؤوط عن ابن علان عن الحافظ في (أمالي الأذكار).
انظر: جامع الأصول ٢/٥٧١ ـ ٥٧٢ (١٠٥٠).

(٢) في أ سَقْط في حدود صفحة، يبدأ من هنا، حيث جاء فيها بعدها جملة: (... عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)، ثم أشار بعد هذا إلى وجود سقط ينوي إثباته في الهامش بهذا الرمز ـ ولكنه لم يثبت شيئاً، وقد رجَّحنا أنه الموجود في ك و ط، حيث جاء فيها: وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر، بدل قوله في أ: وفي الصحيحين عن ابن عمر...)، وسأشير إلى نهاية السقط في موضعه القادم ـ إن شاء الله ـ.

(٣) **الفدفد**: هو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع، وقيل: هو الفلاة التي لا شيء فيها، وقيل: غليظ الأرض ذات الحصى، وقيل: الجَلد من الأرض ـ أي الصلبة المستوية المتن ـ في ارتفاع، وجمعه: فدافد.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٩/١١٣ م ٥.

(٤) رواه مسلم، واللفظ له، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، ٢/٩٨ (١٣٤٤)، ورواه البخاري، كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، **٣/٦١٨ ـ ٦١٩** (١٧٩٧) من فتح الباري.

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: (صلَّى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونحن معه بالمدينة ـ الظهر أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء[1]، حمد الله وسبح وكبر، ثم أَهَلَّ بعمرة وحج)[2]، وذكر الحديث.

وعن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني. قال: «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شَرَف»[3]. فلما أن ولَّى الرجل قال: «اللهم اطو له البعد[4]، وهَوِّن عليه السفر». رواه الإمام أحمد[5] والترمذي[6] والنسائي[7].

---

(١) **البيداء**: اسم لأرض ملساء، بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب. تُعَدُّ من الشرق أمام ذي الحليفة.
انظر: معجم البلدان ١/٥٢٣.

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الحج، باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال ... ، ٣/٤١١ (١٥٥١).

(٣) **الشرف**: هو المكان العالي.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٠٠.

(٤) طوى الله البعد لنا: قرَّبه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١١٤.

(٥) المسند للإمام أحمد، ٢/٣٣١ و٤٤٣.

(٦) كتاب الدعوات باب ٤٦، ٥/٥٠٠ (٣٤٤٥) وقال: «هذا حديث حسن».
هو: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى صاحب الجامع، أحد الأئمة، ثقة حافظ، من الطبقة الثانية عشرة، مات سنة **٢٧٩هـ**.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٩٨؛ ووفيات الأعيان ٤/٢٧٨؛ وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٠ ـ ٢٧٧.

(٧) طلبت الحديث عند النسائي في السنن الكبرى فلم أعثر عليه.
ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد، التكبير على كل شرف في السفر، =

وروى ابن ماجه[1] منه[2]: «أوصيك بتقوى الله، والتكبير على كل شَرَف»، وروى أبو داود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجيوشه إذا علوا شَرَفاً[3] كبروا، وإذا هبطوا، سبحوا»[4].

وهم يكبِّرون الله بأصوات عالية مرتفعة في أعيادهم، عيد الفطر، وعيد النحر: في الصلاة والخطبة، وفي ذهابهم إلى الصلاة[5]، وفي

= ٩٨/٢، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ورمز له الذهبي (م). أي بالموافقة.

هو: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النَّسائي ـ بفتح النون ـ قرية بخراسان ـ ويقال أيضاً: النسوي، الحافظ صاحب السنن، مات سنة ٣٠٣ هـ، وله ٨٨سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١٦/١؛ وسير أعلام النبلاء ١٢٥/١٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٣٠٦.

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني، صاحب السنن، أحد الأئمة، حافظ صنف السنن والتفسير والتاريخ، مات سنة ٢٧٣هـ، وله ٦٤سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٣ ـ ٢٨١؛ ووفيات الأعيان ٢٧٩/٤؛ وتقريب التهذيب ٢٢٠/٢.

(٢) في ط (عنه).
سنن ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير ١٣٠/٢، (٢٧٩٧) وقد قال الترمذي: هذا حديث حسن عندما خرجه برقم ٣٤٤٥.

(٣) في ك رسم بدلاً من (شرفاً) هذا الرسم (الثنا).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، ٣٣/٣ (٢٥٩٩)، رواه البخاري بمعناه، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ وعن ابن عمر، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبطوا، وباب التكبير إذا علا شرفاً، ١٣٥/٦ (٢٩٩٣ ـ ٢٩٩٥) من الفتح، وأخرجه الإمام أحمد بمعناه ـ أيضاً ـ كما في المسند ٤٠٢/٤، ورواه الدارمي في سننه كتاب الاستئذان، باب ما يقول عند الصعود والهبوط، ٢٨٨/٢.

(٥) في ك و ط زيادة (موضع).

أيام (منى)[1] الحجاج، وسائر أهل الأمصار[2] يكبرون عقيب الصلوات فإمام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير[3].

وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه كان يكبر[4] بمنى، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون، حتى تَرْتَجّ[5] منى تكبيراً[6].

[7]وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان إلى السوق أيام العشر، فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما[8]. ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم[9]، كما كان نبيهم يقول عند الذبح: «بسم الله والله

---

(١) «منى» في دَرَج (طريق) الوادي الذي ينزله الحاج، ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يُمنى (يراق) فيه من الدماء، وحَدُّه من مهبط العقبة إلى وادي مُحَسِّر، وعليه أعلام منصوبة، هو في داخل الحرم، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال.
انظر: مراصد الاطلاع ١٣١٢/٢ ــ ١٣١٣.

(٢) مفرده: مصر، وهو المدينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٢٥.

(٣) في ط (الحمد والتكبير).

(٤) في ك و ط زيادة (في قبة).

(٥) **ترتج**: أي تضطرب وتتحرك، وهي مبالغة في اجتماع رفع الأصوات.
انظر: فتح الباري ٤٦٢/٢.

(٦) رواه البخاري معلقاً، كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى. . . . .، ٤٦١/٢ ــ ٤٦٢. من فتح الباري، قال ابن حجر: وصله سعيد بن منصور من رواية عبيد بن عمير، ووصله أبو عبيد من وجه آخر بلفظ التعليق، ومن طريقه البيهقي.

(٧) في ك و ط زيادة (وقال).

(٨) أخرجه البخاري تعليقاً، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ٤٥٧/٢ ــ ٤٥٨. من فتح الباري، قال ابن حجر: لم أره ــ أي هذا الأثر ــ موصولاً عنهما، وقد ذكره البيهقي ــ أيضاً ــ معلقاً عنهما، وكذا البغوي.

(٩) **القرابين**: جمع قربان: وهو ما يتقرب به إلى الله ــ تعالى ــ، والهدي ما أهدي إلى =

أكبر»[1] ويكبرون إذا رموا الجمار[2]، ويكبرون على[3] الصفا والمروة، ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن[4]، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه.

قال ـ تعالى ـ لما ذكر صوم رمضان الذي يقيمون له عيد الفطر: قال ـ تعالى ـ[5]:

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[6]، [7].

ولما ذكر الهدي الذي يُقَرَّبْ في عيد النحر، وهو يوم الحج الأكبر قال:

= مكة، والضحايا: جمع أضحية: وهو ذبح بهيمة الأنعام، في وقت مخصوص. تقرباً إلى الله ـ سبحانه ـ وأصل تسميتها من الضُحى وهو أول النهار.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٧٩ و ١٤ ـ ١٥ و ٤/٤٩٤، وانظر الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ١/٤٧٠ ـ ٤٧٥ لأبي محمد، موفق الدين، عبد الله بن قدامة المقدسي ـ ٦٢٠هـ، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(١) رواه البخاري، كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الذبح ١٠/٢٣ (٥٥٦٥) بمعناه، ورواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب استحباب التضحية. ٣/١٥٥٦، (١٩٦٦).

(٢) **الجمار**: مفردها جمرة، ومعناها الحصاة، وهي موضع رمي الجمار بمنى بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ.
انظر: معجم البلدان ٢/١٦٢.

(٣) في ط (عند).

(٤) **الركن**: هو الركن الشرقي.. موضع الحجر الأسود عند باب الكعبة المعظمة.
انظر: المصدر السابق ٤/٤٦٤.

(٥) ليس في ط (قال تعالى).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٧) في ك و ط زيادة (قال).

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، [2].

والنصارى يسمون عيد المسلمين «عيد الله أكبر»[3] لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم[4]: أهل الكتاب، ولا غيرهم ــ غير المسلمين ــ وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق[5]، والنصارى لهم[6] الناقوس[7].

---

(١) سورة الحج: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) **البدن**: الإبل السمينة، سميت بدناً لبدانتها وضخامة أجسامها، وشعائر الله: أي من أعلام الشريعة، وصواف: أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، ووجبت جنوبها: أي سقطت على الأرض بعد نحرها، وهو كناية عن الموت، والقانع: المتعفف، والمعتر: السائل.

انظر: صفوة التفاسير ١٧/ ٢٩٠.

(٣) في ط (الأكبر).

(٤) في ك و ط زيادة (لا).

(٥) **البوق**: آلة موسيقية على هيئة القرن، كانوا ينفخون فيها في الأعياد، وفي الإعلام بالحرب، وما أشبه ذلك. وكانت أبواق الكهنة من الفضة. وعندهم عيد الأبواق: وهو أول يوم من أكتوبر (تشرين الأول)، وسمته الحاخامية: يوم ميلاد العالم، وفيه كانوا يبوقون بالأبواق، إلاَّ إذا وقع العيد يوم السبت.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٩٥.

(٦) في ك و ط (شعارهم).

(٧) هو الذي يضربه النصارى لأوقات صلاتهم: خشبة كبيرة طويلة، وأخرى قصيرة، واسمها الوبيل.

انظر: ترتيب القاموس ٤/ ٤٢٦.

وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة، فإنما هو شعائر[1] المسلمين، فإن الأذان شعار المسلمين، وبهذا يظهر تقصير[2] من فسر ذلك بتلبية الحجاج.

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذاناً أو رأى مسجداً وإلَّا أغار»[3].

وفي لفظ مسلم: «كان يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار.

فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «على الفطرة»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله. فقال: «خرجت من النار»[4].

[5]وكذلك قوله: «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد، وقوله: «يسبحونه على مضاجعهم» بيان لنعت المؤمنين، الذين يذكرون الله، قياماً وقعوداً وعلى

---

(١) في ك و ط (شعار).

(٢) هكذا في ط، وقد سقطت من أ و ك (تقصير) ولا يستقيم الكلام بدونها فلذلك أثبتناها.

(٣) رواه البخاري بمعناه، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ٢/٨٩ (٦١٠) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة . . . ، ١/٢٨٨ (٣٨٢).

سقطت الألف من (أغار) في أ، وقد صوبناها من الصحيح، وفي ك و ط: إذا غزا أقواماً لم يغز حتى يصبح، فإذا سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح».

(٤) هذا اللفظ ليس في أ، وقد أثبتناه من ك و ط، وهو عند مسلم في كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة. . . ، ١/٢٨٨ (٣٨٢).

(٥) في ك و ط زيادة: «وعن عصام المزني قال: كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا بعث السرية يقول: «إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه».

جنـوبهم، ويصلي[1] أحـدهم قـائمـاً، فـإن لم يستـطع فقـاعـداً، فــإن لم يستطع، فعلى جنب، فلا يتركون ذكر الله في حال، بل يذكرونه حتى في هذه الحال، ويصلون في البيـوت على المضاجـع[2]. بخلاف أهـل الكتاب.

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله ــ تعالى ــ :

﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

وقوله:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[4].

وفي الصحيحين عن جـرير بن عبـد الله[5] قال: كنـا جلوساً عنـد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إذ نـظر[6] القمر ليلة البـدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون[7] في رؤيته، فـإن

---

(١) في ك و ط زيادة (الفرض).

(٢) كلمة (المضاجع) منطمسة في ك.

(٣) سورة الروم: الآيتان ١٧ ــ ١٨.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٥) هـو: ابن جابـر ــ وهـو الشَّليـل ــ ابن مـالـك بن نصـر بن ثعلبـة، ينتهي نسبـه إلى أنمـار بن إراس، أبو عمـرو، وقيـل: أبـو عبد الله، البجلي، أسلم قبـل وفـاة النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة وروي عن عمـر «جرير يوسف هذه الأمة». مات في قَرْقِيسياء سنة ٥١هـ.
انظر: أسد الغابة ١/٣٣٤؛ وسير أعلام النبلاء ٢/٥٣٠ ــ ٥٣٧.

(٦) في ك و ط زيادة (إلى).

(٧) تُضَامون: أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ، وروى ــ بفتح أوله والتشديد ــ من الضم، والمراد نفي الازدحام.
انظر: فتح الباري ٢/٣٣.

استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة[1] قبل غروبها فافعلوا؛ ثم قرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ [2] وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[3].

وهذا معنى قول داود: سبحوا الله تسبيحاً جديداً[4]، والتسابيح التي شرعها الله جديداً: كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديداً. ولما أقامها جبريل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «هذا وقتك، ووقت الأنبياء قبلك»[5].

فكان الأنبياء يسبحون في هذه الأوقات، كما يدل[6] التسبيح المقدم، والتسبيح الجديد[7] كما يدل عليه سائر الكلام. ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مع الأمم، [8]لم يكونوا يجاهدونهم بالسيف، بل

---

(١) سقطت كلمة (صلاة) الثانية من ك و ط.

(٢) ما بين النجمتين لم يرد في ك و ط.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٠.

(٤) في ك و ط زيادة (يعني).

(٥) رواه أبو داود بلفظ: «يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك...». كتاب الصلاة، باب في المواقيت، ١/١٠٧ (٣٩٣)، والترمذي بلفظ أبي داود، أبواب الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة...، ١/٢٧٨ ـ ٢٨٠ (١٤٩) قال أبو عيسى: «حديث ابن عباس حديث حسن صحيح». وأصل الحديث في الصحيحين عند البخاري برقم (٥٢١) بلفظ: «بهذا أمرت...» وعند مسلم برقم (٦١٠).

(٦) في ك و ط (وذلك هو).

(٧) في ك و ط زيادة (للمسلمين).

(٨) في ك و ط (ولم...).

النصارى قد تعيب من يقاتل الكفار بالسيف.

ومنهم من يجعل هذا من معايب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] وأمته، ويغفلون ما[2] عندهم من أن[3] الله أمر موسى بقتال الكفار، فقاتلهم بنو إسرائيل بأمره، وقاتلهم يوشع، وداود وغيرهما من الأنبياء، وإبراهيم الخليل قاتل، لدفع الظلم عن أصحابه.

● ● ●

(١) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٢) في ك و ط (عما).

(٣) في أ كرر الناسخ (أن) مرتين.

فصل

[1]وقال داود في مزاميره ــ وهي الزبور ــ : من أجل هذا بارك الله عليه إلى الأبد، فتقلد[2] ــ أيها الجبار ــ بالسيف، لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، آركب كلمة الحق وسمة التأله[3]، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة[4] يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك[5].

بشارة أخرى من الزبور

قالوا[6]: فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود، سوى محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة، كما قال ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «نصرت بالرعب مسيرة

---

(١) في ك و ط زيادة (قالوا).

(٢) **تقلد السيف**: وضع سيفه في علبته ووضعها على أحد منكبيه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٦٧٤.

(٣) **سمة التأله**: أي طريق التنسك والتعبد.
انظر: مختار الصحاح ٢٣و٣١٢.

(٤) في ك و ط (لهيبة).

(٥) نص الترجمة الحالية: «فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك ــ أيها الجبار ــ ، جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون».
انظر: سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعين: ١ ــ ٥، العهد القديم: ٦٧٢.

(٦) في أ (قال)، وقد أثبتنا ما في ك و ط لأن المقصود هم: العلماء.

شهر»[1]. وقد أخبر داود أنه له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار، إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله، بخلاف المستضعف المقهور.

وهو ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نبي الرحمة، ونبي الملحمة[2]. وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين. بخلاف من كان ذليلاً للطائفتين، من النصارى المقهورين مع الكفار، أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود، بل كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً.

● ● ●

---

(١) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف... ١/٤٣٥ ـ ٤٣٦ (٣٣٥) من فتح الباري، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، المقدمة ١/ ٣٧٠ (٥٢١) ولفظه: «نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر».

(٢) المَلْحَمَة: القتال.
انظر: المصباح ص ٥٥١.

فصل

بشارة ثالثة من داود ـ عليه السلام ـ

قالوا: وقال داود في مزمور له: «إن ربنا عظيم محمود جداً»[1] وفي ترجمته[2]: «إلَهنا قدوس[3]، ومحمد قد عمَّ الأرض كلها فرحاً. قالوا: فقد نص[4] داود على اسم محمد وبلده، وسماها قرية الله، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها.

قلت: قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو، وروي أنه[5] عبد الله بن سلام[6] «أخبرنا ببعض صفة رسول الله

---

(١) **في الترجمة الحالية**: «رنموا للرب، باركوا اسمه، بشروا من يوم إلى يوم بخلاصة، حدثوا بين الأمم بمجده.. بين جميع الشعوب بعجائبه. لأن الرب عظيم وحميد جداً».
انظر: سفر المزامير، المزمور السادس والتسعون ٢ ـ ٤. العهد القديم: ٧٠٤.

(٢) في ك و ط (ترجمة).

(٣) **القدوس**: هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وقيل: هو الذي كثرت بركته.
انظر: تفسير الخازن بذيل صحائف البيضاوي ٦/٢٤٣.

(٤) **النَّصُّ على الشيء**: التعيين عليه.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٨٢.

(٥) سقطت (أنه) من أ.

(٦) في ك و ط زيادة (في غير البخاري).
سبقت ترجمته.
تقدم ص: ٢٣٥، والرواية عن عبد الله بن سلام، أخرجها الدرامي، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب... ١٠/٥؛ والبيهقي: الدلائل ١/٣٧٦.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة فقال: «إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن»[١] . وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء، وليست موجودة في نفس كتاب موسى[٢] .

وتقدم أن لفظ التوراة، يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب[٣] لا يخصون بذلك كتاب موسى.

وإذا كان هذا معروفاً عندهم، في التوراة والإنجيل[٤]، يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب، يتناول[٥] ذلك كتاب موسى، وزبور داود، وصحف سائر الأنبياء، سوى الإنجيل، فإنه ليس عند أهل الكتاب، وإنما هو عند النصارى خاصة.

وأما سائر كتب الأنبياء، فالأُمَّتان تُقِرُّ بها[٦] ويؤيد ذلك أن الله

---

(١) سفر أشعياء، الإصحاح الثاني والأربعون، ١/٢٠؛ والعهد القديم: ٨٢٢ وفيه: «هُوَ ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته»... إلخ.

(٢) **كتاب موسى**: هي سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية ـ هذه الأسفار الخمسة وتسمى (الناموس) ـ فيما يظن ـ وهي في أول العهد القديم: ٧ ـ ٢٦٣.

وانظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم): ٤٢٢.

(٣) في ك و ط زيادة: (وكذلك ما يوجد كثيراً من قول كعب الأحبار وغيره. ممن ينقل عن أهل الكتاب: «قرأت في التوراة» إنما يريدون به جنس الكتاب الذي عند أهل الكتاب).

(٤) في ك و ط زيادة «وقد خوطبوا بهذه اللغة»، فإن قوله ـ تعالى ـ في القرآن: **﴿يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾**.

(٥) في ك و ط (فيتناول).

(٦) في ط (يقران بها).

كثيراً ما يَقْرن[1] في القرآن بين التوراة والإنجيل وبين القرآن[2]، وإنما يذكر الزبور مفرداً، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ[3] ۝ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ . . . ﴾[4].

وقوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ . . . ﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ . . . ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ . . . ﴾[6].

وأهل الكتاب [7] يجدونه مكتوباً في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة.

فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب، فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب. ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد

---

(١) يَقْرن: يجمع بين شيئين.
انظر: المصباح المنير ص ٥٠٠.

(٢) كلمة (بين القرآن) لم ترد في ك ولا ط.

(٣) هذه الآية الكريمة لم ترد في أ، وإثباتها أولى.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤.

(٥) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٧) في ك (القرآن).

بوجوده في تلك الكتب، وإقامة الحجة بذكره فيها. فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى. فإذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب، كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين، كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة، وتصديق بعضها بعضاً.

وقد أمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقاً كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[1].

وقال: ﴿ ... وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾[2].

والزبور ذَكَره مفرداً في موضعين من القرآن في قوله:

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[1] .

فذكـره مفـرداً .

وذَكَر كتاب موسى بهذه الإضافة، لا بلفظ التـوراة في غير مـوضع فقال :

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ[2] وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾[3] .

وقـــال :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

إلـى قولـه[4] :

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٥ .

(٢) أي: وجـاء شاهـد من الله وهو مـا أوحاه إلى الأنبيـاء من الشرائـع المطهـرة المكملة المعـظمة المختتمـة بشريعـة محمد ـ صلوات الله وسـلامه عليـه وعليهم أجمعين ـ ولهذا قال ابن عباس وغيره: إنـه جبريـل ـ عليه السـلام ـ . وعن علي وغيره: هـو محمـد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وكـلاهما قـريب في المعنى . لأن كلًّا من جبـريل ومحمد ـ عليهما السلام ـ بلغ رسالة الله ـ تعالى ـ ، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥ .

(٣) سورة هود: الآية ١٧ .

(٤) هكذا في ك و ط، ولم ترد في أ، وإثباتها أولى حيث لم ترد الآية رقم ١١ .

﴿ . . . وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ . . . ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾[3] .

وإذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب الذي[4] عند أهل الكتابين[5] جميعاً، والزبور[6] وغيره داخل في هذا الاسم[7]، وكان ظهور اسمه ونعته في التوراة، ووجودهم ذلك فيما عندهم، وتكرره في غاية القوة، وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون أبناءهم واضحاً بيناً، [8]إن قُدِّر[9] هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يُكْتَم منها شيء، بل هي باقية كما كانت.

• • •

(١) سورة الأحقاف: الآيتان ١٠ و ١٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٣) أي: آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه، تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، جزاءً على إحسانه في العمل. وقيامه بأوامر الله وطاعته.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٣ ـ ٣٦٤.
سورة الأنعام: الآية ١٥٤.

(٤) في ك و ط (التي).

(٥) في ك و ط (الكتاب).

(٦) لم ترد كلمة (الزبور) في ط.

(٧) في ك و ط بدون عطف.

(٨) هنا عطف بالواو في ك و ط.

(٩) في ك و ط زيادة (أن).

فصل

بشارة رابعة من داود ـ عليه السلام ـ

وقالوا: قال داود في مزموره «لترتاح البوادي وقراها، ولتَصِرّ[1] أرض (قيذار)[2] مروجاً[3]، وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل[4] الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر»[5].

[6]فلمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد؟ ومَنْ (قيذار) سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ ومَنْ سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب؟

• • •

(١) في ك (لتنصر).

(٢) هو ابن إسماعيل بن إبراهيم، خليل الرحمن ـ عليهما السلام ـ وأمه: السيدة بنت مُضَاحن بن عمرو الجُرْهمي، وله من الأخوة أحد عشر هم: نابت وأدبيل ومبشا ومسمع ودما وماس وأدد وطور ونفيس وطما وقيدمان. ومن نابت وقيدر نشر الله العرب.

انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٤.

(٣) **المروج**: مفرده: مرج، وهو الموضع ترعى فيه الدواب.

انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٢٢.

(٤) مفردها: قُلَّة، وهي: أعلى الجبل. انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٩.

(٥) وجدناه في سفر أشعيا، الإصحاح الخامس: ٢٦ ـ ٢٨؛ والإصحاح الرابع والخمسون: ١ ـ ١٧. العهد القديم: ٧٨٧ و٨٢٥ ـ ٨٢٦. بالمعنى في الترجمة الحالية.

(٦) في ك و ط زيادة (قالوا).

فصل

بشارة خامسة من داود ـ عليه السلام ـ

[1]قال داود في مزمور له «ويحوز[2] من البحر إلى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، ويخِر[3] أهل الجزائر بين يديه، ويَلْحَس أعداؤه التراب، ويسجد له ملوك الفرس، وتَدِين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويُخَلِّص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ويُصَلَّى عليه ويبارك في كل حين»[4].

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته، لا على المسيح، فإنه[5]

---

(١) في ك و ط زيادة (قالوا وقال).

(٢) في ك و ط (يجوز) بالجيم.

(٣) في ك و ط (بحر).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه: «ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تَقْدُمَة. ملوك شيا وسباء يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين، إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. يُصَلي لأجله دائماً. اليوم كله يباركه».

انظر: سفر المزامير، المزمور الثاني والسبعون، ٨ ـ ١٥، العهد القديم ٦٨٨.

(٥) في ك و ط (فإن) محمداً.

حاز من البحر الروميِّ[1] إلى البحر الفارسي[2]، ومن لدن الأنهار، بجيحون وسيحون[3]، إلى منقطع الأرض بالمغرب[4]، كما قال: «زُوِيَت لي الأرض، مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زُوِيَ لي منها[5]».

وهو يُصَلّى عليه ويُبَارَكُ في كل حين: في كل صلاة: في الصلوات الخمس وغيرها، يقول كل من أمته: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. فيُصلي عليه ويُبارك.

---

(١) ويسمى (بحر المغرب) تطل عليه بلاد المغرب ومصر والشام من جهة الجنوب وبلدان الأندلس وغيرها من جهة الشمال حتى يتصل ببلاد رومية «قسطنطينية»، ويسمى الآن (البحر الأبيض المتوسط).
انظر: مراصد الاطلاع ١٦٦/١.

(٢) هو شعبة من بحر الهند الأعظم، وحَدُّه من البر من نواحي مكران إلى عَبّادان، وهو فوهة دجلة التي تصب فيه، أول سواحله من جهة البصرة إلى بليدة تسمى «المحورة» في طرف جزيرة عباذان.
انظر: مراصد الاطلاع ١٦٦/١.

(٣) في ك و ط (كسيحون وجيحون).
جيحون: هو وادي خراسان، وعليه مدينة اسمها (جيحان) ينسب إليه مخرجه من جبل يقال له أيو ساران، يتصل بناحية السند والهند وكابل، وهو عدة أنهار تجتمع فيه ويمر بعدة بلاد حتى يتصل إلى خوارزم، ثم يصب في بحيرة باسم هذا البلد.
و «سيحون» نهر مشهور بما وراء النهر، قرب «خُجَنْد» بعد «سمرقند» وهو يجمد في الشتاء ثلاثة أشهر، حتى تمشي على جليده القوافل في حدود بلاد الترك.
انظر: المصدر السابق ٣٦٥/١ و ٧٦٤/٢.

(٤) هو آخر حدود أفريقية من الغرب إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط ــ ومنقطع الشيء حيث ينتهي إليه طرفه.
انظر: المصدر السابق ١٢٩٣؛ والمصباح المنير ص ٥٠٩.

(٥) سبق تخريجه.

ومنه[1] خرت أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة قبرص[2]، وأهل جزيرة[3] الأندلس[4].

وخضعت له ملوك الفرس، فلم يبق منهم إلاَّ من أسلم أو أدَّى[5] الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. بخلاف ملوك الروم، فإن فيهم من لم يسلم ويؤدي الجزية فلهذا خص ملوك فارس، ودانت[6] له الأمم، التي[7] تعرفه وتعرف أمته، كانت إما مؤمنة به، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم. وأنقذ الضعفاء من الجبارين.

وهذا بخلاف المسيح، فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن، ولا حازوا[8] ما ذكر، ولا صُلِّيَ عليه وبورك عليه في اليوم والليلة، فإن القوم يدَّعون إلٓهيته[9].

---

(1) في ك و ط (وقد،).

(2) بالصاد أو السين، وهي جزيرة كبيرة، شرق البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، وهي تعد الثالثة في الكِبَر، والثانية في القيمة التاريخية والاقتصادية بجانب صقلية.
انظر: مراصد الاطلاع ٣/١٠٦٣؛ ودائرة معارف وجدي ٧/٦٠٣.

(3) في ك و ط (جزائر).

(4) **الأندلس**: اسم أطلقه المسلمون العرب على كل شبه جزيرة أسبانيا بطريق التغليب، هي بلاد كبيرة فيها عامر وغامر (صحراء)، يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر. . . .
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٢٣؛ ودائرة معارف وجدي ١/٦٥٧.

(5) في أ (الراوي) وهو خطأ نسخي ظاهر.

(6) دانت: ذلت وطاعت.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٤٢.

(7) في ك و ط زيادة (فعامة الأمم). وليس في ك (التي).

(8) في ك و ط (جازوا) بالجيم.

(9) في ك و ط (فإن النصارى يدعون إلٓهية المسيح) وفيها بعد ذلك زيادة: (فلا يصلون عليه، وإنما يصلون له).

فصل

شهادة سفر أشعياء: «راكب الحمار وراكب الجمل»

وقالوا[١] ـ في نبوة أشعياء ـ : قال أشعياء: «قيل[٢] لي قم نظاراً، فانظر ماذا ترى، فقلت: أرى راكبين مقبلين[٣]: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصحابها للمنحر»[٤].

قالوا: فراكب الحمار هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار.

وبمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سقطت أصنام بابل[٥].

• • •

---

(١) في أ (وقال: وفي) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٢) في ك و ط (فقيل).

(٣) في أ (مقبلة).

(٤) في الترجمة الحالية ما نصه: «لأنه هكذا قال لي السيد: أذهب أقم الحارس، ليخبر بما يرى، فرأى ركاباً أزواج فرسان، ركاب حمير. ركاب جمال. فأصغى إصغاء شديداً، ثم صرخ كأسد: أيها السيد، أنا قائم على المرصد دائماً في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهو ذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة، كسرها إلى الأرض».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الحادي والعشرون ٦ ـ ٩؛ والعهد القديم ٨٠١.

(٥) سقطت (أصنام) من ك و ط. وجاءت (بابل) في ط هكذا (يابل).

فصل

بشارة الكتب المتقدمة بالمسيح وبمحمد وإنذارها بالدجال

ومما ينبغي أن يعرف: أن الكتب المتقدمة بشَّرَتْ بالمسيح، كما بشرت بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال.

والأمم الثلاثة: المسلمون واليهود والنصارى، متفقون على أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال، وحذرت[1] منه كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «ما من نبي إلاَّ وقد أنذر أمته المسيح الدجال، حتى نوح أنذره[2] أمته، وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته: إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: (ك ف ر)، يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء»[3].

والأمم[4] الثلاثة متفقون على أن الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود. فالأمم الثلاثة متفقون على الإخبار بمسيح هدى، من نسل داود،

---

(١) في أ (وحذرته) والهاء زائدة نسخاً ـ بلا شك ـ.

(٢) في ك و ط (أنذر).

(٣) هذا الحديث أخرجه مسلم من عدة روايات، كتاب الفتن... باب ذكر ابن صياد، وباب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٤/٢٢٤٥ ـ ٢٢٤٩، (١٦٩ و ٢٩٣٣) بلفظ: (كاتب وغير كاتب). وأصله عند البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ١٣/٩١ ـ ٩١ (٧١٢٧ ـ ٧١٣١) من فتح الباري.

(٤) في أ (فالأمم).

ومسيح ضلالة، وهم متفقون على أن مسيح الضلالة لم يأتِ بعد[1]، ومتفقون على أن مسيح الهدى سيأتي ـ أيضاً ـ[2].

ثم المسلمون[3] والنصارى متفقون على أن مسيح الهدى، هو عيسى بن مريم، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسى بن مريم مع إقرارهم بأنه من ولد داود.

قالوا: «لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها»[4] وزعموا أن المسيح بن مريم إنما بعث بدين النصارى، وهو دين ظاهر البطلان[5].

والنصارى تقر[6] بأن المسيح مسيح الهدى بعث، ومقرون[7] بأنه سيأتي مرة ثانية، لكن يزعمون أن هذا الإتيان الثاني هو يوم القيامة، ليجزي الناس بأعمالهم، وهو ـ في زعمهم ـ هو الله، والله الذي هو اللاهوت[8] يأتي في ناسوته، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك.

وأما المسلمون، فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء على وجهه، وهو

---

(١) في ك و ط زيادة (وسيأتي).

(٢) سقطت (أيضاً) من ك و ط.

(٣) في ك و ط زيادة (واليهود).

(٤) وهو كما في سفر المزامير: «وتسجد قدامك كل قبائل الأمم».
انظر: المزمور الثاني والعشرون، ٢٧؛ والعهد القديم ٦٥٨.

(٥) في ك و ط زيادة «ولهذا إذا خرج المسيح الدجال اتبعوه، فيخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان. ويسلط المسلمون على اليهود، فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر: «يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعالَ فاقتله»، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح».

(٦) في ط (يقرون).

(٧) في ك و ط (يقرون) بالياء.

(٨) يقصدون بكلمة (لاهوت) ذات الرب ـ سبحانه ـ.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٨٢٠.

موافق لما أخبر به خاتم الرسل، حيث قال في الحديث الصحيح: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[1].

وأخبر في الحديث الصحيح: أنه إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب، نزل عيسى بن[2] مريم على المنارة البيضاء[3] شرقي[4] دمشق، بين مهرودتين[5]، واضعاً يديه على منكبي ملكين. فإذا رآه الدجال انماع، كما ينماع الملح في الماء، فيدركه فيقتله بالحربة[6]، عند باب لُد الشرقي[7]، على بضع عشرة خطوات منه»[8]. وهذا تفسير قوله

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى... وفي أوله: «والذي نفسي بيده...» ٦/٤٩٠ (٣٤٤٨) من فتح الباري، وروواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى... ١/١٣٥ (١٥٥).

(٢) في ك و ط (ابن) وهي في أثناء السطر.

(٣) وهي إحدى منائر القبة المعروفة بقبة النسر في مسجد دمشق، وهي الكبرى ولها منارتان غيرها، وقد كانت «ديدبانا» للروم، وأقرت على ما كانت عليه، وصيرت منارة.
انظر: معجم البلدان ٢/٤٦٧.

(٤) في ط (شرفي) بفاء موحدة قبل الياء وهو خطأ مطبعي.

(٥) في ك و ط: بالذال المعجمة و«المهرودتين»: بالذال المعجمة أو الدال المهملة ــ وجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين، والأكثر بالمهملة ــ: هي ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران، وقيل هي شقتان، والشقة: نصف الملاءة.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/٦٧ م ٩.

(٦) هي آلة حرب.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦١.

(٧) لُدّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين.
انظر: معجم البلدان ٥/١٥.

(٨) أخرجه مسلم بنحوه، كتاب الفتن... باب ذكر الدجال... ٤/٢٢٥٠ ــ ٢٢٥٣ (٢١٣٧).

ـ تعالى ـ :

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1].

أي: يؤمن بالمسيح قبل أن يموت، حين نزوله إلى الأرض، وحينئذٍ لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا يبقى دين إلَّا دين الإسلام، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب.

ولكن النصارى ظنوا[2] مجيئه بعد قيام القيامة، وأنه هو الله، فغلطوا في ذلك، كما غلطوا في مجيئه الأول، حيث ظنوا أنه هو الله. واليهود أنكروا مجيئه الأول، وظنوا أن الذي بُشِّرَ به ليس[3] إياه، وليس هو الذي يأتي آخراً، وصاروا ينتظرون غيره، وإنما هو بعث إليهم أولاً فكذبوه، وسيأتيهم ثانياً، فيؤمن به كل من على وجه الأرض، من يهودي ونصراني[4]، إلَّا من[5] قتل أو مات، ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه، ورموا أمه بالفرية، وقالوا: إنه ولد زنا. وهؤلاء الذين غَلَوْا فيه، وقالوا: إنه الله.

ولما كان المسيح ـ عليه السلام ـ نازلاً في أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، صار بينه وبين محمد ـ من الاتصال ـ ما ليس بينه وبين غير محمد، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «إن أولى الناس بابن مريم لأَنَا، إنه ليس بيني وبينه

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) في ك و ط زيادة (أن ذلك).

(٣) في ك و ط زيادة (هو).

(٤) في أ (ونصارى) وهو خطأ نسخي.

(٥) (إلَّا) سقطت من ط.

نبي»[1]. وروي «كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها»[2]. وهذا مما يظهر به مناسبة اقترانهما، فيما رواه أشعياء، حيث قال: «راكب الحمار وراكب الجمل».

• • •

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم...﴾، ٦/٤٧٧ (٣٤٤٢) من فتح الباري بلفظ: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد عَلّات، ليس بيني وبينه نبي». رواه مسلم بلفظ البخاري، وبلفظ آخر، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤/١٨٣٧ (٢٣٦٥)؛ ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء... ٤/٢١٨ (٤٦٧٥)؛ والمستدرك، كتاب التاريخ، ذكر نبي الله وروحه عيسى بن مريم... ٢/٥٩٢؛ ورواه أحمد في المسند ٢/٣١٩ و٤٣٧.

(٢) هذه الرواية ذكرها ابن الأثير، جامع الأصول ٩/٢٠٢، من زيادة رُزين عن أنس بن مالك بلفظ: «لن تهلك أمة أنا أولها، ومهديها أوسطها والمسيح آخرها»، وقد حكم عليها الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٥/٣٦. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، حيث نقلها السيوطي عن أبي نعيم في كتابه «أخبار المهدي» عن ابن عباس.

فصل

بشارة أشعياء بشأن مكة

قالوا: وقال أشعياء النبي ــ عليه السلام ــ متنبياً[١] على مكة ــ شرفها الله ــ: «ارفعي إلى ما حولك بصرك، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن يصير إليك ذخائر البحر[٢]، وتحج إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل الموبَلة[٣]، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ[٤]، ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب»[٥] يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مأرب بن إسماعيل.

---

(١) في ك و ط (مثنياً).

(٢) في ك و ط (البحرين).

(٣) الموبَلة: المثقلة.
انظر: ترتيب القاموس ٥٦٧/٤.

(٤) أرض باليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام، تفرق أهلها في البلاد، وصار كل قوم منهم إلى جهة، لما جاءهم سيل العرم، كما في القرآن الكريم.
انظر: مراصد الاطلاع ٦٨٧/٢.

(٥) نص الترجمة الحالية: «ارفعي عينيك حواليك، وانظري، قد اجتمعوا كلهم، جاءوا إليك، يأتي بنورك من بعيد، وتُحمل بناتك على الأيدي، حينئذٍ تنظرين وتنبهرين، ويخفق قلبك ويتسع، لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غني الأمم، تغطيك كثرة الجمال بُكْران مديان، وعيفة كلها تأتي من شبأ، تحمل ذهب ولباناً، وتبشر بتسابيح الرب، كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت تخدمك».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الستون ٤ ــ ٧؛ والعهد القديم ٨٤٠.

قـالوا: فهـذه الصفات كلهـا حصلت بمكة، فحملت إليهـا ذخائـر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنـام فاران ــ الهـدايا والأضـاحي ــ و (فاران) هي البـرية الـواسعـة التي فيهـا مكـة، وضـاقت الأرض عن قطرات الإبل الموبَلة الخاملة للنـاس وأزوادهم إليها، وأتـاها أهل سبأ، وهم أهل اليمن.

● ● ●

فصل

بشارة ثالثة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي[١] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٢] ـ معلناً باسم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إني جعلت أمرك[٣] يا محمد، يا قدوس الرب[٤]، اسمك موجود من الأبد»[٥]. قالوا: فهل بقي بعد ذلك لزائغ فقال، أو لطاعن مجال؟ وقول أشعياء: إن اسم محمد موجود من الأبد، موافق لقول داود الذي حكيناه: أن اسمه موجود قبل الشمس[٦].

وقوله: «يا قدوس الرب» يعني يا من طهره الرب، وخلصه من[٧] بشريته واصطفاه لنفسه.

● ● ●

(١) في ط (نبي).
(٢) في أ (عليه السلام).
(٣) في ك و ط زيادة (محمداً).
(٤) **قدس الرب**: أي ما يُكَرَّس لله من شخص أو شيء.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٧١٨.
(٥) تتبعت سفر (أشعياء) كله، وبحثت في غيره فلم أهتدِ لشيء ولعلي أجده أو أُدل عليه من جهة طالب علم ناصح.
(٦) وأقول في مسألة عزوه كما قلت في النص الذي قبله.
(٧) في ك و ط زيادة (شوائب).

فـصـل

شهادة رابعة من أشـعـيـاء

قالوا: وقال أشعياء ــ وشهد لهذه الأمة بالصلاح والديانة ــ «سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً، فيصفر لهم من أقاصي الأرض، فيأتون سراعاً»[1].

والنداء، هو ما جاء به النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من التلبية في الحج[2]، وهم الذين جعلوا لله الكرامة، فوحدوه وعبدوه، وأفردوه بالربوبية، وكسروا الأصنام، وعطلوا الأوثان. والعلم المرفوع: هو النبوة. وصفيره: دعاؤهم إلى بيته ومشاعره، فيأتونه سامعين مطيعين.

• • •

---

(١) ونصه في الترجمة الحالية بالعربية: «فيرفع راية للأمم من بعيد، ويُصْفر لهم من أقصى الأرض، فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً، ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون، ولا تنحل حزم أحقائهم، ولا تنقطع سيور أحذيتهم، الذين سهامهم مسنونة، وجميع قسيهم ممدودة، حوافر خيلهم تحسب كالصوان، وبكراتهم كالزوبعة، لهم زمجرة كاللبوة، ويزمجرون كالشبل، يُهرون ويمسكون الفريسة، ويستخلصونها ولا منقذ، يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر، فإن نُظِر إلى الأرض فهو ذا ظلام الضيق، والنور قد أظلم بسحبها».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الخامس ٢٦ ــ ٣٠؛ والعهد القديم ٧٨٧.

(٢) انظر ما رواه البخاري، كتاب الحج، باب التلبية ٣/٤٠٨ (١٥٤٩ ــ ١٥٥٠)؛ وما رواه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها ٢/٨٤١ ــ ٨٤٣، (١١٨٤).

فصل

بشارة خامسة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي ـ، والمراد مكة شرفها الله ـ تعالى ـ[1]: سيري واهتزي أيتها العاقر، التي لم تلد[2]، وانطقي بالتسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي[3] ـ. يعني بأهله: بيت المقدس، ويعني بالعاقر: مكة شرفها الله، لأنها لم تلد قبل نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ[4]. ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت للأنبياء، ومعدن الوحي، فلم تزل تلك البقعة ولادة.

● ● ●

(١) ليس في أ كلمة التقديس.

(٢) في ط (تلدي).

(٣) تقول الترجمة الحالية: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات الأمل قال الرب، أوسعي مكان ضجتك، ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الرابع والخمسون، ١ ـ ٣؛ والعهد القديم ٨٣٥.

(٤) في ك و ط (عليه السلام).

فصل

بشارة سادسة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء النبي، ـ ونص على خاتم النبوة ـ : «وُلِدَ لنا غلام، يكون عجباً وبشراً، والشامة[1] على كتفيه[2]، أركون السلام، إلّه جبار، وسلطانه سلطان السلام، وهو ابن عالمه، يجلس على كرسي[3] داود[4].

قالوا: الأركون، هو العظيم بلغة الإنجيل، والأراكنة المعظمون. ولما أبرأ المسيح مجنوناً من جنونه، قال اليهود: «إن هذا لا يخرج الشياطين من الآدميين إلَّا بأركون الشياطين» يعنون عظيمهم. وقال المسيح في الإنجيل: «إن أركون[5] العالم يدان»[6] يريد إما إبليس

---

(١) المقصود بالشامة: خاتم النبوة ـ كما ذكر المؤلف ـ وهي لغة: أثر أسود في البدن وفي الأرض.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٨٨.

(٢) في ط (كنفيه) بالنون.

(٣) سقطت (كرسي) من أ، وقد أثبتناها من ك و ط.

(٤) نص الترجمة الحالية: «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلّهاً قديراً، أبا أبدياً، رئيس السلام، لنمو بأسه وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح التاسع ٦ ـ ٧؛ والعهد القديم ٧٩٠.

(٥) في ك و ط زيادة (هذا).

(٦) انظر إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ٣ ـ ٣١؛ والعهد الجديد ١٤٣.

أو الشرير العظيم الشر من الآدميين، وسماه إلّهاً على نحو قول التوراة: «إن الله جعل موسى إلّهاً لفرعون»[1] أي حاكماً عليه ومتصرفاً فيه، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه: «إنكم آلهة»[2].

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهي شامته، فلعمري[3] لم تكن الشامة لسليمان، ولا للمسيح، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود، يعني أنه سيرث بني إسرائيل، نبوتهم وملكهم، ويبتزهم[4] رياستهم.

● ● ●

(١) سفر الخروج، الإصحاح السابع ١؛ والعهد القديم: ٧٩.

(٢) مزامير داود، المزمور الثاني والثمانون ٦؛ والعهد القديم ٦٩٦.

(٣) اللام في (لعمري) لام الابتداء، والعمر: ـ بفتح العين وضمها ـ: البقاء، وألزموا الفتح القسم، ويجوز حذف اللام، وقال أبو الهيثم: لعمرك: لدينك الذي يعمر، وأنشد:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

أي عبادتك الله. وقال ابن الأعرابي: عمرت ربي: أي عبدته، فعلى هذا لعمري: لعبادتي. وقال بعض أصحاب المعاني: لا يجوز أن يضاف إلى الله، لأنه لا يقال: لله ـ تعالى ـ عُمر، وإنما يقال هو أول أزلي، وكأنه يوهم أن العُمر لا يقال إلاَّ فيما له انقطاع، وليس كذلك، العَمر والعُمْر: البقاء.

وقد روى ابن جرير بإسنادين أن ابن عباس يعتبر هذا قسماً، ثم روى بإسناده عن النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يقول الرجل لعمري يرونه كقوله: وحياتي». قلت: وهذا لا يخفى ـ قطعاً ـ على الشيخ المؤلف، ويظهر أنه لم يجد ذلك ثابتاً عن ابن عباس والنخعي.

انظر: البحر المحيط ٥/٤٦٢؛ وجامع البيان للطبري: ١٤/٤٤.

(٤) أي: يستلبهم.

انظر: مختار الصحاح ص ٥٠.

فصل

بشارة سابعة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء في وصف أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «ستمتلىء البادية والمدن من أولاد قيدار، يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر[1]. [2]وقيدار، هو ابن إسماعيل باتفاق الناس[3]، وربيعة ومضر من ولده[4]، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من مضر[5].

وهذا الامتلاء والتسبيح[6]، لم يحصل لهم إلَّا بمبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[7].

• • •

(١) نص الترجمة الحالية: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض، أيها المنحدرون من البحر وملؤه، والجزائر وسكانها، لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالغ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه».
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الثاني والأربعون ١٠ ـ ١٣؛ والعهد القديم ٨٢٣.

(٢) في ك و ط زيادة (قلت).

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك ١/٣١٤؛ والكامل ١/٧١؛ والبداية والنهاية ١/١٩٣؛ و ٢/١٨٤.

(٤) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٢٢.

(٥) انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢.

(٦) في ك و ط زيادة (في البر والبحر).

(٧) في ك و ط زيادة (والتسبيح : الصلوات الخمس، وقد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً، فهم يصلون الخمس في البر والبحر).

فصل

بشارة ثامنة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء ـ والمراد مكة ـ: «أنا رسمتك على كفي، وسيأتيك أولادك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخونك[1]، فارفعي بصرك إلى ما حولك، فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك، فتسمي باسمي إني أنا الحي، لتلبسي[2] الحلل، وتزيني بالإكليل[3]، مثل العروس، ولتضيقن خراباتك[4] من كثرة سكانك والداعين فيك، وليهابَنَّ كل من يناوؤك، وليكثرن أولادك حتى تقولي من رزقني[5] هؤلاء كلهم؟ وأنا وحيدة فريدة، يرون رقوب[6]، فمن ربى لي هؤلاء، ومن تكفل لي بهم»[7]؟

قالوا: وذلك إيضاح من أشعياء بشأن الكعبة، فهي التي ألبسها الله

---

(١) في ك و ط (يخربك).

(٢) في أ (لتلبس) والأصوب ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) هو شبه عصابة للرأس تزين بالجواهر، ويسمى التاج إكليلاً.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧٧.

(٤) **الخرابات**: المواضع.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧١.

(٥) في ط (يقول من رزق).

(٦) **الرَّقُوب**: الذي لا ولد له.
انظر: المصباح المنير ص ٢٣٤.

(٧) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الرابع والخمسين ١ ـ ١٧؛ والعهد القديم: ٨٣٥ ـ ٨٣٦.

الحلل الديباج الفاخرة، ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك، ومكة: هي[1] التي ربا[2] الله لها الأولاد من حجاجها، والقاطنين بها. [3]وذلك أن مكة هي التي أخرج عنها كل من أراد أن يخيفها ويخربها، فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة، لم يهنها أحد من البشر قط، بل أصحاب الفيل[4] لما قصدوها، عذبهم الله العذاب المشهور، ولم تزل عامرة محجوجة، من لدن إبراهيم الخليل.

بخلاف بيت المقدس، فإنه قد أخرب مرة بعد مرة، وخلا من السكان، واستولى العدو عليه وعلى أهله، وكذلك إخباره بإهانة كل من يناويها: هو للكعبة دون بيت المقدس[5] قال ــ تعالى ــ:

﴿... وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[6].

والحجاج بن يوسف[7] كان معظماً للكعبة

---

(١) في ك (وهي).

(٢) في ط (بارك).

(٣) في ك و ط زيادة (قلت).

(٤) أصحاب الفيل: هم أبرهة الأشرم، ملك اليمن، وجيشه الذي غزا البيت الحرام لتخريب الكعبة، والفيل آسمه (محمود) بعثه النجاشي ملك الحبشة لأبرهة، فأهلكهم الله بالحجارة التي تحملها الطيور، بعد أن رفض الفيل المذكور مهاجمة الكعبة، ولم يفلح تعذيبهم له بالقيام بتلك المهمة.
انظر: تفسير القرآن العظيم، سورة الفيل: الآية ٨، ص٥٠٣ ــ ٥٠٦.

(٥) في ك و ط زيادة (كما).

(٦) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٧) هو ابن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن قسي ــ وهو ثقيف ــ الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، وأمه: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، مات مريضاً مسلطاً عليه الزمهرير سنة ٩٥هـ، وشهد مرضه الحسن البصري، وله ٥٤ سنة.
انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٩ ــ ٥٤ (١٤٩)؛ و سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣ (١١٧).

لم يَـرُمْها بمَنْجَنِيق[1]، وإنمـا قصد ابن الـزبير[2] خاصـة[3]. وأمـا كثـرة أولادهـا، وهم الـذين يحجـون إليها[4] ويستقبلونهـا في صلاتهم، فهم أضعـاف أضعاف أولاد بيت المقدس.

• • •

---

(١) بفتح الميم وكسرها: آلة ترمى بها الحجارة وهي معربة، أصلها فارسي، مأخـوذة من (جه، نيك) أي أنا ما أجودني، يجمع على منجنيقات، ومجانق، ومجانيق.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٨٦.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أبو بكـر، وأبو خبيب، كـان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، تـولى الخلافـة تسع سنين، قتـل في ذي الحجة سنة ٧٣ هـ في مكة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٠٥.

(٣) أي لم يقصدها لذاتها لما رماها بالمنجنيق.

(٤) في ك و ط (أو).

فصل

بشارة تاسعة من أشعياء

قالوا: وقال أشعياء، ـ حاكياً عن الله تعالى ـ «أشكر حبي[١] وابني أحمد[٢]». فسماه الله حبيباً وسماه ابناً. وداود ابناً، غير أن الله خصه عليهم بمزية فقال: «حبي[٣] ابني أشكره» فتعبد أشعياء بشكر[٤] محمد، ووظَّف[٥] عليه وعلى قومه شكره وإجلاله، ليتبين قدره ومنزلته عنده. وتلك منقبة[٦] لم يؤتها غيره من الرسل.

وقال أشعياء: «إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»[٧]. وهذا إفصاح من أشعياء باسم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فَلْيُرِنَا، أهل الكتاب نبياً نصَّت الأنبياء على اسمه صريحاً، سوى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

●●●

---

(١) في ك و ط (حبيبي).

(٢) تتبعت سفر أشعياء فما وجدت هذه العبارة ولا قريباً منها.

(٣) في ك و ط (حبيبي).

(٤) في ط (الشكر).

(٥) في ط (ووجب) وقد جاء في أ و ك (ووضف) بالضاد، وصححناها من المعجم.
وظف: من الوظيفة: وهي ما يقدر للإنسان في كل يوم من طعام أو رزق.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٨.

(٦) في ك و ط (منزلة).
المنقبة: الفعل الكريم.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢٠.

(٧) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح السادس والستون ١٢؛ والعهد القديم ٨٤٦.

فصل

بشارة محمد ﷺ من حبقوق

قالوا: وقال حبقوق ــ وسُمي محمد رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صريحاً[1] مرتين في نبوته ــ: «إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل[2] فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزه، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح[3] الأرض، فتضعضعت[4] له الجبال القديمة، وانخفضت الروابي، وتزعزعت[5] ستور أهل مدين»[6].

---

(١) سقطت من ك (صريحاً) ومن ط (وسلم ــ صريحاً).

(٢) في ك و ط (جبال).

(٣) في ك و ط (فأم فسيح ــ هكذا).

(٤) من تضعضع: أي خضع وذل وافتقر.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٦.

(٥) **الزعزعة**: تحريك الريح للشجرة ونحوها، أو كل تحريك شديد.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٥٢.

(٦) في ك و ط زيادة (ولقد حاز المساعي القديمة).
نص الترجمة الحالية: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبال فاران، سِلاَه، جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم، ودكت الجبال الدهرية، وخسفت أكام القدم، مسالك الأزل له، رأيت خيام كوشان تحتَ بَلِيَّة، رجفت شقق مديان».
انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٣ ــ ٧؛ والعهد القديم ١٠٤٦.

ثم قال: «زجرك في الأنهار[1]، وإقدام[2] صوامك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت[3] مراكب الإيفاد[4]، وستنزع[5] في قسيك[6] أعراقاً[7] ونزعاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب[8] السيل، وتغيرت المهاوي تغيراً[9] ورعباً، رفعت أيديها وجلاً وخوفاً، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك[10]، وتدَوَّخ الأرض غضباً[11]، وتدوس الأمم زجراً[12]، لأنك ظهرت بخلاص أمتك، ــــــــــــــــ

---

(١) **زجرك في الأنهار**: من زجرت البعير حتى ثار ومضى. انظر: اللسان ٤/٣١٩، مادة: زجر.

(٢) في ك (واختدام) وفي ط (واختتام).

(٣) في ط (وعلوق).

(٤) في ك و ط (الإيفاد). **والإيفاد**: الإشراف والارتفاع. انظر: ترتيب القاموس ٤/٦٣٦.

(٥) في ك و ط (وسينزع).

(٦) في ك (قيسيك)، وهو جمع قوس وهو آلة الرمي. انظر: ترتيب القاموس ٣/٧١٤.

(٧) من أعرق في الدلو: إذا جعل الماء فيها دون الملء. ترتيب القاموس ٣/٢٠٥.

(٨) **الشؤبوب**: الدُّفْعة من المطر. انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٦١.

(٩) في ط (تعبرت المهاوي تعبراً). **المهاوي**: الجبناء. انظر: ترتيب القاموس ٤/٥٤٨.

(١٠) **النيازك**: هي: الرماح القصيرة. انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٥٧.

(١١) في ط (غصباً).

(١٢) **الزجر**: النهي والمنع. انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٩.

وإنقاذ تراث آبائك»[1].

قالوا: وهذا تصريح بمحمد، ومن رام[2] صرف نبوة حبقوق هذه عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقد رام ستر[3] النهار، وحبس الأنهار، وأنَّى يقدر على ذلك؟! وقد سماه باسمه مرتين، وأخبر بقوة أمته، وسير المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير[4] آثارهم. وهذه النبوة لا تليق إلَّا بمحمد، ولا تصلح إلَّا له، ولا تدل إلَّا عليه. فمن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعاً[5]. وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن، وهي ناحية مكة والحجاز، فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جاء من ناحية

---

(١) بقية الإصحاح المتقدم كما في الترجمة الحالية: «. . . هل على الأنهار حمي يا رب، هل على الأنهار غضبك، أو على البحر سخطك، حتى أنت ركبت خيلك مركباتك، مركبات الخلاص، عريت قوسك تعرية، سباعيات سهام كلمتك. سلاه. شققت الأرض أنهاراً، أبصرتك ففزعت الجبال، سيل المياه طما، أعطت اللجة صوتها، رفعت يديها إلى العلاء، الشمس والقمر وقفا في بروجهما، لنور سهامك الطائرة، للمعان برق بحدك، بغضب خطرت في الأرض، بسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك، لخلاص مسيحك، سحقت رأس بيت الشرير، معرياً الأساس حتى العنق، سلاه، ثقب بسهامه رأس قبائله، عصفوا لتشتيتي، ابتهاجهم كما لأكل المسكين في الخفية، سلكت البحر بخيلك كوم المياه الكثيرة.
انظر: سفر حبقوق، الإصحاح الثالث ٨ ـ ١٥؛ والعهد القديم ١٠٤٦.

(٢) رام الشيء: طلبه.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٦٤.

(٣) في ك (سير).

(٤) جوارح الطير والسباع: ذوات الصيد.
انظر: المصدر السابق ص ٩٨.

(٥) في ك و ط زيادة (قلت).

اليمن، وجبال فاران هي جبال مكة ـ كما قد تقدم بيان ذلك ـ، وهذا مما لا يمكن النزاع فيه.

وأما امتلاء السماء من بهاء أحمد، بأنوار[1] الإيمان والقرآن التي ظهرت منه ومن أمته؛ وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته في صلواتهم، فأمر ظاهر، فإن أمته هم الحمادون، لا بدَّ لهم من حمد الله في كل صلاة و[2]خطبة، ولا بد لكل مُصَلٍّ في كل ركعة من أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ . . .﴾[3].

فإذا قال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

قال الله: حمدني عبدي.

فإذا قال:

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

---

(١) في ك و ط (فأنوار).

(٢) في ك و ط زيادة (كل).

(٣) سورة الفاتحة: الآيات ١ ـ ٣.
لا أتصور أن أحداً يمكن أن يفهم من كلام الشيخ المؤلف هنا: أنه يمكن الاقتصار على ما أورده الشيخ من سورة الفاتحة. ولا أعلم أحداً قال به من كافة المذاهب، ولكن الشيخ ذكر الجزء وأراد الكل.
هذا (ويجب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصحيح من المذهب (أي الحنبلي)، وهذا مذهب مالك والأوزاعي والشافعي. وعن أحمد: أنها لا تجب إلاَّ في ركعتين من الصلاة، ونحوه: عن النخعي والثوري وأبي حنيفة. . . وعن الحسن: أنه إن قرأ في ركعة واحدة أجزاه. . . وعن مالك: أنه إن قرأ في ثلاث أجزاه، لأنها معظم الصلاة).
انظر: المغني لابن قدامة ١/٤٨٥.

قال: أثنى عليَّ عبدي.

فـإذا قـال:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

قال: مجَّدني[1] عبدي[2].

فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها بالتحميد وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع يقول إمامهم: سمع الله لمن حمده، ويقولون[3] جميعاً: ربنا ولك الحمد، ويختمون صلاتهم بتحميد، يجعل[4] التحيات له والصلوات والطيبات، وأنواع تحميدهم لله[5] مما يطول وصفه.

• • •

---

(١) التمجيد: التعظيم والثناء.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٠٤.

(٢) هذا جزء من حديث قدسي، رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... ١/٢٩٦ (٣٩٥). ورواه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام... ١/٨٤. ورواه أبو داود برقم (٨٢١) والترمذي برقم (٢٩٥٣)؛ والنسائي ٢/١٣٥.

(٣) في ك (يقولوا).

(٤) في ك و ط (بتحميده، بجعل).

(٥) في ك و ط (تحميدهم فيه والثناء عليه).

فصل

بشارة من حزقيال

قالوا: وقال حزقيال[١] ــ وهو يهدد اليهود، ويصف لهم أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «وإن الله مظهرهم[٢] عليكم، وباعث فيهم نبياً، ومنزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم، فيقهرونكم[٣] ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني[٤] قيدار في جماعات الشعوب، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، محيطون[٥] بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار نعوذ بالله من النار»[٦].

[٧]وذلك أن رجال بني قيدار، هم (ربيعة) و (مضر) أبناء عدنان[٨]، وهما جميعاً من ولد قيدار بن إسماعيل، والعرب كلهم من

---

(١) في ك و ط (دانيال).
سبقت له الترجمة.

(٢) في ك و ط (يظهرهم).

(٣) في ك و ط (يقهرونكم).

(٤) سبقت (بني) من ك و ط.

(٥) في ك و ط (فيحيطون).

(٦) انظر: سفر حزقيال، الإصحاح العشرين ٤٥ ــ ٤٩؛ والعهد القديم ٩٤٩.

(٧) في ك و ط زيادة (قلت).

(٨) **عدنان**: من سلالة إسماعيل بن إبراهيم ــ عليه السلام ــ، وقد كره الإمام مالك ــ رحمه الله ــ رفع النسب إلى ما بعد عدنان، ولم يكرهه غيره كابن إسحاق والبخاري وغيرهما، قال ابن عبد البر: والذي عليه الأئمة في هذا الشأن في نسب عدنان، قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن =

بني عدنان، وبني قحطان. فعدنان ـ أبو ربيعة ـ ومضر وأنمار من ولد إسماعيل، باتفاق الناس[١]. وأما قحطان، فقيل: هم من ولد إسماعيل، وقيل: هم من ولد هود[٢]. ومضر ولد إلياس بن[٣] مضر[٤]، وقريش، هم من ولد إلياس بن مضر. وهوازن مثل عقيل[٥]، وكلاب[٦]، وسعد بن بكر، وبنو نمير[٧]، وثقيف وغيرهم، هم من ولد إلياس بن مضر.

وهؤلاء انتشروا في الأرض، فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات[٨]

= نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما السلام ـ.
انظر: البداية والنهاية ٢/١٩٣ ـ ١٩٥.

(١) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٢٢ و ١٦. والبداية والنهاية ٢/١٥٦.
(٢) انظر المصدرين السابقين والمواضع ـ نفسها ـ.
(٣) في ط (ابن) وليست في أول السطر.
(٤) اتفقت جميع النسخ على زيادة: (وإلياس بن مضر) بحيث تكون العبارة هكذا: (ومضر ولده الياس بن مضر، إلياس بن مضر وقريش هم من ولد وإلياس بن مضر)، والذي يظهر لي أن تلك الزيادة ليست في محلها، وربما تكون من النساخ.
(٥) هم: بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ و ٢٧٣ و ٢٩٠.
(٦) هم: بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: المصدر السابق: ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٨٢.
(٧) هم: بنو نمير بن عامر بن صعصعة، وأولاده: ضنة وكعب وعامر والحارث.
انظر: المصدر السابق ص ٢٧٨.
(٨) رسمت في أ: (الفراة)، وهو النهر المعروف واسمه بالفارسية «فالاذروذ» وهو يخرج =

ودجلة[1]، سكنت[2] مضر في حران[3] وما قرب منها، فسميت ديار مضر، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها، فسميت ديار ربيعة[4].

● ● ●

= من بلاد قاليقلان ثغور أرمينية حتى ينتهي إلى نهر دجلة ثم إلى البحر الحبشي.
انظر: مراصد الاطلاع ١٠٢١/٣؛ ومروج الذهب ١٠٣/١.

(١) **دجلة**: هو النهر العظيم المشهور الذي يشق بغداد ثم المدائن ثم إلى واسط ثم يصب في البطائح ثم البحر وطوله ١٢٠٠ كلم.
انظر: مراصد الاطلاع ٥١٥/٢؛ ودائرة معارف وجدي ١٨/٤.

(٢) في أ (فسكنت).

(٣) مدينة قديمة بين الرها والرقة، وهي مهاجر الخليل ـ عليه السلام ـ وكانت منازل الصابئة من الحرانيين.
انظر: مراصد الاطلاع ٣٨٩/١.

(٤) في ك و ط زيادة «وقال: (تنزل الملائكة على خيل)، وهذا مما تواترت به الآثار، أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض، فإنها نزلت يوم (بدر) لنصر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته، ونزلت يوم الأحزاب، وأحاطت ببني قريظة».

فصل[1]

بشارتان من دانيال ـ عليه السلام ـ

وقال دانيال ـ عليه السلام ـ : وذكر محمداً رسول الله[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باسمه، فقال: «ستنزع في قِسِيك[3] إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء»[4].

فهذا تصريح بغير تعريض[5]، ــــــــــــــــــــ

---

(١) كَتَب البسملة الشريفة قبل كلمة (فصل) في ط، حيث أن هذا الموضع هو أول الجزء الرابع من طبعة (الكردي)، والذي تبعه فيه (المدني) في طبعته ـ أيضاً ـ ولم أجد لذلك التقسيم (الفني) أي أثر في أ ولا أكسفورد، بخلاف ك، حيث جاء فيها بعد هذا الموضع بصفحة تقريباً إشارة إلى بداية الجزء، وسأذكرها في موضعها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

(٢) لم ترد جملة (رسول الله) في ك ولا ط.

(٣) في ك (قيسيك) بزيادة ياء بعد القاف.

(٤) النص الذي وجدته في الترجمة الحالية: «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي. ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض».

انظر: سفر دانيال، الإصحاح السابع، ١٣ ـ ١٤؛ والعهد القديم ١٠٠٠.

(٥) **التعريض**: ضد التصريح، يقال: عَرَّضَ لفلان وبفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه ومنه المعاريض في الكلام، وهي التورية بالشيء عن الشيء، وفي المثل النبوي: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»، أي سعة.

انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٥؛ وفتح الباري ١٠/٥٩٤.

وقال: «هذا لفظ حديث أخرجه المصنف ـ أي البخاري ـ في الأدب المفرد، والطبري في التهذيب، والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات . . . وللمصنف في الأدب المفرد. . . عن عمر قال: أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب؟».

وتصحيح ليس فيه تمريض[١].

فإن نازع في ذلك منازع فليوجدنا[٢] آخر، اسمه محمد له سهام تُنزع، وأمر مطاع لا يُدفع.

وقال دانيال النبي ــ أيضاً ــ حين سأله بَخْتَ نَصَّر، عن تأويل رؤيا[٣] رآها، ثم نسيها: «رأيت أيها الملك صنماً عظيماً، قائماً بين يديك، رأسه من ذهب، وساعداه من الفضة، وبطنه وفخذاه من النحاس، وساقاه من الحديد، ورجلاه من الخزف[٤]، ورأيت حجراً لم تقطعه يد إنسان، قد جاء وصك[٥] ذلك الصنم فتفتت وتلاشى، وعاد رفاتاً، ثم نسفته الرياح، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً، حتى ملأ الأرض كلها، فهذا ما رأيتَ أيها الملك؟».

فقال بَخْتَ نَصَّر: صدق فما تأويلها؟

قال دانيال: «أنت الرأس الذي رأيته من الذهب، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيت من الفضة، وهما دونك، ويقوم بعدهما مملكة أخرى هي دونهما[٦]

---

(١) **التمريض**: التوهين، خلاف التصحيح الذي هو البراءة من كل عيب.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٩٩ و ٤/٢٢٩.

(٢) في ط (فليوجد لنا).

(٣) **الرؤيا**: ما يرى في المنام.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٨.

(٤) **الخزف**: كل ما عمل من طين وشوي بالنار حتى يكون فخاراً.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٥٠.

(٥) **صَكّه**: أي ضربه شديداً بعريض، أو عام.
انظر: المصدر السابق ٢/٨٣٨.

(٦) في ك و ط (دونها) بدون ميم.

وهي شبه[1] النحاس، والمملكة الرابعة: تكون قوية مثل الحديد الذي يدق كل شيء. فأما الرِّجلان التي رأيت من خزف. فمملكة ضعيفة، وكلمتها متشتتة[2]. وأما الحجر الذي رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته، فهو نبي يقيمه الله، إلّه السماء والأرض، من قبيلة بشريعة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض، وأممها حتى تمتلىء منه الأرض ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك»[3].

[4]فهذا نعت [5] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا نعت[6] المسيح، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق[7] جميع ملوك الأرض وأممها، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته، في مشارق الأرض ومغاربها، وسلطانه[8] دائم لم[9] يقدر أحد أن يزيله، كما زال ملك اليهود، وزال ملك النصارى عن خيار الأرض وأوسطها[10].

● ● ●

---

(١) هكذا في أ (شبه) وفي ك و ط (التي تشبه).
(٢) في ك بدل هذه الكلمة رمز غير معروف، وفي ط (سحيقة).
(٣) هكذا أورده الشيخ المؤلف مختصراً، وانظر نص الترجمة الحالية، سفر دانيال، الإصحاح الثاني بكامله؛ والعهد القديم ٩٩٠ ـ ٩٩٢.
(٤) في ك و ط زيادة (قلت).
(٥) في ك و ط (بعث).
(٦) في ك و ط (بعث).
(٧) في ك و ط (دون).
(٨) في ك و ط (وسلطانهم) بالجمع.
(٩) في ك و ط (لا).
(١٠) في ط (وأوساطها).

فصـل

بشارة ثالثة من دانيال ـ عليه السلام ـ

[1]وقال دانيال النبي ـ أيضاً ـ سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء [2]* أو يجعل ذلك في غيرهم؟ قال دانيال[3]: فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله ـ تعالى ـ[4] يقول: «إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علي، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بخت نصر، فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم[5]، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راضٍ عنهم، ولا مقيلهم عثراتهم[6]، فلا يزالون من سخطي حتى أبعث مسيحي ابن[7] العذراء البتول، فأختم[8]

---

(١) في ك و ط زيادة (وقالوا).

(٢) من النجمة إلى آخر هذا الموضع ـ النجمة الأخرى، أي إلى قوله: في ك بسم الله الرحمن الرحيم، ويه ثقتي، ليس في ك، وهو بمقدار صفحة.

(٣) قال: (دانيال) ليست في ط.

(٤) ليس في ط كلمة التقديس.

(٥) في ط (مسجدهم).

(٦) في ط (عثرات) بدون الضمير المتصل.

(٧) في أ (بن) بدون ألف.

(٨) في ط (واختم) بالواو.

عليهم عند ذلك[1] باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة[2] حتى أبعث نبي بني إسماعيل، الذي بَشَّرْتُ به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي فبشرها[3] فأوحي[4] إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء[5]، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره[6]، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليّ، وأرقيه من سماء إلى سماء، حتى يعلو فأدنيه، وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة[7]، حافظاً لما استودع، صادعاً[8] بما أمر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ[9] ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق،[10] رؤوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى

---

(١) في ط (ذلك عليهم باللعن).

(٢) **المسكنة**: الخضوع والذل.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٥٨٩.

(٣) في ط (وبشرها) بالواو.

(٤) في ط (وأوحى) بالواو.

(٥) هكذا في ك و ط، وفي أ (السيما) والأصوب ما في ط، ولهذا أثبتناه.

(٦) **ضمير الإنسان**: قلبه وباطنه.
انظر: المصباح ٣٦٤.

(٧) **الغبطة**: حسن الحال.
انظر: المصباح ٤٤٢.

(٨) في ط (صادقاً فيما).

(٩) **الرجل الفظ**: الشديد الغليظ القلب، إذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه.
انظر: المصباح ٤٧٨.

(١٠) من ط (بالأسواق).

توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه[١].

* قال الناقل لهذه البشارة: قالوا: *[٢]، ثم سرد دانيال قصة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حرفاً حرفاً[٣]، مما[٤] أملاه عليه الملك، حتى وصل[٥] آخر أيام أمته بالنفخة [٦] وانقضاء الدنيا، ونبوته كثيرة[٧]، وهي[٨] الآن في أيدي [٩] النصارى، واليهود يقرأونها[١٠].

[١١] * ومهما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيِّها، واتصال مملكتهم بالقيامة ـ[١٢]قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وفيها من وصف محمد

---

(١) انظر: سفر دانيال، الإصحاح التاسع بكامله؛ والعهد القديم ١٠٠٣ ـ ١٠٠٤.
(٢) ما بين النجمتين سقط من ط.
(٣) سقطت (حرفاً حرفاً) من ط.
(٤) في ط (بما).
(٥) في ط (أوصل).
(٦) **النفخة**: قيل هي النفخ في كل صورة إنسان فتحيا، والصواب أن النفخ هو في الصور، والمراد به القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ـ عليه السلام ـ، وقد ورد في حديث إسناده فيه ضعيف: أن النفخ في الصور يكون ثلاث مرات، الأولى: نفخة الفزع والناس أحياء، وتطول هذه النفخة وترتج لها الأرض، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث. انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٧) سقطت (نبوته كثيرة) من ط، والمقصود بها: السفر المنسوب إليه، من العهد القديم.
(٨) في ط (وهذه البشارة).
(٩) في ط (عند اليهود والنصارى).
(١٠) في ط زيادة (ويقولون: لم يظهر صاحبها بعد).
(١١) من هذه النجمة بداية سقط من ط، وسأشير إلى نهايته لاحقاً ـ بإذنه تعالى ـ.
(١٢) من هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

وأمته بالتفصيل ـ[1] ما يطول وصفه، وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق، كما ذكر ذلك العلماء، منهم أبو العالية: ذكر أنهم لما فتحوا (تُسْتَر)[2] وجدوا دانيال ميتاً، ووجدوا عنده مصحفاً. *[3].

قال أبو العالية: أنا[4] قرأت ذلك المصحف، وفيه صفتكم[5] ولحون كلامكم[6]، وكان أهل الناحية[7]ـ إذا أجدبوا[8] كشفوا عن قبره، فيسقون[9]، فكتب أبو موسى[9] في ذلك إلى عمر بن الخطاب،

---

(١) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٢) تُسْتَر: تعريب (شوشتر) كانت أعظم مدينة بخوزستان، وبها قبر البراء بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ، وكان يُعمل بها ثياب وعمائم فائقة.
انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) إلى النجمة نهاية السقط من ط.
المصحف: بضم الميم وكسرها ـ، هو ما جمعت فيه الصحف.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٥٧.

(٤) في ط (فأنا).

(٥) في ط زيادة (وأخباركم وسيرتكم).

(٦) **لحن الكلام**: فحواه ومعناه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٩٥.

(٧) أي أهل (تستر) وما جاورها، **والناحية**: الجهة.
انظر: ترتيب القاموس ٤/ ٣٨٨.
في ط زيادة (يعني أرض السوس، حيث دانيال مدفون بها).

(٨) في أ (أجذبوا) بالذال المعجمة، والنقطة تحريف، وفي ط (أجديوا).

(٩) ورد شيء مشابه لهذا بشأن أبي أيوب الأنصاري في ص ١٤٥، (طبع المدني) وقد قام الشيخ: علي صبح المدني بالتعليق عليه تعليقاً جيداً، وسأعرض له في موضعه ـ بإذن الله تعالى ـ.

(٩) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار الأشعري، صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة ٥٠هـ وقيل بعدها.
انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥؛ وتقريب التهذيب ١/ ٤٤١.

فكتب إليه عمر: «أن أحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً، وادفنه بالليل في واحد منها، لئلا يفتتن(١) الناس به»(٢).

• • •

(١) **الإفتتان**: الضلال والإضلال والإثم.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٤٧.

(٢) أخرجه البيهقي بمعناه في الدلائل، باب صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة والإنجيل... ١/٣٨١ ـ ٣٨٢. ورجال إسناده مُوثَّقون وهم، أبو عبد الله الحاكم، عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار العُطاردي، عن يونس بن بكير، عن أبي خلدة: خالد بن دينار، عن أبي العالية ـ رُفَيْع بن مهران.

(٢) ما بعد هذا زيادة في ط فقط بمقدار صفحة من قوله: (فصل قالوا: قال كعب). ثم اتفقت الزيادة مع ك في قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي) فقط.

وهذه هي الزيادة بتمامها (فصل. قالوا: قال كعب ـ وذكر صفة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في التوراة، ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة ـ: «أحمد عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، مولده بكًّا، وهجرته طابا، وملكه بالشام، وأمته الحامدون، يحمدون الله على كل نجد، ويسبحونه في كل نزلة، ويغضون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، =

. . . .

= وصفهم في الجهاد والصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد في النهار، لهم دويٌّ كدويِّ النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كُنَاسة». فصل. قالوا: قال ابن الزناد: حدثني عبد الرحمن بن الحارث، عن عمر بن حفص، وكان من خيار الناس، قال: «كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الإسلام. فيها اسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين تبار، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان، يتّزِرون على أوساطهم، ويرصدون الشمس، ويغضون أطرافهم ويخوضون البحور إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة».

فصل: قالوا أشعياء ــ وذكر قصة العرب ــ فقال: «ويدرسون الأمم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة، وقسيٍّ موترة من شدة الملحمة»، وهذا إخبار عما طرأ بعبدة الأوثان من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يوم بدر، ويوم حنين، وفي غيرها من الوقائع.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي(*).

(*) وإلى هنا تنتهي الزيادة في ط أولاً ثم في ك.

فصل[1]

مانقل من بشارات المسيح بمحمد، والتعليق المفصل عليها

قالوا: وقال يوحنا الإنجيلي[2]: قال يسوع[3] المسيح ـ في الفصل الخامس عشر من إنجيله ـ: «أن الفارقليط[4] روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء»[5].

---

(١) ليس في ك كلمة (فصل) وفي ك و ط زيادة: (في كلمة الإنجيل وتفسيرها).

(٢) ويسمى: التلميذ الحبيب أو (يوحنا الشيخ). أو (الرسول) وهو ابن زبدي، من بيت صيدا في الجليل، وأمه سالومة. وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة، وكان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه الخصوصيين وهم بطرس، ويعقوب، ويوحنا وله في العهد الجديد خمسة أسفار منسوبة إليه، مات في (أفسس) سنة ٩٨م.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١١٠٨ ـ ١١١٠.

(٣) يسوع: هذه هي الصيغة العربية للاسم العبري (يشوع) وهو اسم لشخصين في العهد الجديد، ومعنى الاسم: (يهوه مخلص): الأول هو: المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ والمسيح لقبه ويسوع اسمه الشخصي. والثاني: يهودي يدعى: (بسطس)، وكان عاملاً مع بولس ورفيقاً له في رومية.

انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ١٠٦٦.

(٤) كلمة عبرانية معناها: أحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وقد كتبها ـ النصارى ـ بفتح الفاء ـ وهي بكسرها ـ ليكون معناها: المحامي والمؤيد والشفيع والنائب عن غيره. . . وهكذا، وقد جاء بدل هذه الكلمة في الترجمات الحالية كلمة (المُعَزِّي).

انظر: إثبات نبوة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ١٦٦ لأحمد بن الحسين الزيدي ـ ٤٢١هـ ت: خليل الحاج، المكتبة العلمية، بيروت، وإظهار الحق: ٥٤٠ هامش رقم (٣٢) د. أحمد السقا.

(٥) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، ٢٦؛ والعهد الجديد ١٤٣.

وقال يوحنا ـ التلميذ[1] ـ أيضاً ـ عن المسيح، أنه قال لتلاميذه: «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاماً لأني سآتيكم عن قريب»[2].

وقال يوحنا[3]: قال المسيح: «من يحبني يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه يأتي، وعنده يتخذ المنزل، كلمتكم بهذا لأني عندكم مقيم، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم، أستودعتكم سلامي[4]، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع، فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلى الأب، فإن أنتم ثبتم في كلامي، وثبت كلامي فيكم، كان لكم كل ما تريدون، وبهذا يمجد أبي»[5].

وقال ـ أيضاً ـ: «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، روح الحق الذي من أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به، ولا تشكوا فيه»[6].

وقال ـ أيضاً ـ: «إن خيراً لكم أن أنطلق، لأني إن لم أذهب

---

(١) هو يوحنا الإنجيلي السابق ـ نفسه ـ، وهذا لقب آخر له.
(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، ١٥ ـ ١٩؛ والعهد الجديد ١٤٣.
(٣) هو الإنجيلي والتلميذ نفسه.
(٤) في ك و ط (وأمي).
(٥) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر، ٣ ـ ١٤؛ والسادس عشر ٥ ـ ١٦؛ والعهد الجديد ١٤٤ ـ ١٤٥.
(٦) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر، ٢٦ ـ ٢٧؛ والعهد الجديد ١٤٤. وهو بمعناه.

لم يـأتكم الفارقليط، فـإذا انطلقت أرسلتـه إليكم، فهو يـوبخ[١] العـالم على الخـطيئـة[٢]، وإن لي كـلامـاً كثيـراً، أريـد أن أقـولـه، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك[٣] يرشـدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنـده، بل يتكلم بمـا يسمع، ويخبـركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب»[٤].

وقال يوحنا الحواري[٥]: قال المسيح: «إن أركـون العالم سيـأتي وليس لي شيء»[٦].

وقـال مَتَّى التلميذ: قـال المسيح: «ألم يقـرأوا أن الحجـر الـذي أرذله[٧] البناءون، صـار رأساً للزاويـة[٨] من عند الله، كـان هذا ـ وهـو عجيب في أعيننا ـ ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت[٩] الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى، تـأكل ثمـرها، ومن سقط على هـذا الحجر

---

(١) **وبَّخته**: لُمْتُه وعَنَّفْته وعتبت عليه، وقال الفارابي: عيرته.
انظر: المصباح المنير ص ٦٤٦.

(٢) في أ (الخطبة) وهو تحريف.

(٣) في ك و ط زيادة (الذي).

(٤) انظر: إنجيل يـوحنا، الإصحـاح السادس عشـر، ٧ ـ ١٤؛ والعهد الجـديد ١٤٥. وهو بمعناه.

(٥) هو يوحنا المذكور ـ سابقاً ـ نفسه.

(٦) بحثت عن هذا النص في مضانه فلم أعثر عليه.

(٧) **الأرذل**: الدون الخسيس، أو الرديء من كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٢٩.

(٨) سميت زاوية البيت لأنها جمعت قطراً منه.
انظر: المصباح المنير ص ٢٦٠.

(٩) **الملكوت**: العز والسلطان.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٢٨٢.

ينشرح، وكل من سقط هو عليه يمحقه»[1].

وقال يوحنا التلميذ ــ في كتاب رسائل التلاميذ، المسمى بفراكسيس ــ : «يا أحبابي[2]، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن مَيِّزُوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء فكان[3] جسدانياً، فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن[4] بأن يسوع المسيح جاء، وكان جسدانياً، فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب، الذي سمعتم به، وهو الآن في العالم»[5].

وقال شمعون الصفا[6]، رئيس الحواريين ــ في كتاب فراكسيس ــ : «أنه قد حان أن يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداء»[7].

قلت: وهذا اللفظ، لفظ الفارقليط، في لغتهم ذكروا فيه أقوالاً: قيل: إنه الحماد، وقيل: إنه الحامد، وقيل: إنه المعز، وقيل: إنه الحمد، ورجح هذا طائفة، وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم إنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: «من عمل حسنة تكون له فارقليط

---

(١) يمحقه، يبطله ويمحوه.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٠٩.
انظر: إنجيل متى، الإصحاح الحادي والعشرين، ٤٢ ــ ٤٤؛ والعهد الجديد ٣٣ ــ ٣٤؛ وإنجيل لوقا، الإصحاح العشرين، ١٧ ــ ١٨؛ والعهد الجديد ١٠٩.
(٢) في ك و ط (يا أخاي).
(٣) في ك و ط (وكان) بالواو.
(٤) في ك و ط (يؤمن).
(٥) انظر: رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الرابع، ١ ــ ٣؛ والعهد الجديد ٣٢٨.
(٦) هو شمعون المذكور ٢/٢٤٥. (رسالة دكتوراة). د. علي بن حسن بن ناصر.
(٧) بحثت في سفر شمعون في العهد الجديد، فلم أهتد إليه.

جيـد ــ أي حمد جيـد ــ وقولهم المشهـور في[1] تخـاطبهم: فـارقليط، وفارقليطان، ومـا زاد على الجميع ــ أي حمـد ــ ومِنْه كمـا نقول نحن: يدٌ ومِنَّة[2]. ومن قال: معناه المخلص، فيحتجون بأنها كلمة سـريانيـة، ومعنـاها: المخلص، وقـالـوا: هـو مشتق من قـولنـا: «راوف»[3] ويقـال بـالسريـانية «فـاروق» فجعل فـارق. قالـوا: ومعنى «ليط» كلمـة [4]تـزاد والتقدير كما يقال في العربية: رجـل هو، وحجـر هو، وبـدر هو، وذكـر هـو. قالـوا: وكذلـك[5] يزاد في السـريانيـة «ليط». والذين قـالـوا: هـو المعز، قالوا: هو في لسان اليونان[6]، المعز.

ويعترض على هذين القولين بأن[7] المسيح لم تكن لغته سـريانيـة ولا يونانية، بل عبرانية[8]. ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية، وتُرجم عنـه بلغة أخرى، كما أَمْلوا أحد الأناجيل باليونـانية[9]، والآخـر بالرومية[10]،

---

(١) في ك و ط (مخاطبتهم).

(٢) في ك و ط (يقول تحويد ومنه) وبعدها زيادة (هنا رويده يأتي بعد قوله: وواحد منهـا بقي عبـرانياً) وقـد وقفت طويـلاً أمام هـذه العبـارة حتى تمكنت ــ بحمـد الله ــ من حَلِّها.

(٣) هكــذا «راوق» راء فـألف فـواو فقـاف وفي ك (زار) وفي ط (حــار) وفي أكسفـورد (فاروق).

(٤) في ك و ط (يراد منها التثبت).

(٥) في ك و ط (يراد) بالراء المهملة.

(٦) هكذا في ك و ط وفي أ (اليوناني) وما في ك و ط أولى.

(٧) في ط (يان).

(٨) **العبرانية**: لغة اليهود، ويقال: عبرية. وهي من اللغات الثرية، أنـزل بها الله التـوراة والإنجيل.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١٣٩؛ ودائرة معارف وجدي ٦/٨٩.

(٩) في ك و ط زيادة (وآخر بالسريانية).

(١٠) **الرومية**: هي اللغة المنسوبة إلى جيل من ولد الروم من عيصو.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤١٦.

وواحـد[1] بقي عبـرانيـاً. * [2]وأكثـر النصـارى على أنـه المخلص، والمسيح نفسه يسمونه المخلص، وفي الإنجيل الذي بـأيديهم أنـه قال: «إني لم آت لأزين العالم، بل لأخلص العالم»[3] والنصارى يقـولون في صلاتهم لقد ولدت لنا مخلصاً» *.

وقد اختلف فيه، فمن[4] النصـارى من قال: هـو روح نزلت على الحواريين، وقد يقولون: إنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ، ففعلت الآيات والعجائب، ولهذا يقول من خبر[5] أحوال النصـارى: إنه لم ير أحداً منهم يحسن تحقيق مجيء هذا الفارقليط الموعود به.

منهم من يـزعم أنه المسيـح نفسـه، لكـونـه جـاء بعـد الصلب[6] بأربعين يوماً، وكونه قام من قبره[7]. وتفسيره بالروح بـاطل، وأبـطل منه

---

(١) في ك و ط زيادة (منها).

(٢) ما بين النجمتين ــ والذي يقارب الأسطر الثلاثة ــ ليس في ك ولا ط.
انظر: قاموس الكتاب المقـدس (عندهم) ٤٦٨؛ وراجـع الجواب الصحيـح (رسالـة دكتوراه) ٢/ ٨٠ ــ ٨٢ من طبعتنا هذه.
وانظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٥٦.

(٣) انظر: إنجيل متى، الإصحاح التاسـع عشر، ٢٣ ــ ٢٦؛ والعهـد الجديـد ٣٠، بما يقارب معناه.

(٤) هكذا في ك و ط، وفي أ (عن) والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(٥) خَبَر: أي علم، والاسم من الخُبْر.
انظر: مختار الصحاح ص١٦٨.

(٦) في ك (أربعين).
الصَّلْب: هـو تعليق الإنسان على صليب تنفيـذاً لحكم القتـل فيـه، وكـان يتم ذلـك بربط اليدين والرجلين بهذا الصليب، أو بصـورة أفظع وذلـك بتسمير أجـزاء الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية، وكانت هذه الطريقة معروفة لدى أمم كثيرة.
انظر: قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٥٤٥.

(٧) في أ كتب الناسخ جملة: (وهذا ضعيف) ثم شطبها.

تفسيره بالمسيح لوجوه:

منها: أن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب: أن روح القدس نزلت على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده، وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ[1] ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ . . . ﴾[2] .

وقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين ــ قال[3] : «اللهم أيده بروح القدس»[4]، وقال: «إن روح القدس معك ما زلت تنافح[5] عن نبيه»[6] .

وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطا دل على أن الفارقليط أمر غير هذا[7] . ــ وأيضاً ــ فمثل هذه ما زالت يؤيد بها الأنبياء

---

(١) **حاد الله ورسوله**: أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما.
انظر: صفوة التفاسير ٢٨/٣٤٣ م ٣.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
بروح منه: أي نصره وتأييده، لأن به يحيا أمرهم.
انظر: المصدر السابق ٢٨/٣٤٤ م ٣.

(٣) سقطت (قال) من ك و ط.

(٤) **روح القدس**: المراد به هنا جبريل ــ عليه السلام ــ .
انظر: فتح الباري ١/٥٤٨.

(٥) **تنافح**: أي: تكافح وتخاصم.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤١٠.

(٦) سبق تخريجه ٣/١٣٥. رسالة دكتوراة. د. عبد العزيز العسكر.

(٧) في ك و ط (هذه) بالتأنيث.

والصالحون[1] وما بشر به المسيح أمر عظيم، يأتي بعده أعظم من هذا.

ـ وأيضاً ـ فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا، وإنما تناسب رجلاً يأتي بعده نظيراً له، فإنه قال: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر، يثبت معكم إلى الأبد)[2]. فقوله: (فارقليطاً آخر) دل على أنه ثان لأولٍ كان قبله، ولم يكن معهم في حياة المسيح إلاَّ هو، لم تنزل عليهم روح، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيراً له[3]، ليس أمراً معتاداً يأتي للناس.

و ـ أيضاً ـ فإنه قال: (يثبت معكم إلى الأبد) وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم[4] إلى آخر الدهر. ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره، فعلم أن الفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد. وهذا يبين أن[5] الثاني صاحب شرع[6] لا ينسخ، بخلاف الأول. وهذا إنما ينطبق على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذي أخبر به، يشهد له، ويعلمهم كل شيء، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، وأنه يوبخ العالم على خطيئته[7] فقال: (والفارقليط الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل

---

(1) هكذا في ك و ط وفي أ (والصالحين) وهو سائغ إذا كان البناء للفاعل والأظهر ما في ك و ط ولهذا أثبتناه.

(2) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، ١٥ ـ ١٦؛ والعهد الجديد ١٤٢.

(3) أي: مثيله.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٦.

(4) في أ (معكم).

(5) في ك و ط زيادة (هذا).

(6) هكذا في ك و ط، وفي الأصل بياض بمقدار كلمة، ولعلها ما ثبت في ك و ط.

(7) في ك و ط (الخطيئة) بالتعريف.

شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم)[1].

وقال: (إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، [2]هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه)[3].

وقال: (إن خيراً لكم أن أنطلق، لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لي كلاماً كثيراً، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عند نفسه[4]، بل يتكلم بما يسمع، ويخبر[5] بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب)[6].

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح، لا تنطبق على شيء في قلب بعض الناس، لا يراه أحد ولا يسمع كلامه، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس إلى جميع الحق، وهو لا ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين.

وهذا لا يكون ملَكاً لا يراه أحد، ولا يكون هدى ولا علماً في قلب بعض الناس، بل لا يكون إلَّا إنساناً عظيم القدر، يخاطب الناس

---

(١) تقدم عزوه في ص ٢٨٤.

(٢) في ط ــ فقط ــ بالعطف (وهو) وفيها ــ أيضاً ــ سقطت ألف (أرسله).

(٣) تقدم عزوه في ص ٢٨٥.

(٤) في ك و ط (من عنده).

(٥) في ك و ط (يخبركم).

(٦) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، ٧ ــ ١٤؛ والعهد الجديد ١٤٥.

بما أَخبر به المسيح، وهذا لا يكون إلَّا بشراً رسولاً، بل يكون أعظم من المسيح، بَيَّن أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح[1]، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقه الرب، حيث قال: [2](إن لي كلاماً كثيراً، أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن إذا جاء روح الحق، ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما[3] يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب)[4].

وهذه الصفات لا تنطبق إلَّا على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وذلك أن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته، وعن ملكوته، وعن ما أعده الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل، ولهذا قال علي[5] ـ رضي الله عنه ـ: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟»[6].

وقال ابن مسعود: «ما من رجل يحدث قوماً[7] بحديث لا يبلغه[8]

---

(١) في ك و ط زيادة (من خطاب الناس في أمور عظيمة لا تحملها عقول أولئك).

(٢) في ك و ط زيادة (واو العطف).

(٣) في ك و ط (بكل).

(٤) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس عشر، ١٢ ـ ٢٤؛ والعهد الجديد ١٤٥.

(٥) هكذا في ك و ط وفي أ (عليه السلام) وما في ك و ط أولى، ولهذا أثبتناه.

(٦) رواه البخاري معلقاً، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم..، ١/٢٢٥، من فتح الباري، وليس فيه (ودعوا ما ينكرون) ولكن قال ابن حجر: وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له... (ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج.

(٧) في ك و ط (حديثاً).

(٨) في ك و ط (تبلغه).

عقـولهم، إلاَّ كان فتنـة لبعضهم»[1]. وسأل رجـل ابن عبـاس عن قـولـه ـ تعالى ـ :

﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ. . . ﴾[2].

قال: «ما يؤمنك أن لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت؟[3]، وكفرك بهـا تكذيبك بها»[4]. فقال لهم المسيـح ـ عليه السلام ـ : (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله)، وهو الصادق المصدوق في هـذا، لهـذا ليس في الإنجيـل من صفـات الله، وصفـات ملكـوتـه ومن صفات اليوم الآخر إلاَّ أمور مجملة، وكذلك التـوراة: ليس فيها من ذكـر اليوم الآخر إلاَّ أمور مجملة، مع أن موسى كان قـد مَهَّد الأمـر للمسيح، ومـع هذا فقـد قال لهم المسيـح: (إن لي كلامـاً كثيراً أريـد أن أقـولـه، ولكنكم لا تستطيعون حمله)، ثم قال: (ولكن إذا جاء روح الحق، ذلك الـذي يرشـدكم إلى جميع الحق)، وقـال: (إنه يخبـركم بكل مـا يأتي، ويعرفكم بجميع ما للرب).

فـدل هـذا على أن هـذا الفـارقليط، هـو الـذي يفعـل هـذا دون المسيح. وكذلك كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى أكمل الله له الدين، وأتم به النعمة، ولهذا كان خاتم الأنبياء، فإنه لم يبق شيء يأتي به غيره، وأخبـر محمد ـ صلَّى الله عليـه

---

(١) رواه مسلم بمثله، المقدمة، بـاب النهي عن الحديث بكـل ما سمـع، ١/١١ (٥)، كما أخرجه في كتاب جامع بيان العلـم وفضله ص ١٣٤، يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ـ ٤٦٣هـ، ط ١، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٣) في أ زيادة (أي لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت) ويظهر أنها تصرف من الناسخ.

(٤) هذه مجموع روايتين أخرجهما ابن جرير في جامع البيان ٢٨/١٥٣.

وسلَّم ــ بكل ما يأتي من أشراط[1] الساعة، والقيامة، والحساب[2]، والصراط[3]، ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، [4]ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك أمور كثيرة، لا[5] توجد لا في التوراة ولا في الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح: (إنه يخبر بكل ما يأتي).

ومحمد بعثه الله بين يدي الساعة، كما قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصابعه[6]، السبابة والوسطى»[7]. وكان إذا ذكر الساعة، علا صوته، واحمر وجهه، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش[8]. وقال:

---

(١) **أشراط**: علامات، مفرده: شَرَط، من باب ضرب.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٩٧.

(٢) **الحساب**: كناية عن المجازاة على الأعمال، إذ كانت ناشئة عنه. وقيل: كناية عن العلم، وقيل: عن القبول، وقيل: عن القدرة والوفاء.
انظر: البحر المحيط ٢/١٠٧.

(٣) **الصراط** ــ في اللغة ــ: الطريق الواضح، وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم، يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم. وهل هناك صراطان أو صراط واحد؟ رجح السيوطي أنه صراط واحد، والقنطرة: هي طرف الصراط مما يلي الجنة ــ نسأله ــ تعالى ــ دخولها.
انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرة المضية، في عقد الفرقة المرضية ٢/١٨٩ ــ ١٩٠ لمحمد بن أحمد السفاريني ــ ١١٨٨هـ، ط ٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ.

(٤) في ك و ط (فلهذا) بالفاء.

(٥) هكذا في ك و ط بالتاء، وأما في أ فبالياء والأول أولى.

(٦) في ط ــ فقط ــ (بأصبعيه).

(٧) سبق تخريجه ١/ ٤٢٠. رسالة دكتوراة. د. علي بن حسن بن ناصر.

(٨) رواه النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة ٣/١٨٨ ــ ١٨٩، بنحوه، وأصله عند مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/٥٩٢ (٨٦٧) =

﴿ إِنِّي نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقال: (أنا النذير العُرْيان)[2].

فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت[3] به نبي من الأنبياء، كما نعته به المسيح حيث قال: (إنه يخبركم بكل ما يأتي) ولا يوجد مثل هذا قط عن أحد من الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه

= بلفظ: (كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. . .).

(١) بعد هذا في أ جملة (وقال إنما مثلي ومثلكم) وفوقها إشارة إلى سقط، ولكن لا يوجد تتمة في الهامش.
سورة سبأ: الآية ٤٦.
الحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ٨/٥٠١ (٤٧٧٠) من فتح الباري، رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ـ تعالى ـ: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، ١/١٩٣ (٢٠٨).

(٢) رواه البخاري بمثله، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ١١/٣١٦، (٦٣٨٢) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على أمته. . . ٤/١٧٨٨ (٢٢٨٣).
النذير العريان: رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد امرأته، فانصرف إلى قومه فحذرهم، فضرب به المثل في تحقيق الخبر، وقيل: بل الأصل فيه: أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه، فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فرأوه عرياناً فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه، ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لنفسه ولما جاء به ـ مثلاً بذلك، لما أبداه من الخوارق والمعجزات، الدالة على القطع بصدقه، تقريباً لأفهام المخاطبين مما يألفونه ويعرفونه.
انظر: فتح الباري ١١/٣١٦ ـ ٣١٧.

(٣) في ك و ط (يخبر).

وسلَّم ـ[1]، فضلاً عن أن يوجد[2] شيء نزل[3] على قلب بعض الحواريين[4].

و ـ أيضاً ـ فقال: (ويعرفكم جميع ما للرب) فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات، وما له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، بحيث يكون ما يأتي به جامعاً لكل ما يستحقه الرب.

وهذا لم يأت به أحد غير محمد، حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة، هذا كله. ومعلوم أن ما نزل على الحواريين، لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه، بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون، وهذا الفارقليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح.

و ـ أيضاً ـ، [5]فالمسيح قال: (إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا، حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا

---

(١) ليس في أ ولا ك الجملة الدعائية.

(٢) في أ و ك زيادة (عن) ويبدو أنها ليست في محلها.

(٣) في ك و ط (ينزل).

(٤) يقول د. القس لبيب مشرقي: «إن الذي أضفى صفة القانونية على أسفار العهد القديم هم كتَّاب الأسفار أنفسهم، وقد شعروا وهم يكتبون بدافع من الروح القدس أنهم يكتبون قوانين الحياة للشعب، ثم أظهرت محتويات ما كتبوه صحة رأيهم وصوابه، فقد كان ما كتبوه قانوناً إلَهياً حقاً. وهناك رأي آخر يقول: إن الذي أعطى صفة القانونية لهذه الأسفار هم الكتاب المقودون بالروح القدس، ومعهم قادة الدين من اليهود والمسيحيين، الذين قبلوا هذه الأسفار بإرشاد الروح القدس ـ أيضاً ـ، وقد ذكر الكاتب المذكور ما يشابه ذلك بالنسبة للعهد الجديد. قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٤٦٧ ـ ٤٦٨. هذا قصارىٰ ما لدى أهل الكتاب من قيمة علمية لكتابهم: ظنون ومشاعر وآراء بشرية.

(٥) في ك و ط زيادة (أن).

فيه)[1]. فبين أنه أخبرهم[2] به ليؤمنوا[3] به إذا جاء ولا يشكوا[4] فيه، وأنه يشهد له، وهذه صفة من بشر به المسيح. ويشهد للمسيح كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ . . . ﴾[5].

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة، ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلاَّ محمد[6] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه أنذر جميع العالم[7]، من أصناف الناس، ووبخهم على الخطيئة: من الكفر والفسوق والعصيان، وبخ[8] جميع المشركين من العرب والهند والترك وغيرهم، ووبخ المجوس، وكانت مملكتهم أعظم الممالك، ووبخ أهل الكتابين: اليهود والنصارى، وقال في الحديث الصحيح عنه: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلاَّ بقايا[9] من أهل

(١) سبق عزو هذا النص ٥/ ٢٨٥.
(٢) في ك و ط (أخبركم).
(٣) في ك و ط (لتؤمنوا).
(٤) في ك و ط (تشكوا).
(٥) سورة الصف: الآية ٦.
(٦) في ط (محمداً) بالنصب، وهو عربي جيد، والأرجح عند البصريين والكوفيين الإتباع، إما على البدل أو عطف النسق.
انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣٠٨ ـ ٣٠٩.
(٧) في ك و ط (العالمين).
(٨) في ك و ط (ووبخ).
(٩) مقتهم: من المقت، وهو أشد البغض، والمراد بهذا المقت والنظر: ما قبل بعثة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨ م ٩.

الكتاب»[1]. لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي، بل وبخهم وقرَّعهم[2] وتهددهم.

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر أنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع. وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحي يسمعه، ليس هو شيئاً تعلمه من الناس، أو عرفه باستنباطه، وهذه خاصة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن المسيح ومن قبله من الأنبياء كانوا يتعلمون من غيرهم، مع ما كان يوحى إليهم فعندهم علم غير ما يسمعونه من الوحي.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم ينطق إلا بما يسمعه من الوحي، فهو مبلغ لما أرسل به، وقد قيل له:

﴿... بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾[3].

فضمن الله له العصمة إذا بلغ رسالاته، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق، وألقى إلى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه، خوفاً أن يقتلوه، كما يذكرون عن المسيح وغيره.

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده، وأنهم لا يطيقون حمله. وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم، إذا أخبرهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة... باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٧ (٢٨٦٥). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/١٦٢.

(٢) من التقريع: وهو التعنيف.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٣١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.
أي: يمنعك من أن ينالوك بسوء. وهذا وعد من الله بالحفظ والكلاءة.
انظر: صفوة التفاسير ٦/٣٥٥.

بحقائق الأمور. ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أيده الله تأييداً لم يؤيده لغيره، فعصمه من الناس، حتى لم يخف من شيء يقوله، وأعطاه من البيان والعلم، ما لم يؤته غيره، فالكتاب الذي بعث به فيه من بيان حقائق الغيب، ما ليس في كتاب غيره.

وأيد أمته تأييداً أطاقت[1] به حمل ما ألقاه إليهم، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة، ثم لم يحملوها، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح: (إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم، ولكن لا تستطيعون حمله)[2]. ولا ريب أن أمة محمد أكمل عقولاً، وأعظم إيماناً، وأتم تصديقاً وجهاداً. ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم.

وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم، قال ـ تعالى ـ:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن الله

---

(١) أي: قدرت عليه.
انظر: المصباح ص ٣٨١.

(٢) في ك و ط زيادة (وروي أن المسيح قال: جئتكم بالأمثال وهو يجيئكم بالتأويل).

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

قال: «قد فعلت»[1].

و ـ أيضاً ـ فإنه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له، وأنه يعلمهم كل شيء، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح، ومعلوم أن هذا لا يكون إلَّا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس، لا يكون هذا شيئاً في قلب طائفة قليلة. ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلَّا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق، حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته[2] عليه اليهود، وعما غلت[3] فيه النصارى، فهو الذي شهد له بالحق. ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد للمسيح قال لهم: (ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود).

وجعل الله أمة محمد شهداء على الناس، يشهدون[4] عليهم بما علموه من الحق، إذ كانوا وسطاً[5] ــــــــــــــــ

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الله ـ سبحانه ـ لم يكلف إلَّا ما يطاق ١/١١٦ (١٢٦).

(٢) أي: اختلقت عليه من الكذب.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٨٦.

(٣) من غلا في الأمر غلواً: إذا جاوز حده.
انظر: المصدر السابق ٣/٤١٤.

(٤) في أ و ك (يشهدوا) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٥) فسرت (وسطاً) بعدة تفاسير، فقيل: عدولاً، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين، قال أبو حيان: «وقد روى ذلك عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . . . وإذا صح ذلك عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجب المصير في تفسير الوسط إليه» وأقول: نعم قد ثبت ذلك عند البخاري مرفوعاً كما رواه في كتاب الاعتصام، باب: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» . . ١٣/٣١٦، من فتح الباري، قال الحافظ =

عـدلاً[1]، لا يشهدون ببـاطل، فـإن الشاهد لا يكون إلاَّ عدلاً[2] بخلاف من جار في شهـادتـه، فـزاد على الحق أو نقص منه، كشهادة اليهود والنصارى في المسيح.

و ــ أيضاً ــ فإن معنى الفـارقليط، إن كان هـو الحامـد أو الحمّاد أو الحمـد أو المعز، فهـذا الوصف ظـاهـر في محمـد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ فإنه وأمته، الحمادون، الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح[3] خطبته، ومفتاح صلاته ولما كان حمـاداً جوزي بـوصفه، فـإن الجـزاء من جنس العمـل، فكـان اسمـه محمـداً وأحمـداً[4]. وأمـا محمـد فهـو على وزن مكـرم ومُعَـظَّم ومقـدس[5]، وهو الـذي يحمد حمـداً كثيـراً مبـالغـاً فيـه[6]، ويستحق ذلك، فلما كان حماداً لله[7]، كان محمداً، وفي شعر حسان بن ثابت:

= ابن حجر: «هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من بعض الـرواة كما وَهَم فيـه بعضهم». فتح الباري ١٧٢/٨.
انظر: البحر المحيط ٤٢١/١.

(١) **العدل**: ما قام في النفوس أنه مستقيم.
انظر: ترتيب القاموس ١٧١/٣.

(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت جملة (إلاَّ عدلاً) من أ حيث أثبتناها من ك و ط.

(٣) مفتاح الشيء وفاتحته: أوله.
انظر: ترتيب القاموس ٤٤٣/٣.

(٤) ليس في أ كلمـة (أحمد) وقـد أثبتنـاهـا من ك و ط، حيث أن سيـاق الكـلام نـاقص بدونها.

(٥) سقطت كلمة (مقدس) من ك و ط.

(٦) في أ جاء اسم الجلالة المعظم بدل كلمة (فيه).

(٧) في ك و ط (فلما كان أحمد).

وشـق لـه مـن اسـمـه لـيـجـلـه		فذو العرش محمود وهذا محمد[1]

وأما أحمد، فهو أفعل التفضيل: أي[2] أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره، يقال هذا أحمد من هـذا، أي هذا أحق بـأن يحمد من هـذا، فيكـون فيه تفضيـل له على غيـره في كونـه محمـوداً[3]. فلفظ (محمـد) يقتضي فضله في الكميـة، ولفظ (أحمد) يقتضي[4] فضله في الكيفيـة. ومن الناس من يقول: أحمد، أي أكثر حمداً من غيره. فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد.

وقـال من رجح أن معنى الفـارقليط في لغتهم هو الحمـد ــ كما تقدم ــ: فإذا[5] كان كذلك فهو ما جاء في القرآن:

﴿... وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ...﴾[6].

---

(١) شق له: من الشق وهو نصف الشيء، أو النـاحية من الشيء. ليجله: أي ليعـظمه، من الجلال.
انظر: مختار الصحاح ٣٤٣ و١٠٧.
البيت من ثاني الطويل، مطلق مجرد موصـول، والقافيـة متدارك، والقصيـدة لحسان يمدح النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أولها:
أغـر عـليـه لـلـنـبـوة خـاتـم		مـن الله مشـهـود يـلوح ويـشـهـد
والبيت المذكور ليس لحسان، وإنما هو لأبـي طالب، وقد ضمنه حسان شعره.
انـظر: شرح ديـوان حسان بن ثـابت الأنصاري ٧٨، وضعـه وضبـطه عبـد الـرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية بمصر، ١٣٤٧هـ ــ ١٩٢٩م. والسيـرة النبويـة لابن كثير ٢١١/١.

(٢) سقطت (أي) من أ و ط.
(٣) في ك و ط (محمداً).
(٤) في أ بياض بمقدار كلمة، وظاهرٌ أن ما أثبتناه من ك و ط هو المقصود.
(٥) في ك و ط (وإذا) وقد كانت العبارة مستغلقة تماماً.
(٦) سورة الصف: الآية ٦.

قالوا: ولا شك عندهم أنه اسم مشتق من الحمد، مثل ما نقول في لغتنا: ضارب ومضروب. وأما من فسره بالمعز، فلم يعرف ـ قط ـ نبي أعز أهل التوحيد لله والإيمان كما أعزهم محمد، فهو أحق باسم المعز من كل إنسان.

وأما معنى المخلِّص. فهو أيضاً ظاهر فيه، فإن المسيح هو المخلص الأول، كما ذُكِر في الإنجيل، وهو معروف عند النصارى أن المسيح ـ صلوات الله عليه ـ [1]سمي مخلِّصاً، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول، وقد بشر بفارقليط آخر، فإنه قال: (وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخراً، يثبت معكم إلى الأبد[2]). فهذه[3] بشارة بمخلص ثان يثبت معهم إلى الأبد، والمسيح هو المخلص الأول. وأما ما ينزل في القلوب، فلم يسمه أحد مخلصاً، ولا فارقليطاً، فلا[4] يجوز أن يفسر كلام المسيح إلَّا بلغته ومعانيه المعروفة[5]، التي خاطب بها، وكذلك سائر الأنبياء، بل[6] وسائر الناطقين.

وقد وصف هذا المخلِّص الثاني بأنه يثبت معهم إلى الأبد. ومحمد هو المخلص الذي جاء بشرع باقٍ إلى الأبد، لا ينسخ.

و ـ أيضاً ـ فإن في الإنجيل: إنجيل يوحنا، أن المسيح قال: ([7]أركون العالم سيأتي،

---

(١) في ك و ط زيادة (قد).

(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ١٥ ـ ١٦، العهد الجديد ١٤٢.

(٣) في ك (فهذا) هكذا، وفي ط (فهذا).

(٤) في ك و ط (ولا).

(٥) في ك و ط زيادة (في لغته).

(٦) (بل) زيادة من ك و ط، وإثباتها جيد.

(٧) في ك و ط زيادة (إن).

وليس لي شيء)[1].

وقد ذكروا أن الأركون بلغتهم العظيم[2] القدر، والأراكنة؛ العظماء، وقد كانوا يقولون عن المسيح: (إن أركون الشياطين يعينه) أي عظيم الشياطين. وهو من افتراء اليهود على المسيح. فقول المسيح ـ عليه السلام ـ: «أركون العالم» إنما ينطبق على عظيم العالم، وسيد العالم، وكبير العالم. وقد أخبر أنه سيأتي، فامتنع أن يكون هذا الأركون المسيح أو أحداً مثله. ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم وأطاعه العالم، غير محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا من بشارة المسيح به.

وقد سئل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: ما كان أول أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور، أضاءت له قصور الشام»[3].

وبالجملة، فمعلوم باتفاق أهل الأرض[4]، أنه لم يأتِ بعد المسيح من ساد العالم، باطناً وظاهراً، وانقادت له القلوب والأجساد، وأطيع في

---

(١) ونصه في الترجمة الحالية: «لا أتكلم معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء».
انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر ٣٠؛ والعهد الجديد ١٤٣.

(٢) في ط (عظيم).

(٣) في ك و ط زيادة (ببصرى).
مسند الإمام أحمد ٥/٢٦٢، وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه... وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان».
انظر: مجمع الزوائد ٨/٢٢٣. وأخرجه ابن إسحاق، كما في السيرة لابن هشام ١/١٧٥.

(٤) في ك و ط زيادة (والاضطرار).

السر والعلانية، في محياه وبعد مماته، في جميع الأعصار، وأفضل الأقاليم شرقاً وغرباً[1]، غير محمد، فإن الملوك يطاعون ظاهراً لا باطناً، ولا يطاعون بعد موتهم، ولا يطيعهم أهل الدين طاعة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة، ويخافون عقاب الله في الدار الآخرة، بخلاف الأنبياء.

ومحمد[2] أظهر دين الرسل قبله، وصدقهم، ونوه بذكرهم وتعظيمهم، فبه آمن بالأنبياء والرسل ـ قبل[3] موسى والمسيح وغيرهما ـ أمم عظيمة، لولا محمد لم يؤمنوا بهم. ومن كان يعرف هؤلاء من أهل الكتاب، كانوا مختلفين فيهم[4] كاختلاف أهل الكتاب في المسيح، وكانوا يقدحون في داود وسليمان وغيرهما، بما هو معروف عندهم.

و ـ أيضاً ـ فإنه ذكر لهم من الرسل ما لم يكونوا يعرفونه، مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صدق المسيح في أخباره، بأنه أركون العالم، فقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر. آدم فمن دونه تحت لوائي، أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا»[5].

وهو صاحب لواء الحمد، وهو صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون يوم القيامة، فهو سيد العالمين حقاً، وهذا

---

(١) في ك و ط زيادة (أحد).
(٢) سقطت واو العطف في ط.
(٣) في ك و ط (مثل).
(٤) في ك و ط (فيه).
(٥) سبق تخريجه ١/ ٤١٠ من طبعتنا هذه. رسالة دكتوراه.

مطابق لقول المسيح: (إنه أركون العالم) فهو أركون الآخرين في الدنيا والآخرة، وهو أركون الأولين والآخرين في الآخرة.

وقول المسيح: (إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء) تضمن الأصلين: إثبات الرسول، وإثبات التوحيد، وأن الأمر كله لله، وهو تحقيق شهادة: أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله. وقول المسيح: (ليس لي شيء) تنزيه له مما نسب إليه من الربوبية[1]، وهذا النفي يشترك فيه جميع الخلق، قال الله ــ تعالى ــ لمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ...﴾[3].

وقال:

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ (أي ملجأً وملاذاً)[4]. إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[5].

---

(١) الربوبية: نسبة إلى الرب ــ على غير قياس في اللغة ــ والمقصود: هو إشراك المسيح في بعض صفات الرب ــ سبحانه ــ من قبل النصارى.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٨٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٤) انظر: البحر المحيط ٨/٣٥٣.

(٥) سورة الجن: الآيات ٢١ ــ ٢٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[1].

و ـ أيضاً ـ ففي نبوة أشعياء أنه وصف محمداً بأنه أركون السِّلم[2]، والسَّلم[3] والسلام: الإسلام[4]، فهو يبين أنه سيد دين الإسلام. ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه، وانتشر ذكر[5] دين الإسلام في الأرض، كما ظهر لمحمد، فمحمد أركون الإسلام الذي يجمع كل خير وبر، كما أن إبليس أركون الشر، قال ـ تعالى ـ : عن نوح:

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢) ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٢) وهو في الترجمة الحالية كما يلي: «أيها العطاش جميعاً، هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة، تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً، لماذا تَزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع، استمعوا إليَّ استماعاً، وكلوا الطيب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم، أميلوا آذانكم، وهلموا إلي، اسمعوا فتحيا أنفسكم، أقطع لكم عهداً أبدياً، مراحم داود الصادقة، هو ذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب.
انظر: سفر أشعياء، الإصحاح الخامس والخمسون ١ ـ ٥؛ والعهد القديم ٨٣٦.

(٣) في ك بدون واو.

(٤) في أ سقطت كلمة (الإسلام)، وهي ضرورية لاستقامة المعنى، وفي ك بعطف (الإسلام) وهو خلل أيضاً، ولذلك أثبتنا ما في ط.

(٥) في ك و ط (ذكره من بينهم).

(٦) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

=

فهذا نوح: أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، يَذْكُر أنه أُمر أن يكون من المسلمين.

وقالت السحرة ــ لما أسلموا ــ وأراد فرعون قتلهم ــ:

﴿... رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا[1] وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾[2].

وقال:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ...﴾[3].

وقال:

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾[4].

= **أجمعوا أمركم وشركاءكم**: أي فاعزموا أمركم وادعوا شركاءكم، ودبروا ما تريدون لمكيدتي. **غمة**: مستوراً. **اقضوا إلي**: أنفذوا ما تريدونه في أمري. **تنظرون**: تؤخرون.

انظر: صفوة التفاسير ١١/٥٩٢ م ١.

(١) أي: أفض علينا صبراً يغمرنا.

انظر: صفوة التفاسير ٩/٤٦٥ م ١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١١.

في ك و ط زيادة قوله ــ تعالى ــ:

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله، آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول، فأكتبنا مع الشاهدين﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ٥٢، ٥٣].

فإن قيل: فقد سمى المسيح الفارقليط روح الحق، وسماه روح القدس. وقال ــ تعالى ــ عن إبراهيم:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[2].

وقالت بلقيس:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

قيل: قد قال يوحنا في كتاب، أخبار الحواريين المسمى (افراكسيس)[4]: (يا أحبابي، إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله من غيرها، واعلموا أن كل روح تؤمن[5] بأن

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١٣٠ ــ ١٣٢.
سفه نفسه: أي استخف نفسه وامتهنها. اصطفيناه في الدنيا: أي اخترناه من بين سائر الخلق بالرسالة والنبوة والإمامة.
انظر: صفوة التفاسير ٩٦/١ م ١.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٤) في ك و ط: (يومين).
سألت د. صابر طعيمة عن هذا الاسم، فأفادني: أنه ربما كان مأخوذاً من كلمة (فرين) الآرامية، والتي تعني: الصفاء والنقاء، ومن ذلك سميت طائفة (الفريسيون) من النصارى بعد ما حورت الكلمة قليلاً. مكالمة هاتفية يوم ١٤٠٦/٦/٢٥هـ.

(٥) في ك و ط (يؤمن).

يسوع المسيح قد جاء، فكان جسدانياً[1] فهي من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأن المسيح[2] جاء، وكان[3] جسدانياً، فليست من عند الله، بل من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم)[4].

وإذا كان كذلك علم أن الروح ــ عندهم ــ يتناول النبي المرسل ــ من البشر ــ ، وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد، هو روح القدس، وهو روح الحق كما قال ــ تعالى ــ :

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ . . .﴾[5].

وقال:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ . . .﴾[6].

وقال:

﴿. . . مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾[7].

وهذا الروح إنما جاء بمجيء محمد، والكلام الذي نزل به، هو

---

(١) انظر: مادة (جسد) في قاموس الكتاب المقدس (عندهم) ٢٦٠ ــ ٢٦١.

(٢) في ك و ط زيادة (قد).

(٣) في ط (فكان).

(٤) نص الترجمة الحالية: «أيها الأحباء: لا تصدقوا كل روح. بل امتحنوا الأرواح، هل هي من عند الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح، الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم».
انظر: رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الرابع، ١ ــ ٣؛ والعهد الجديد ٣٢٨.

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٦) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣ ــ ١٩٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ٩٧.

الذي بلَّغه محمد، ولهذا قال الله ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ . . . ﴾[1] .

فاصطفى الله جبريل من الملائكة، واصطفى محمداً من البشر، ولهذا يضاف[2] القول الذي هو القرآن إلى قول[3] هذا تارة[4]، وإلى قول هذا تارة، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ[5] مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[6] .

فهذا الرسول هنا جبريل: وقال ــ تعالى ــ في[7] الآية الأخرى:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[8] .

فهذا الرسول هنا محمد، وأضافه إلى كل منهما بلفظ الرسول: لتضمنه أنه بلغه عن مُرْسِله، لم يقل: «إنه لقول ملك، ولا نبي» بل كفَّر من قال: إنه قول البشر، كما ذكر[9]

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٢) في ك و ط (يشير).

(٣) في ك و ط (نزول)، وفي أ كتب كلمة (نزول) ثم شطبها وأبدلها بـ (قول).

(٤) **التارة**: الحين والمرة.
انظر: ترتيب القاموس ١/٣٨٥.

(٥) أي: عظيم المكانة شريف المنزلة.
انظر: البحر المحيط ٨/٤٣٤.

(٦) سورة التكوير: الآيتان ٢٠، ٢١.

(٧) ليس في ك ولا ط (الآية).

(٨) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٤٣.

(٩) الضمير المستتر هنا يعود إلى الباري ــ عز وجل ــ .

ذلك عن الوحيد[1]، وقد قال ـ تعالى ـ في القرآن:

﴿. . قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ . . .﴾[2].

ومعلوم أن الرسول نفسه لم يُنْزَل[3]، بل أبدل الرسول من الذكر، لأن الرسول جاء بالذكر.

ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذكر المنزل أموراً[4] متلازمة، يلزم من ثبوت واحد، ثبوت الآخرين، ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين، فيلزم من كون القرآن حقاً: كون جبريل ومحمد حقاً، وكذلك يلزم من كون محمد حقاً: كون جبريل والقرآن حقاً، ويلزم من كون جبريل حقاً: كون القرآن ومحمد حقاً.

ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة[5]، والكتب والرسل في مثل قوله:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ . . .﴾[6].

---

(١) **الوحيد**: هو المشار إليه في قوله ـ سبحانه ـ:
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ [سورة المدثر: الآية ١١].
وهو الوليد بن المغيرة، وذلك في دار الندوة لمشركي أهل مكة.
انظر: جامع البيان للطبري ٢٩/١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) سورة الطلاق: الآيتان ١٠، ١١.

(٣) في ط (ينزله) بالهاء.

(٤) في أ (أمور) بغير النصب. والصحيح ما أثبتناه من ك و ط.

(٥) من هنا سقط من ك و ط بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

فتعليم محمد وتذكيره وشهادته هو تعليم روح القدس وروحه، والأخبار بأن المَلَك ينطق على لسان البشر، أو الجني ينطق على لسان البشر: كثير، كما في حديث ابن عمر: «كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر»[1]، ويقال: ما ألقى هذا على لسانك إلاَّ الشيطان» ويكون مع هذا البشر ينطق بقدرته واختياره، ليس هو كالمصروع[2] الذي يتكلم الجني على لسانه وهو لا يدري ما يقول، فلهذا يقال: هذا قول الرسول البشري، وهو قول الرسول الملكي.

ويقال: الفارقليط روح الحق وروح القدس يشهد لي وهو

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/١٠٦، عن وهب السؤالي قال: خطبنا علي ـ رضي الله عنه ـ فقال: مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين! قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنه ـ، وما يبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال الهيثمي في الزوائد ٩/٦٦ ـ ٦٧، وعن طارق بن شهاب قال: «كنا نتحدث أن السكينة تنزل على لسان عمر»، رواه الطبراني ورجاله ثقات، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن صالح، كاتب الليث، وقد وثق، وفيه ضعف، وأخرجه أحمد ـ أيضاً ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ: «ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر». وذلك من طريقين، أحدهما حسن، والآخر صحيح.
انظر: فضائل الصحابة ٣٥٨ (٥٢٣ ـ ٥٢٤) لأحمد بن حنبل ـ ٢٤١هـ، ت: محمد عباس، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٢) الصَّرع: صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية. وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك «بقراط» في بعض كتبه زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٨٤ لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ ٧٥١هـ، ط ١، المطبعة المصرية بمصر ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م.

يعلمكم، وهو يذكركم، ونحو ذلك، فإن الفارقليط يتضمن ذكر جبريل ومحمد جميعاً، وقول أحدهما هو قول الآخر، ومعروف في اللغة بدل الاشتمال كقوله:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ [1] ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ . . . ﴾[2].

والشهر: ليس هو نفس القتال، لكن لما اشتمل على القتال أبدل أحدهما من الآخر، وقوله:

﴿ . . . قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا . . . ﴾[3].

ومن هذا النمط[4] أبدل الرسول من الذكر لاشتماله عليه، وهذا: الثاني اشتمل على الأول، والرسول البشري كان الرسول الملكي يتصل به في الباطن، فيثقل عليه الوحي حين ينزله.

وفي الصحيحين عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن الحارث بن هشام قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وَعَيْت[5] ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول، قالت عائشة:

---

(١) الألف واللام في كلمة (الشهر) للعهد، وهو شهر رجب ــ اتفاقاً ــ ويحتمل أن تكون للجنس فيراد به الأشهر الحرام: وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. وسميت حرماً لتحريم القتال فيها.
انظر: البحر المحيط ٢/١٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٣) سورة الطلاق: الآية ١١.

(٤) **النمط**: يطلق اصطلاحاً على الصنف والنوع.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢٦.

(٥) أي: حفظته وعرفته.
انظر: جامع الأصول ١١/٢٨٢.

ولقد رأيته ينـزل عليه في الـيـوم الشديـد البرد فيفصم عنـه وإن جبينه[1] ليتفصد[2] عرقاً»[3].

والفصم: الفـك والفصل من الأمـور اللينـة[4]، كمـا قـال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

وبالقاف: هو الكسر الذي يكون في الأمور الصلبة.

فبين أن الملك حين ينزل الوحي عليـه يتصل بـه، ويلتبس به[6]، ثم بعد ذلك ينفصل عنه وينفك عنه، وهذا الاشتمال والانفصال أبلغ من غيره، فيحسن معه أن يكون إبدال أحـدهما من الآخـر أحسن من غيره. فيقال: هذا القرآن بلغه الرسول النبـي، وبلغـه جبريـل عن الله، ونظائـر هذا متعددة في جميع بشارات المسيح. يذكـر أن الأب وهو في لغتهم: الله الـذي يـرسـل الفـارقليط. وفي بعضهـا قـال: «أنـا أطلب من الأب

(١) **الجبين**: ناحية الجبهة، من محاذاة النزعة (موضع انحسار الشعر عن جانبـي الجبهة) إلى الصـدغ (مـا بين العين إلى أصـل الأذن)، وهمـا جبينـان، عن يمين الجبهـة وشمالها، فتكون الجبهة بين جبينين.
انظر: المصباح المنير ص ٩٠.

(٢) مأخوذ من الفصد، وهو قطع العِرْق لإسالة الدم. شبه جبينه بالعِـرْق المفصود مبـالغة في كثرة العرق.
انظر: فتح الباري ١/ ٢١.

(٣) الحديث رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: حـدثنا عبـد الله بن يوسف. . . ، ١/ ١٨، ومسلم، كتـاب الفضائـل، باب عـرق النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في البرد وحين يأتيه الوحي، ٤/ ١٨١٦ (٢٣٣٣) بمعناه.

(٤) انظر: فتح الباري ١/ ٢٠ ــ ٢١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٦) هكذا (يلتبس به). واللفظ الأنسب هنا (يتلبس).

يعطيكم فارقليطاً آخر، يثبت معكم إلى الأبد»، وفي بعضها: «والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء» فقد بين أن الله يرسله، وأنه يطلب من الله أن يرسله.

وأما قوله: في بعض الألفاظ: «فإذا انطلقت أرسلته إليكم» فيكون معناه: إني أرسله بدعاء أبي، وطلبي منه أن يرسله. كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولاً أو يولي نائباً أو يعطي أحداً، ويقول: أنا أرسلت هذا ووليت هذا وأعطيت هذا، أي: كنت سبباً في ذلك. ومما ينبغي أن يعلم أن الله إذا قضى ما يُكوِّن الشيء فإنه يقدر له أسباباً يكون بها، ومن تلك الأسباب دعاء طائفة من عباده به، فيكون في ذلك من النعمة في إجابته دعاء هذا وهذا وهذا.

ومحمد دعا به الخليل ــ عليه السلام ــ فقال:

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1].

مع أن الله قد قضى بإرساله وأعلن باسمه قبل ذلك، كما قيل له يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[2] وقال: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل[3] في طينته»[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

(٢) سبق تخريجه ٣/ ٣٨٠. رسالة دكتوراة. د. عبد العزيز العسكر.

(٣) منجدل: أي ملقى بالجدالة وهي الأرض.
انظر: اللسان ١١/ ١٠٤ ــ مادة: جدل.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ ــ ١٢٨. من طرق بألفاظ، كلها عن عرباض بن سارية بلفظ: (إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم...) الحديث، وبلفظ (وخاتم) وبلفظ (إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين...) الحديث، وأورده =

وهذا كما أن الله قضى بنصره يوم بدر، ومن أسباب ذلك استغاثته بالله، وكذلك بما يقضيه من إنزال الغيث يكون من أسبابه دعاء عباده له، ونظائره كثيرة. فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل محمداً، ويكون هذا من أسباب إرساله، لكن إبراهيم سأل في الدنيا، فذكر الله ذلك، بخلاف سؤال المسيح، فإنه كان بعد صعوده إلى السماء.

• • •

= الهيثمي بلفظ (عند الله) بالنون، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه. . . وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوائد ٨/٢٢٣. كما أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين. . .، ٢/٦٠٠، بلفظ (في أول الكتاب. . .)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

فصل

براهين قرآنية مستقلة، على نبوته ﷺ

والقرآن ــ نفسه ــ قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعاً متعددة، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين، مثال ذلك: إخباره لقومه بالغيب الماضي، الذي لا يمكن بشراً أن يعلمه، إلاَّ أن يكون نبياً، أو يكون ممن تلقاه عن نبي. وقومه يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، ولا من أهل الكتاب ولا غيرهم. وهذا نوعان:

منه: ما كان يسأله عنه المشركون وأهل الكتاب، لِيُنْظر هل هو نبي أم لا؟.

وكان قومه يرسلون إلى أهل الكتاب، البعيدين عنهم، مثل من كان بالمدينة وغيرها من أهل الكتاب، يطلبون منهم ما يسألونه عنه، فيرسلون إليهم ليسألوه عن ذلك، ويمتحنون بذلك هل هو نبي أم لا.

ومنه: ما كان الله يخبره به ابتداء، ويجعله علماً وآية لنبوته، وبرهاناً لرسالته، مع ما في ذكر هذه القصص من الاعتبار لأمور أخرى، فكان كل من هذين[1] النوعين دليلاً وعبرة على نبوته، من طريقين، فكان دليلاً وعبرة على نبوته من جهة إخبار بالغيب، الذي لا يعلمه إلاَّ نبي، وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين، التي توجب اتباع سبيل المؤمنين، الذين اتبعوا مثله، وتَجَنُّب سبيل الكافرين، الذين خالفوا مثله، وحكم الشيء حكم

(١) رَسْمُها هكذا (هذى) وقد صوبتها.

نظيره. فإذا كان من كان مثله ومثل من اتبعه سعيداً، وحال من خالف مثله ومثل من اتبعه شقياً، كان في هذا دلالة وعبرة توجب اتباعه، وتنهى عن مخالفته، وهذا ـ أيضاً ـ دليلًا[1] على نبوة من قبله من[2] الأنبياء من وجهين: من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به، من غير مواطأة[3] بينهم وبينه، ولا تشاعر[4]، لم يأخذوا عنه، ولم يأخذ عنهم.

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصّلة، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلَّا بتواطىء، فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة، علم أن كلًا من المخبِرَيْن صادق، قال ـ تعالى ـ :

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾[5].

وقص قصته في السورة، إلى أن قال:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ[6] ۝١٠٢ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣ وَمَا تَسْأَلُهُمْ

---

(١) هكذا، وربما يكون هذا خطأً نحوياً، أو على توجيه بعيد. وأن تكون (دليل) بالرفع، أقرب.
إلى هنا انتهى السقط من ك و ط الذي بمقدار صفحتين أو أكثر.

(٢) في ك و ط زيادة (من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة، فكان الأمر كما أخبروا، وهذا آية لنبوتهم. وإخبارهم بنبوته دليل على نبوته، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره دليلًا على نبوة من قبله وعلى نبوته. وكما أن إخباره هو ـ أيضاً ـ عنهم ـ مع بعد العهد ـ خبراً لم يتعلمه من بشر، دليلًا على نبوته، وقد أخبر بنبوتهم، فثبتت نبوته ونبوتهم ـ صلَّى الله عليهم أجمعين ـ. الجهة الثانية:) ويتفقان مع أ من هنا في قوله: (أنهم أخبروا عنه).

(٣) **المواطأة**: ـ على الأمر ـ أي الموافقة.

(٤) **والتشاعر**: من: أشعره فشعر، أي أدراه فدرى.
انظر: مختار الصحاح ص ٧٢٧ و ٣٣٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ٧.

(٦) **يمكرون**: أي عندما تآمروا على أخيهم واحتالوا عليه وعلى أبيه.
انظر: صفوة التفاسير ١٣/ ٦٩.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ [١] فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

إلى قوله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ [٢] مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[٣].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[٤].

---

(١) أي: كم من العلامات الدالة على وجود الله ـ جل وعلا ـ ووحدانيته الكائنة في السموات والأرض، كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأشجار، وسائر ما فيهما من العجائب. المصدر السابق والموضع نفسه.

(٢) أي: عظة وتذكرة لأولي العقول النيرة. و (ما كان حديثاً يفتري)، أي: ما كان هذا القرآن أخباراً تروى أو أحاديث تختلق.
انظر: المصدر السابق ١٣/٧٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٤) سورة الكهف: الآية ٨٣.

وقال:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

وقال:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ[2] كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ لما قص قصة نوح من سورة هود، وهي أطول

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٢) بقرب البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له: الرقيم، ويزعم بعضهم: أنهم ببلاد الروم. قالوا: هو لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم وأسماؤهم ودينهم ومم هربوا. والكهف المذكور الذي فيه أصحاب الكهف: بين عمورية ونيقية، وبينه وبين طرسوس مسيرة عشرة أيام أو أكثر ـ (حسب سير القدماء) ـ وروى عن ابن عباس: أصحاب الرقيم سبعة، وأسماؤهم: يمليخا، مكسملينا، مشلينا، مرطونس، دبريوس، سرابيون، إفستطيوس. واسم كلبهم: قطمير، واسم ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم التي خرجوا منها، أفسس، ورستاقها (ناحيتها): الرس. واسم الكهف: الرقيم، وقيل غير ذلك في أسمائهم.
انظر: معجم البلدان ٣/٦٠ ـ ٦١.
هذا وقد ذكرت جريدة (المسلمون) اللندنية في عددها ذي الرقم ١٠٩ الصادر في يوم ١٤٠٧/٧/٧هـ أن باحثاً مسلماً هو (محمد تيسير ظبيان) أردني الجنسية، اكتشف مكان الكهف، واسمه (الرجيب) ويبعد عن مدينة عمان سبعة عشر ١٧ كلم، وهذه التسمية (الرجيب) إنما هي (الرقيم) وهي قرية صغيرة يقيم بها أناس من قبيلة (الشوابكة) وقد تم إجراء حفريات بهذا الكهف ووجدت به ثمانية قبور ومجموعة من الأثريات، ويؤكد هذا الباحث أن الزعم بأن الكهف يوجد في (أفسس) زعم باطل لا أساس له، وأن السبب فيه هو أن المؤرخين ورجال الكنيسة يصرون على أن (أفسوس) هي التي يوجد بها الكهف لأنها كانت عندهم من أهم المراكز الرئيسة للدعوة النصرانية، وقبل ذلك كانت للبوذية.

(٣) سورة الكهف: الآية ٩.

ما قصه في قصة نوح ـ [1]:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ [2] لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾[3].

فذكر ـ سبحانه ـ أن هذا الذي أوحاه إليه[4] من أنباء الغيب، ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا. فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك، لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر [5] إلَّا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون ـ أيضاً ـ أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم، وهم لا يعلمون ذلك، صار هذا حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر قومه. ومثل[6] ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه[7].

وأخبرهم عن قصة[8] نوح[9]، ومكثه فيهم ألف سنة إلَّا خمسين

---

(١) في ك (ما قصه في القرآن من قصة نوح) وفي ط (ما قصه الله في القرآن من قصة نوح).

(٢) **العاقبة**: آخر كل شيء.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٢٦٨.

(٣) سورة هود: الآية ٤٩.

(٤) هكذا في ط، وفي أ و ك (إليك) وضمير الغيبة أنسب نظراً لما بعده.

(٥) **يعاشر**: أي يخالط.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٣٤.

(٦) في ك و ط زيادة (هذا).

(٧) في ط (زوجته).

(٨) سقطت كلمة (قصة) من ك و ط.

(٩) في ك و ط زيادة (ودعاؤه على قومه).

عاماً، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب: مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده.

وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان[1]، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذهاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل[2] مع بنيه، كقصة يوسف وما جرى له بمصر، وقصة موسى مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته كالعصا واليد البيضاء، والقمّل والضفادع والدم، وفلق[3] البحر وتظليل الغمام[4] على بني إسرائيل، وإطعامهم المنّ والسلوى[5]، وانفجار الماء من الحجر اثني عشر عيناً لسقيهم، وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم[6]، وقصة داود، وقتله لجالوت[7]، وقصة الذين خرجوا

---

(١) **جمع**: ضيف، مثل: ضيوف، وهم الذين ينزلون بدار غيرهم.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٦.

(٢) في ك و ط (يعقوب).

(٣) **الفلق**: من باب ضرب، هو الشق.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١١.

(٤) **الغمام**: السحاب الأبيض، الواحدة: غمامة. ظللوا به ليقيهم حر الشمس.
انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣٤.

(٥) **المن**: الظاهر ــ والله أعلم ــ أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس فيه عمل ولا كد. والسلوى: طائر مثل الحمام.
انظر: المصدر السابق ١/١٣٨.

(٦) أي: رفعته الملائكة فوق رؤوسهم.
انظر: المصدر السابق ٣/٤٩٩.

(٧) هو ملك العمالقة، قتله داود ــ عليه السلام ــ، حيث قذفه في القتال بأحجار معه، فوقع الحجر بين عينيه، فثقب رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ =

من ديارهم[1] وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام، ثم بعثه، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل.

إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى، وعيسى بن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك، وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار، مفصلة مبينة بأحسن بيان، وأتم معرفة، مع علم قومه، الذين يعرفون أحواله، من صغره إلى أن ادّعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم.

فكان[2] هذا من أعظم[3] الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلَّا نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو[4] أخذه عن نبي، تعيّن أن يكون نبياً.

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر، من طرق:

أحدها: أن قومه المعادين له، الذين هم من أحرص الناس على

= منه إلى غيره فانهزم عسكر جالوت ــ بإذن الله ــ.
انظر: الكامل ١/١٢١ ــ ١٢٤.

(١) سقطت (من ديارهم) من أ.
(٢) في ك و ط (كان).
(٣) في ك و ط (عظيم).
(٤) في ك و ط زيادة (قد).

القدح في نبوته، مع كمال علمهم ــ لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر ــ لطعنوا عليه[1] بذلك وأظهروه، فإنهم ــ مع علمهم ــ بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان، ومع حرصهم على القدح[2] فيه، يمتنع أن لا يقدحوا فيه، ويمتنع أن لا يظهر ذلك.

الثاني: أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون: أنه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك.

الثالث: أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب ــ مع عداوته لهم[3]ــ ، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك، لنقل ذلك وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله[4].

الرابع: أنه حيث بعث، كان الناس إما مشركاً، وإما كتابياً، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه. وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين ــ من قريش وغيرهم ــ لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه وكذبوه، فلو كان فيهم من علّمه، أو يعلم أنه تعلّم من غيره، لأظهر ذلك.

الخامس: أن مثل هذا لو كان، فلا بد أن يعرفه ــ ولو خواص الناس ــ ، وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك

---

(١) أي: ضربوه ووخزوه بالقول.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٧٩.

(٢) **القدح**: الطعن.
انظر: المصدر السابق ٣/٥٦٧.

(٣) أي: بعد قيام دولته وعلو شأنه وامتناعهم عن الاستجابة لدعوته.

(٤) في ط فقط (نقلها).

يشيع، ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية[1]، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن، كما عرف في مثل ذلك.

فكيف، وكان أخص أصحابه، وأعلمهم بحاله، أعظمهم محبة وموالاة؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن.

فإنه علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق، يعلمون[2] أنه لم يكن عندهم بشر يعلمه مثل هذا، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا.

علم الناس ما علمه قومه[3] أن هذا[4] أنبأه به الله، وكان هذا من أعلامه[5] وآياته وبراهينه، وهذا مما يبين[6] الله في القرآن أنه من آياته، وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم، وفرط[7] عداوتهم له، لم يمكن أحداً منهم أن يقول له: بل فينا من كان يعلم ذلك، وأنت كنت تعلم ذلك، وقد تعلمته منا أو من غيرنا. فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم،

---

(١) في ك و ط (نظائر ذلك).
(٢) في ك و ط (يخبرون).
(٣) في ك و ط زيادة (من).
(٤) في ك و ط زيادة (إنما).
(٥) جمع علامة وهي السِّمة.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٣٠٢.
في ط (إعلامه) بكسر الهمزة.
(٦) في ك و ط (بيّن).
(٧) من أفرط في الأمر: إذا جاوز فيه الحد، يقال: إياك والفرط في الأمر.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٤٩.

ومع فرط عداوتهم له، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك.

ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة، كانوا كلهم يعلمون كذبه، وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعرفون[1] أن هذا كذب ظاهر عليه، كما كان بعضهم يقول: إنه مجنون، وبعضهم يقول: إنه كاهن. وبعضهم يقول: إنه ساحر. وبعضهم يقول: إنه[2]، تعلمه من بشر. وبعضهم يقول: أضغاث أحلام.

فحكى الله أقوالهم[3]، مبيناً لظهور[4] كذب من قال ذلك، وأنه قول ضال حائر، قد بهره حال الرسول، فحار فلم يدر ما يقول، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ[5] عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا

---

(١) في ك و ط (يعترفون).

(٢) في ك و ط زيادة (معلّم).

(٣) أي: نقله.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦٨٦.

(٤) في ك و ط (ظهور).

(٥) **الفرقان**: القرآن، لأنه الفارق بين الحق والباطل، والنشور: بعث الأموات. الإفك: الكذب. والزور: البهتان. أساطير: أحاديث خرافة. اكتتبها: أمر أن تكتب له.
انظر: صفوة التفاسير ١٨/٣٥٤.

وزورا (٤) وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

فأخبر عمن قال ذلك، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب، فإن هذه القصص المذكورة في القرآن، لم يكن بمكة من يعرفها، فضلاً عن أن يمليها، كما قال:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ . . . ﴾[2].

وقال:

﴿ . . . مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا . . . ﴾[3].

ولهذا قال:

﴿(٤) أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾[5].

فأخبر أن هذا من عِلْم من يعلم السر، إذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلّا من جهة أخبار الأنبياء، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء.

ثم ذكر ما اقترحوه[6] فقال:

---

(١) سورة الفرقان: الآيات ١ ــ ٦.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

(٣) سورة هود: الآية ٤٩.

(٤) في ط زيادة قوله ــ تعالى ــ: (قل).

(٥) سورة الفرقان: الآية ٦.

(٦) **الاقتراح**: ارتجال الكلام، واستنباط الشيء من غير سماع.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٥٨٤.

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ [1] أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ [2] يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ ﴾[3].

أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهوراً لا يخفى على الناظر، ولهذا قال:

﴿ . . . فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾.

إذ كان ظاهراً أن هذا ضلال عن طريق الحق، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق[4] إليه سبيلاً.

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ [5] ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ [6] عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى

---

(١) **الكنز**: الذهب والفضة، أو المال المدفون.
انظر: المصدر السابق ٨٧/٣.

(٢) **الجنة**: الحديقة ذات النخل والشجر.
انظر: المصدر السابق ٥٤٣/١.

(٣) سورة الفرقان: الآيتان ٧، ٦.

(٤) سقطت كلمة (الحق) من ك.

(٥) **الرجيم**: من الرجم: وهو القتل، وأصله الرمي بالحجارة.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٦.

(٦) **سلطان**: أي تسلط وقدره.

ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ[1] وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ[2] أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

فأخبر عما افتراه بعضهم، من قوله: إنما يعلمه هذا[4] القرآن بشر.

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل: إنه مولى لبني الحضرمي[5]، والنبي لا يحسن أن يتكلم[6] بلسان[7] العجمي، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام[8] العربي. فلما قالوا: إنه افترى

---

(١) **يتولونه**: أي يطيعونه ويتخذونه لهم ولياً.
انظر: صفوة التفاسير ١٤/١٤٣.

(٢) أي: لسان الذي يزعمون أنه علّمه، وينسبون إليه التعليم.
انظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) سورة النحل: الآيات ٩٨ ــ ١٠٣.

(٤) في جميع النسخ (هدى) وهي بالتأكيد اسم إشارة (هذا) مشار به إلى القرآن ولكن على طريقة الإملاء القديمة من كتابة الألف الممدودة بألف لينة، ــ ولو أحياناً ــ .

(٥) هو جبر الرومي النصراني، غلام لبعض بني الحضرمي، وقيل اسمه: يعيش، وقيل: بلعام. وقيل: كانا غلامين روميين، يقرآن كتاباً لهما بلسانهما.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٣ ــ ٥٢٤.

(٦) سقطت (يتكلم) من أ و ك فأثبتناها من ط، و ط تحتاج إلى (أن) قبل (يتكلم) ليستقيم السبك.

(٧) في ط (باللسان).

(٨) في ك و ط (اللسان).

هذا[1] القرآن، وأنه علمه إياه بشر، قال ـ تعالى ـ:

﴿... لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ...﴾.

أي يضيفون إليه هذا التعليم، وينسبونه إليه، وعبّر عنه[2] بلفظ الإلحاد، لما فيه من الميل، فقال[3]: لسان هذا الشخص الذي قالوا: إنه يعلمه القرآن، لسان أعجمي، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلى رجل عربي، بل إلى هذا الأعجمي، لكونه كان[4] يجلس ـ أحياناً ـ إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وذلك الأعجمي لا يمكنه التكلم[5] بهذا الكلام العربي، بل هو أعجمي، ومحمد لا يعرف بالعجمية، لكن غاية ذاك الأعجمي ـ كعبد بني الحضرمي ـ: أن يعرف قليلاً من كلام العرب، الذي يحتاج إليه في العادة، مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات، كلفظ الخبز، والماء، والسماء، والأرض، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من[6] القرآن.

فبيَّن ـ سبحانه ـ ظهور كذبهم فيما افتروه، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من[7] تعلمه أنباء الغيب، من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد، ولم يُنقل عن

---

(١) في ك (هدي) وفي ط (هدى).

(٢) أي: أعرب عنه وأبان وأفصح.
انظر: ترتيب القاموس ١٣٨/٣ و ١٨١.

(٣) هنا محذوف مقدر من عبارة الشيخ هي: (ما معناه)، على طريقة ابن جرير الطبري في تفسيره.

(٤) في ك و ط زيادة (ربما).

(٥) في ك و ط (أن يتكلم).

(٦) في ك و ط زيادة (سور).

(٧) في ك و ط (في).

أحد منهم أنه قال قولاً يخفى بطلانه، بل ما يظهر كذبه لكل أحد.

فتبيَّن أنه لم يمكنهم أن يقولوا: إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد. وهذه القصة: قصة نوح ـ لا سيما قصته[1] في سورة هود كما تقدم ـ لا يعلمها إلَّا نبي أو من تلقاها عن نبي. فإذا عرف أنه لم يتلقاها[2] عن أحد علم أنه نبي، ولهذا قال ـ تعالى ـ في آخرها:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4].

والقول في سائر القصص، كالقول فيها.

وكما قال ـ في سورة يوسف ـ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[5].

وقال ـ في سورة آل عمران، لما ذكر قصة زكريا ومريم ـ:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[6].

وقال ـ في قصة موسى ـ:

---

(١) في ك و ط زيادة (المستوفاة).

(٢) في ط (ينقلها).

(٣) ليس في أ ولا ك كلمة التقديس.

(٤) سورة هود: الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ[1] إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا[2] فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ . . . ﴾[3] الآية.

والإنسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر، فنبه بقوله: (وما كنت لديهم) على أنه[4] إنما علمت ذلك بإخبارنا وإيحائنا إليك وإعلامنا لك بذلك، إذ كان معلوماً عند كل من عرفه: أنه لم يسمع ذلك من بشر، وأنه لم يكن هو ولا قومه يعلمون ذلك.

وقد قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5]؟.

بيَّن بذلك أن تلاوته عليهم هذا الكتاب، وإدراءهم: أي إعلامهم به، هو بمشيئة الله وقدرته، لا من تلقاء نفسه، كما قال ــ تعالى ــ[6]:

---

(١) هو جانب الجبل الغربي، الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه، على شاطىء الوادي.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٥٠.

(٢) أي مقيماً.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة القصص: الآيات ٤٤ ــ ٤٦.

(٤) في ك و ط (أنك).

(٥) سورة يونس: الآية ١٦.

(٦) في ك و ط (قبل هذا).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ[1] إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ... ﴾[2] الآية.

فبيَّن أنه لبث فيهم عمراً من قبله، وهو لا يتلو شيئاً من ذلك، ولا يعلمه[3]، ولا يعلمهم به، فليس الأمر من جهته، ولكن من جهة الله، الذي لو شاء ما تلاه عليهم، ولا أدراهم به، وتلاوته[4] عليهم وإدراؤهم به هو من الإعلام بالغيوب الذي لا يعلمها إلَّا نبي، وبيَّن أن ذلك من الإرسال[5] الذي يحبه الله[6] ويرضاه، لا من الكوني الذي قدره[7]، وهو لا يحبه ولا يرضاه، كإرسال الشياطين، ولهذا كان[8] يعرضون عليه أن يصير ملكاً عليهم، وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم، فيقول: «لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر، لم أستطع أن أدعه»[9] وهذه الثلاث هي

---

(١) أي من قبل نفسي.
انظر: صفوة التفاسير ١١/٥٧٧.

(٢) سورة يونس: الآيتان ١٥ ـ ١٦.

(٣) سقطت (ولا يعلمه) من ك و ط.

(٤) في أ (تولاته) وهو خطأ نسخي بحت.

(٥) في ك و ط زيادة (الديني).

(٦) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.

(٧) في ك و ط زيادة (وقضاه).

(٨) في ك و ط (كانوا).

(٩) رواه البخاري في التاريخ الكبير بمعناه ج ٤، ق ١/١٥.
وأخرجه الطبراني بمعناه ـ أيضاً ـ في الأوسط والكبير، وأبو يعلى ـ بمعناه =

مطلوب النفوس من الدنيا (السلطان، والمال، والنساء) فيعرض[1] عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها، ويبيّن[2] أنه لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ [3] عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ [4] إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ [5] مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[6].

= ـ أيضاً ـ ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، كما قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٤ ـ ١٥. وأخرجه البيهقي في الدلائل ـ بمعناه ـ أيضاً ـ ٢/ ١٨٧، وهو في السيرة لابن هشام ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(١) في ك (فعرض)، وفي ط (فأعرض).

(٢) في ك و ط (وبين).

(٣) أي يصرفونك.

(٤) تركن إليهم: تميل إليهم وتسايرهم على ما طلبوا.
انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣.

(٥) أي: لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. يستفزونك: يخرجونك من أرض مكة بمكرهم وإزعاجهم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٦) أي: طريقة وعادة. تحويلاً: تبديلاً أو تغييراً.
انظر: المصدر والموضع السابق.
سورة الإسراء: الآيات ٧٣ ـ ٧٧.

بيَّن ــ سبحانه ــ أنهم كادوا[1] أن يمنعوه بكل طريق، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته. فمع الإدارة الجازمة، والقدرة التامة يجب وجود المقدور، وإذا تعذر أحدهما امتنع. فطلبوا تغيير إرادته ليركن إليهم فيغير ما أوحى إليه، فعصمه الله وثبته.

ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه ويخرجوه، حتى يعجز عن تبليغ رسالة[2] ربه، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة، أسوة من[3] تقدمه من الرسل، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمة، أخرج نبيها منها[4]، ثم أهلكها، لا يهلكها وهو بين أظهرها، كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

وهذا بعد قوله:

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[5].

قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[6].

---

(١) في ك و ط (طلبوا).
(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ (رسالته)، وما في ك و ط أصح فلهذا أثبتاه.
(٣) في ط ــ فقط ــ (بمن).
(٤) في ك و ط (من بينها).
(٥) سورة الأنفال: الآيتان ٣٢ ــ ٣٣.
(٦) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم (بدر) وغيره. فقوله:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ . . .﴾[1].

إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته.

وقوله:

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ . . .﴾[2].

إشارة إلى سعيهم في تعجيزه.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[3].

بيَّن ـ سبحانه ـ من حاله ما يعلمه العامة والخاصة، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس: أنه كان أمياً لا يقرأ كتاباً، ولا يحفظ[4] كتاباً من الكتب، لا المنزلة ولا غيرها، ولا[5] يقرأ شيئاً مكتوباً، لا كتاباً منزلاً ولا غيره، ولا يكتب بيمينه كتاباً ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس، المنزلة ولا غيرها[6].

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقيناً وحفظاً، وإما أن

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٣.

(٢) السورة السابقة: الآية ٧٦.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

(٤) في ك و ط (يخط). وما في أكسفورد موافق لما في أ.

(٥) في ط بدون عطف.

(٦) في ط (غيره).

يأخذ من كتابه، وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه، ولا يقرأ مكتوباً. والذي يأخذ من كتاب غيره، إما أن يقرأه، وإما أن ينسخه، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ.

و[1] قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ [2] ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[3].

إلى قوله:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ [4] ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ [5] ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) أي كتب الأنبياء السابقين.

انظر: صفوة التفاسير ١٩/٣٩٥ م ٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤) أي الضالون.

(٥) **يهيمون**: أي يسلكون في المديح والهجاء كل طريق، يحمدون الشيء بعد أن ذموه، ويعظمون الشخص بعد أن احتقروه. أيّ منقلب ينقلبون: أيّ مرجع؟ وأيّ =

مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[1].

فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[2].

وقال:

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[3].

وعلماء بني إسرائيل[4]: يعلمون ذكر إرسال محمد، ونزول الوحي عليه، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ . . . الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ . . . ﴾[5].

وقال:

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[6].

وقال:

= مصير؟ يرجعون إليه ويصيرون إليه؟ فإن مرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، ومصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير.

انظر: المرجع السابق ١٩/٣٩٧ ـ ٣٩٨ م ٢.

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ـ ٢٢٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(٤) سقطت من أ جملة (وعلماء بني إسرائيل) فأثبتناها من ك و ط.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

ليس في أ إلاَّ كلمة (فلا) وهي ليست في ك ولا ط، وقد أتممنا الآية مراعاةً لما في أ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾[1].

وقـال:

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾[2].

ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر.

فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته، وعرشه وملائكته، وخلقه السموات والأرض وغير ذلك، بمثل ما أخبرت به الرسل قبله. وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وبالعدل والصدق، والصلاة والزكاة، ونهى عن الشرك عن الشرك والظلم والفواحش، كما أمرت ونهت الرسل قبله.

والسّور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة، التي اتفقت عليها الرسل، التي لا بد منها، وهي الإسلام العام، الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره.

وأما السّور المدنية، ففيها[3] هذا، وفيها ما يختص به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الشرعة والمنهاج. فإن دين الأنبياء واحد، كما ثُبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: (إنا

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٢.

(٢) السورة السابقة: الآية ٥٣. وقد فصل الشيخ المؤلف بين الآيتين، مع تجاورهما في المصحف من أجل التنبيه على المعنى الموجود في كل آية منهما، أو لأي سبب آخر.

(٣) في أ (فيها).

ـ معشر الأنبياء ـ ديننا واحد)[1]، قال الله[2] ـ تعالى ـ :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ[5] وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ[6] كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[7].

وأما الشرعة والمنهاج، فقد قال عن أهل التوراة والإنجيل والقرآن:

---

(١) رواه البخاري بلفظ (والأنبياء إخوة لِعَلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد) كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب...﴾ ٦ :٤٧٨ من الفتح، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤ :١٨٣٧ [٢٣٦٥] بمثله.

(٢) ليس في أ لفظ الجلالة المعظم.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٤) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٥) فرقوا دينهم: أي بدلوه وغيروه، وآمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

(٦) شيعاً: فرقاً، كل فرقة منها تزعم أنها على شيء. انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٣٢٣.

(٧) سورة الروم: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

وقـال:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا[2] لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ[3] كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ. . .﴾[4].

إلـى قولـه:

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ. . .﴾[5].

وأما القبلة: فلم يجعل ما ابتدعـه أهل الكتـاب من القبلة، فلذلك قال:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا. . .﴾[6].

لم يقـل: إنا جعلنـا لكل وجهـة، كما قـال في المنسك والشـرعة والمنهاج، وقال ــ تعالى ــ:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) أي مكاناً للذبح تقرباً إلى الله.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/ ٢٨٩.

(٣) **القانع**: المتعفف. والمعتر: السائل. المصدر السابق ١٧/ ٢٩٠.

(٤) أي لن يصـل إليه ــ تعـالى ــ شيء من لحومهـا ولا دمائهـا، ولكن يصل إليـه التقوى منكم بامتثال أوامره، وطلبكم رضوانه.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٥) سورة الحج: الآيات ٣٤ ــ ٣٧.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾[1].

فإنه إذا أتاهم ببيان ما في الصحف الأولى. مع علمهم بأنه لم يعاشر أحداً من أهل الصحف الأولى، ولا استفاد منهم علماً، كان هذا من أعظم الآيات من الله.

وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة، كابن سينا وأمثاله: (إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال) ويقولون: (إن النفس أو العقل، هو اللوح المحفوظ وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء)، ويقولون: (النبوة مكتسبة، لأن هذه صفتها) ويقولون: (إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية)، وزعموا[2] أنها اللوح المحفوظ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض، فتكون عالمة بما يحدث في الأرض، لأن العلم بالسبب، يوجب العلم بالمسبب[3]. فإن هذا مبني على مقدمات باطلة، قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر[4]:

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٣.

(٢) في ك و ط (ويزعمون).

(٣) راجع ما كتبه (دي بور) في كتابه: تاريخ الفلسفة في الإسلام، وخاصة الباب الرابع من كتابه المذكور: ١٧٦ وما بعدها، ثم ما كتبه عن فلسفة ابن سينا ــ بالأخص ــ: ٨٥٣ ــ ٢٦٨، ترجمة د. أبي ريده. وكذلك ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل ٢/١٧٣ ــ ٢٠١ من مسائل الإلٓهيات عن ابن سينا.

(٤) راجع ما كتبه الشيخ المؤلف في فساد مذهب الفلاسفة من كتابه القيم درء تعارض العقل والنقل ٨/١٦١ وما بعدها. وفي مواضع أخرى منه؛ وكتاب النبوات ــ له أيضاً ــ: ١٦٨ وما بعدها. دار الفكر، بيروت.

منها: إثبات العقل الفعال.

ومنها: دعواهم أنه لا سبب للحوادث إلَّا حركة الفَلَك.

ومنها: أن المحرك له هو النفس.

ومنها: اتصال نفوسنا بتلك النفس.

والمقصود ـ هنا ـ أن هذا لو كان حقاً فإنما يفيد علماً بالمستقبل الذي تكون الحركة الحاضرة سبباً له. أما ما قد مضى[1] بمئين أو ألوف من السنين فليس شيء من حركات الفلك ـ حين مبعث الرسول ـ كان سبباً له، وإنما تكون الحركة الموجودة في زمانه سبباً للمستقبل، لا للماضي، وحينئذٍ فلا يكون تحريك النفس للفلك سبباً للعلم بهذه الأمور، ولا يكون ذلك هو اللوح المحفوظ، بل القرآن المجيد في لوح محفوظ، وهو في أم الكتاب، وهو[2]:

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[3].

وأخبر ـ سبحانه ـ أنه:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣﴾[4].

---

(١) في ك و ط زيادة (قبل ذلك).

(٢) سقطت (وهو) من ك و ط.

(٣) **مكنون**: مصون ومحفوظ. **المطهرون**: الملائكة، الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/٣١٥.
سورة الواقعة: الآيات ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٣.

وقال ــ في آية أخرى ــ :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[1].

وقال في موضع آخر:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . . ﴾[2].

وقال:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ[3] ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ[4] ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ[5] ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ[6] ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ[7] ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾[8].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٣) أي: صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله ــ جل وعلا ــ.
انظر: صفوة التفاسير ٥٢٥/٣٠.

(٤) أي: مطاع هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء. المصدر والموضع السابق.

(٥) أي: أن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ رأى جبريل ــ عليه السلام ــ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح، ورسول الله على الأرض، وهذه هي الرؤية الأولى، وذلك في أوائل البعثة، في الأبطح بمكة.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٢٠.

(٦) أي: متهم أو بخيل، قرئت متواترة بالضاد والظاء.
انظر: المصدر السابق ٣٦٢/٨.

(٧) **فأين تذهبون**: أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم للقرآن مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله ــ عز وجل ــ.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) سورة التكوير: الآيات ١٩ ــ ٢٨.

=

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1] .

فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة، نزله به على رسول اصطفاه من البشر، فقال:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ[2] ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾[3] .

فنزه كلاً من الرسولين عما قد يشتبه به.

نزه المَلَك أن يكون شيطاناً، ونزه البشر أن يكون شاعراً أو كاهناً، وبيّن برهان ذلك وآيته، فقال:

= وقد زاد في ك و ط الآية الباقية وهي قوله ــ تعالى ــ :
﴿**وما تشاؤون إلَّا أن يشاء الله رب العالمين**﴾.

(١) سورة الحج: الآية ٧٥.
أي: يختار رسلاً من الملائكة ليكونوا وسطاء لتبليغ الوحي إلى أنبيائه، ويختار رسلاً من البشر لتبليغ شرائع الدين لعباده، والآية رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.
انظر: صفوة التفاسير ١٧/٢٩٩.

(٢) هو نياط القلب: وهو العرق الذي القلب معلق فيه، أو هو القلب ومراقه (ما سفل من البطن فما تحته) وما يليه.
انظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٢٤٥.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٥٢.

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[1].

فبيَّن أنه ما يصلح لهم النزول به، بل هم منهيون عن ذلك، وهم ممتنعون عن ذلك، لا يريدونه[2]، لمنافاته لمقصودهم، وأنهم لو أرادوا[3] لعجزوا عن ذلك، فلم يستطيعوه، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلى، وهم إنما يقدرون[4] على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه.

فبيَّن قوله:

﴿ . . . وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ . . . ﴾:

أنهم لا يريدون تنزيله.

وبقوله:

﴿ . . . وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾:

أنهم عاجزون عن تنزيله.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢١٠ ــ ٢١٢.
أي: بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله.
انظر: المصدر السابق ٦/١٧٥.

(٢) هكذا في ط، وفي أ (يريدونهم) وفي ك (لا يريدوه) وما أثبتناه أصوب.

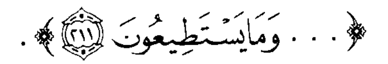
(٣) في ك و ط زيادة (ذلك).

(٤) هكذافي ك و ط (يقدرون)، وفي أ (يقدروا) والأصح ما في ك و ط.

أمـا[1] كـونهم لا يـريـدون، فـلأنـه لا ينبغي لهم، (وينبغي): مضـارع[2] بغى يبغي: أي طلب وأراد، فالـذي لا ينبغي للفـاعـل، هـو الذي لا يطلبه ولا يريده، إما لكـونه ممتنعـاً من ذلك، أو لكـونه ممنـوعاً منه. والشيطان إنما يريد الكذب والفجور، لا يريد الصدق والصلاح.

وما جاء به الرسول، مناقض لمراد الشياطين غـاية المنـاقضة، فلم يحدث في الأرض أمر أعظم مناقضة لمراد الشياطين من إرسال محمـد، فنـزول[3] القرآن عليـه. فيمتنـع أن تفعـل الشيـاطين مـا لا يـريـدون إلَّا نقيضه، وهم ــ أيضاً ــ ممنوعون من ذلك بحيث لا يصلح لهم ذلك ولا يتـأتى منهم، كمـا أن السـاحـر لا ينبغي لـه أن يكـون نبيـاً. والمعـروف بـالكذب والفجـور لا ينبغي له ــ مـع ذلـك ــ أن يكـون نبيـاً[4]، ولا أن يكون حاكماً ولا شاهداً ولا مفتياً، إذ الكذب والفجور ينـاقض مقصود[5] الحكم والشهـادة والفتيـا، فكـذلـك مـا في طبـع الشيـطان[6] من إرادة الكـذب والفجور ينـاقض أن تتنزل بهـذا الكـلام، الـذي هـو في غـايـة الصدق والعدل، لم يشتمل على كذبة[7] واحدة، ولا ظلم لأحد.

ثـم قـال:



﴿... وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾.

---

(١) في ط زيادة واو.

(٢) في أ (مطاوع)، والظاهر أنه تحريف من الناسخ.

(٣) في ك و ط (ونزول).

(٤) في ك و ط (رسولاً).

(٥) في ك و ط (مقتضى الرسالة والحكم).

(٦) في ك و ط (الشياطين).

(٧) كَذبة: بنصب الكاف، حيث أنه اسم مرّة، ولو كان اسم هيئة لكسرت.

انظر: أوضح المسالك، إلى ألفية ابن مالك ص ٤٤٠.

فإنهم عن سمع هذا الكلام لمعزولون، بما حرست بـه السماء من الشهب، كما قال ــ عن الجن ــ :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾[1].

وقد ذكرنا تواتر هذا الخبر وأن السماء[2] حـرست حرسـاً لم يعهده النـاس قبل ذلـك، ورأى الناس ذلـك بـأبصـارهم، فكـانـوا قـد عـاينـوا ما أخبرهم به من الرمي بالشهب التي يرمىٰ بهـا لطرد الشيـاطين، فعزلـوا بـذلك عن سمـع الملأ الأعلى، وكـان ما عـاينه الكفـار ــ [3]من الـرمي الشـديـد العـام ــ الـذي انتقضت بـه العـادة المعـروفـة من[4] رمي الشهب ــ[5] دليلاً على سبب خارق للعادة، ولم يحدث ــ إذ ذاك ــ في الأرض أمر لم تجر بـه العادة إلاَّ ادعـاءه للرسالـة، فلم يعرف قبله[6] من نـزل عليه الكـلام كنزولـه عليه. إذ كـان موسى ــ عليـه السـلام ــ إنمـا أنزلت عليه التوراة مكتوبة[7]، لم تنزل عليه منجمة[8] مفرقة، ملقـاة إليه

---

(١) سورة الجن: الآيتان ٨، ٩.

(٢) في ك و ط زيادة (حين مبعثه).

(٣) بداية جملة اعتراضية.

(٤) في ك و ط (في) بدلاً من (من).

(٥) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٦) في ك و ط زيادة (ولا بعده).

(٧) والدليل قوله ــ تعالى ــ :
﴿وكتبنـا لـه في الألـواح من كـل شيء مـوعـظة وتفصيـلاً لكـل شيء. . .﴾ [سـورة الأعراف: الآية ١٤٥].

(٨) أي: نجماً بعد نجم، وكانت تنزل منه الآية والآيتان.
انظر: اللسان ١٢/٥٦٩.

حفظاً، حتى تحتاج السماء إلى حراستها عن استراق سمعها. والزبور تابع لشرع التوراة، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة. لم ينزل كتاب مستقل[1] إلاَّ التوراة والقرآن كما قال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

ولهذا يقرن ــ سبحانه ــ بين التوراة والقرآن كثيراً كما في قوله:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

إلى قوله:

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[3].

وقال:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ[4] وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً[5] ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ

---

(١) في ط (مستقبل).

(٢) سورة القصص: الآية ٤٩.

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

(٤) أي: ويتبعه شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة. ولهذا قال ابن عباس وغيره: إنه جبريل ــ عليه السلام ــ وقال علي وغيره: هو محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكلاهما قريب في المعنى، لأن كلاً من جبريل ومحمد ــ صلوات الله عليهما ــ بلّغ رسالة الله ــ تعالى ــ، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة.

انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥.

(٥) أي: أنزله الله إلى تلك الأمة إماماً لهم، وقدوة يقتدون بها، ورحمة من الله بهم، =

مَوْعِدُهُۥ . . . ﴾[1].

قال[2] سعيد بن جبير وغيره: «والأحـزاب[3] هي الملل كلها»[4]، قـال: وهـذا تصـديق قـول النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ : «والـذي نفسي بيده لا يسمع بـي من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بـي إلَّا دخل النار»، وقرأ هذه الآية:

﴿ . . . وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ . . . ﴾[5] ».

وقالت الجن:

﴿ . . . إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ . . . ﴾[6].

وقال النجاشي ــ لمـا سمع القـرآن ــ : (إن هذا والـذي جاء بـه

= فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ولهذا قال ــ تعالى ــ : ﴿ . . . أولئك يؤمنون به . . . ﴾.
انظر: المصدر السابق ٤/٢٤٦.

(١) سورة هود: الآية ١٧.
(٢) في ط (وقال).
(٣) في ك و ط بدون عطف.
(٤) جامع البيان، ت: شاكر، ١٥/٢٧٩ ــ ٢٨١. قال شاكر: (هذه الآثار عن سعيد بن جبير، والتي روى فيها الخبر مرسلاً، رواه الحاكم في المستدرك ٢/٣٤٢، موصولاً مرفوعاً من حديث ابن عباس، وذلك من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن أبـي عمرو البصري، عن سعيد، عن ابن عباس، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبـي.
(٥) سورة هود: الآية ١٧.
سبق تخريج الحديث ٢/٩٠ رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه.
(٦) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.
في ك و ط زيادة (الآية).

موسى ليخرج من مشكاة[1] واحدة[2]).

[3]ـ وأيضاً ـ فكان معروفاً عندهم إخبار الكهان عن الشياطين التي تسترق السمع، فلما رأوا أن السماء قد حرست حرساً شديداً خلاف العادة، علموا أن الشياطين منعوا استراق السمع، وعلمت الجن ذلك كما تقدم، وقد قالت الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾[4].

وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب، وهذا[5] أمر خارق للعادة، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم، حتى نظروا: هل الرمي بالكواكب التي في الفَلَك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب، علموا أنه لأمر حدث[6]. وأَرسلت

---

(١) المشكاة: الكوّة (الفتحة) غير النافذة. قال الكلبي: «وهو حبشي معرب». النهر الماد من البحر المحيط بهامش البحر المحيط، كلاهما لأبي حيان، ٤٥٣/٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٠١/١ ـ ٢٠٣ و٢٩٠/٥ ـ ٢٩١.
قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».
انظر: المجمع ٢٧/٦.

(٣) في ك و ط زيادة (وقال ورقة بن نوفل للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يا ابن أخي هذا هو الناموس، الذي كان يأتي موسى).

(٤) سورة الجن: الآيتان ٨، ٩.
في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ:
﴿وإنّا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض؟ أم أراد بهم ربهم رشداً؟﴾.

(٥) سقطت (هذا) من أ و ك، وقد أثبتناها من ط لأنها ضرورية لاستقامة الأسلوب.

(٦) انظر: ما رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ٢١٩/١ ـ ٢٢٠. وما رواه البيهقي في الدلائل ٢٤٠/٢ ـ ٢٤١.

الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن، فعلموا[1] أنه كان لأجل ذلك[2].

---

(١) في ك و ط (فعلمت).

(٢) في ك و ط زيادة بمقدار صفحة أو أكثر كما يلي: (كما جاء في الصحيحين عن ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلَّا لأمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث. فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلقوا نحو تِهامة إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا:

﴿... **إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً**﴾.

فأنزل الله على نبيه:

﴿**قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن...**﴾.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال:

(كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة، فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوا حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك. فلما بعث النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلَّا رُمى بشهاب يحرق ما أصاب. فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلَّا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن السدي: زعم أن السماء لم تكن تحرس إلَّا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر. فكانت الشياطين قبل محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر، حتى لما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نبياً رُجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء. لما رأوا من شدة =

وهذا من أعلام النبوة ودلائلها.

وقبل زمان البعث[1] وبعده، كان الرمي خفيفاً، لم تمتلىء به السماء، كما ملئت حين نزول القرآن، وقال[2] ـ تعالى ـ:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[3].

والأفاك: الكذاب. والأثيم: الفاجر[4]، كما قال:

﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ[5] ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾[6].

= النار في السماء واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم، فقال لهم، عبدياليل بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر الطائف، أمسكوا عن أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها، فلم يهلك أهل السماء، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة (يعني محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) وإن أنتم لم تروها، فقد هلك أهل السماء. فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم. وفزعت الشياطين في تلك الليلة، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم، فقال: ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها، فأتوه فشم، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من جن نَصِيْبِيْن قدموا مكة، فوجدوا نبي الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم أسلموا فأنزل الله ـ عز وجل ـ شأن أمرهم على نبيه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(١) هكذا في سائر النسخ (البعث) و (المبعث) أنسب.

(٢) في ك و ط (وقوله).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٨٣/٦.

(٥) **لنسفعن بالناصية**: أي لنأخذن بالناصية، والمراد بها جميع الشخص: أي سحباً إلى النار، وقيل: هو من سفعته النار والشمس: إذا غيرت وجهه إلى حال شديد، وقال التبريزي: قيل: المراد لنسوّدن وجهه، من السفعة: وهي السواد، وكَفَت (أي الناصية) من الوجه لأنها في مقدمته. انظر: البحر المحيط ٤٩٥/٨.

(٦) سورة العلق: الآيتان ١٥، ١٦.

قال[1] [2]في الحديث المتفق على صحته: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن[3] الفجور يدعو[4] إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[5].

فالشياطين تنزل على من يَحْصُل مقصودها بنزولها عليه، وهو المناسب لها في الكذب والفجور[6]. فأما الصادق البار، فلا يحصل به مقصود الشياطين، فإن الشيطان لا يطلب الصدق والبر، وإنما يطلب الكذب والفجور.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما زال قومه يعرفونه بينهم بالصادق الأمين، لم تُجَرب عليه كَذبةٌ واحدة. ولما جاءه الروح بالوحي لم يخبر بخبر واحد كذب، لا عمداً ولا خطأ.

ومن تنزلت عليه الشياطين لا بد أن يخبر بالكذب، فإن الشياطين يلقون إليهم السمع، ولا يلقون إليهم ما سمعوه على وجهه، بل يكذبون فيه كثيراً. إذ كان أكثر الشياطين الذين ينزلون عليهم كاذبين فيما ينزلون به عليهم. [7]والشياطين وإن كان كلهم كاذباً، فليس كل من ألقى

---

(١) في ك و ط (وقال) بالواو العاطفة.

(٢) في ك و ط زيادة (النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٣) سقطت (إن) من ط.

(٤) في ك و ط (يهدي).

(٥) سبق تخريجه رسالة دكتوراه د. علي بن ناصر، والحديث رواه البخاري في صحيحه وغيره.

(٦) في ك و ط (والإثم).

(٧) في ك و ط (فإن).

السمع يكذب فيما يلقيه، بل قد يصدق أحدهم فيما يلقيه من السمع ويسترقه، [1]ولكن أكثرهم يكذبون، والذي يصدق منهم مرة يكذب مرات، والذي ينزل عليه الشياطين أفاك أثيم[2].

فالفرق بين الصادق البار الذي يأتيه المَلَك[3]، والكاذب الأثيم الذي يأتيه الشيطان الرجيم، فرق بيّن[4]، يُعْرف بأدنى معرفة بحال الاثنين. ولما كان الكاهن الذي يأتيه شيطان قد يخبر ببعض الأمور الغائبة، بيّن ــ سبحانه ــ أن هذا يكون ــ وإن صدق في بعض الأخبار ــ كاذباً فاجراً، والذي يأتيه[5] بالكذب، فلا يشتبه بمن لا يكذب ولا يفجر، وهذا مما يبين أن النبي لايكون إلَّا باراً معصوماً أن يُصِر على ذنب.

● ● ●

(١) في ك و ط زيادة (ولو مرة).

(٢) في ك و ط زيادة (وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: (إن الملائكة تنزل في العنان ــ وهو السحاب ــ ، فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم).

(٣) في ك و ط زيادة (الكريم).

(٤) في ك و ط (مبين).

(٥) في ك و ط زيادة (أيضاً يأتيه).

فصل[1]

الدلائل القاطعة عند أهل مكة، على صدق الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ونبوته

وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة، ما زالوا معترفين بصدقه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنهم لم يجربوا عليه كذباً، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة، وأنه ليس بساحر. وكانوا في أول أمره يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب، يسألونهم عنه، لأن مكة لم يكن بها ذلك.

ففي الصحيحين عن ابن عباس: أن أبا سفيان بن حرب، حدثه قال: «انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل، قال: وكان دِحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصْرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هِرَقل. فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت أنا. فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، فدعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَني فَكَذِّبوه،

(١) سقطت (فصل) من ك.

قال: فقال[1]: «وأيم الله! لولا مخافة أن يؤثر عليَّ كذب لكذبت عليه. ثم قال لترجمانه: سله[2] كيف حَسَبُهُ[3] فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب[4]، قال: فهل كان في آبائه مَنْ مَلَك؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا[5]». وذكر باقي الحديث:

وفي الصحيحين[6] عن عبد الله بن مسعود، حديث سعد بن معاذ، لما قال لأمية[7]: إنهم قاتِلوكَ (يعني النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأصحابه) وفزع منه لذلك، وقال لامرأته ذلك، فقالت والله ما يكذب محمد. وقال هو ـ في رواية أخرى ـ: والله ما يكذب محمد، وعزم أن لا يخرج خوفاً من هذا، وقال: والله لا أخرج من مكة. وأراد التخلف عن بدر، حتى قال له أبو جهل: إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي تخلفوا معك. فقال: أما إذا غلبتني فلأشترينَّ أجود بعير بمكة ـ وذكَّرته امرأته بقول سعد، فقال: ما أريد أن

(١) في ك و ط (قال أبو سفيان).

(٢) رسمت في أ هكذا (سأله).

(٣) في ك و ط (نسبه).

(٤) في ط (نسب).

(٥) رواه البخاري بمعناه، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان... ١/٣١ ـ ٣٣ (٧). من فتح الباري. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل... ٣/١٣٩٣ (١٧٧٣).

(٦) هذا ظن من الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ وصوابه: «الصحيح».

(٧) هو ابن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي، من جبابرة قريش، أدرك الإسلام ولم يسلم، بل مات كافرا في وقعة بدر، قتله رجل من الأنصار من بني مازن سنة ٢هـ. انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٧١.

أكون معهم إلاَّ قريباً»[1].

وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم أن أُبَـي[2] بن خلف[3] لما

---

(١) القصة رواها البخاري، كتاب المغازي، باب ذكر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مَنْ يُقْتل ببدر، ٢٨٢/٧ (٣٩٥٠) من فتح الباري. ورواها الإمام أحمد في المسند ٣٠٣/٥ ت أحمد شاكر، ورواها البزار وفيها أنه نزل على عتبة بن ربيعة. قال الهيثمي: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح». المجمع ٧٢/٦ ـ ٧٣.
جاءت هذه الرواية في ك و ط هكذا: قال: «انطلق سعد فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام، فمر بالمدينة ينزل على سعد، فقال لسعد: انتظر، حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس، انطلقتَ فطفت، فبينما سعد يطوف، إذا أبو جهل. فقال: من هذا الذي يطوف بالبيت؟ فقال: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبـي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي» ثم قال سعد: والله لإن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن مُتَّجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يزعم أنه قاتلك، قال إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربـي؟ قالت: وما قال؟: قال زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد. قال: فلما خرجوا إلى (بدر) وجاء الصَّرِيخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربـي؟ قال: وأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم فقتله رسول الله».
وفي رواية أنه قال: والله ما يكذب محمد، وعزم أن لا يخرج خوفاً من هذا، حتى قال له أبو جهل: إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك. فقال أما إذا غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة. وذكرته امرأته بقول سعد، فقال: ما أريد أن أكون معهم إلاَّ قريباً.

(٢) في ط (أمية).

(٣) هو ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو، قتله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده يوم أحد سنة ٣هـ وقد مات بموضع يقال له: سَرْف ـ على ستة أميال من مكة ـ والمشركون قافلون (راجعون) به إلى مكة.
انظر: السيرة لابن هشام ٨٩/٣ و ١٣٥.

بلغـه أن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قـال: أنـا أقتله، ثم طعنـه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فخدشه، وجعل أصحابـه يُجَزعـونه ويقـولـون: إنمـا هـو خـدش وليس بشيء، فقـال: والله لـو كـان بمُضَـرَ لقتلهم، أليس قـال: «لأقتلنـك»[1]. وعن مجـاهـد[2] قـال: مـولاي السائب بن أبـي السائب[3]: كنت فيمن بنى البيت، وأن قـريشاً اختلفـوا في الحَجَـر[4]، حين أرادوا أن يضعـوه، حتى كـادوا يقـع بينهم قتـال بالسيوف، فقالوا: اجعلوا بينكم أول رجل يدخـل[5] من الباب، فـدخل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكانوا يسمونه في الجاهلية: الأمين.

---

(١) السيـرة لابن هشام ٣/٨٩؛ والمغـازي للواقدي ١/٢٥٢؛ والبـداية والنهـايـة ٤/٢٣ و ٣٢.

(٢) هـو ابن جبر المكي، أبـو الحجاج المخـزومي المقـري، مـولى السـائب بن أبـي السائب، قال ابن حبان: مات سنة ١٠٢ أو ١٠٣ وهو ساجد، بمكة وكان مولده سنة ٢١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٠/٤٢ ــ ٤٤.

(٣) في جميع النسخ (السائب بن يزيد) وهو خطأ صوابه ما أثبتناه، أما السـائب بن يزيـد فهو مولى عطاء من فوق.
انظر: أسد الغابة ٢/١٧٠.

واسم أبـي السـائب صيفي بن عـائـذ بن عبـد الله بن عمـر بن مخـزوم القـرشي المخـزومي، وقيل ابن أبي السـائب «نميلة» وكان شـريـك النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ قبل المبعث بمكة، وقيـل غيره، وقـد اختلف في إسلامـه، والراجـح أنه من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم. وهو مولى مجاهد بن جبر من فوق.
انظر: المصدر السابق، ٢/١٦٣ ــ ١٦٤.

(٤) وهو الحَجَر الأسود، ويقال له: الركن. لأنه مبني في الركن.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٠٩.

(٥) سقطت كلمة (يدخل) من أ، وأثبتناها من ك و ط.

فقالوا: يا محمد قد رضينا بك[1].

وعن عقيل بن أبي طالب[2] قال: «جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا[3]، ويسمعنا

---

(١) انظر المصدر السابق ١/٢٠٩ ــ ٢١٠. ورواه الإمام أحمد في المسند بمعناه ٣/٤٢٥، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه هلال بن خباب وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح». المجمع ٣/٢٩١ ــ ٢٩٢. وقال في موضع آخر: «وهو ثقة».
انظر: المجمع ٨/٢٢٩.
في ك و ط زيادة بمقدار نصف صفحة كالتالي: «وقال ابن إسحاق في قصة بناء البيت، واختلاف قريش فيمن يضع الحجر، وإنهم مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم اجتمعوا في المسجد، فتشاوروا وتناصفوا، فزعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عامئذٍ أسن قريش كلهم، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا، فكان أول داخل رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد جاء، رضينا. هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ «هَلُم ثوباً» فأُتي به، فأخذ الركن (يعني الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال: «ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً»، ففعلوا. حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ثم بنى عليه. وكانت قريش تسمي رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين).

(٢) هو ابن عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يكنى أبا يزيد، أسلم قبل الحديبية، وهاجر سنة ٨هـ وشهد غزوة مؤتة. ومات في خلافة معاوية سنة ٦٠هـ وقيل بعدها. انظر: أسد الغابة ٣/٥٦٠ ــ ٥٦٣؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٩.

(٣) **النادي**: هو المجلس ينـدو (يجلس) فيه من حواليه ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا عنه لم يكن ناديا. **والجمع**: الأندية هذا رأي صاحب التهذيب، والراجح أن النادي: مُجْتَمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله.
انظر: لسان العرب ١٥/٣١٧، مادة: ندي.

ما يؤذينا، فإن رأيت أن تكفه[1] عنا فافعل. قال: فقال لي: يا عقيل، التمس ابن عمك. قال: فأخرجته من كِبْس من أكْبَاس شِعب أبي طالب، فأقبل يمشي، حتى انتهى إلى أبي طالب، فقال له: يا ابن أخي، والله ما علمت إن كنت لي مطيعاً وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم، فتسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم؟ قال فحلق ببصره إلى[2] السماء فقال: «والله ما أنا بأقدر على أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار «فقال أبو طالب: إنه ــ والله ــ ما كذب قط، فارجعوا راشدين، رواه البخاري في تاريخه[3]، وأبو زرعة في الدلائل[4]، ورواه ابن إسحاق قريباً من هذا اللفظ وقال: «فأخرجته من حِفْش ــ وهو بيت صغير ــ[5] وقال فيه: فظن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أن قد بدا لعمه، وأنه خاذله ومُسْلِمه، وضعف عن القيام معه، فقال: «يا عم لو وُضِعَت الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك في طلبه»[6].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت[7] قال: قال أبو ذر:

---

(١) في ك و ط (يكف).

(٢) في ك و ط (نحو).

(٣) التاريخ الكبير للبخاري، مجلد ٧، القسم الأول من الجزء الرابع من: ٥٠ ــ ٥١ بمثله.

(٤) لم يذكر فؤاد سزكين لأبي زرعة الرازي غير كتاب الزهد فقط.
انظر: تاريخ التراث العربي، م ١، ج ١/٢٨٢؛ والإعلام ٤/١٩٤.

(٥) انظر: ترتيب القاموس ١/٦٧٢.

(٦) السيرة لابن هشام ١/٢٨٤ ــ ٢٨٥ بمعناه.

(٧) هو الغفاري البصري، قال العجلي: بصري تابعي ثقة، وذكره البخاري في (التاريخ) الأوسط، في فصل من مات بين السبعين إلى الثمانين، وهو من الطبقة الثالثة. تهذيب التهذيب ٥/٢٦٤.

خرجنا من قومنا غفار[1]، وكانوا يحلون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أُنيس[2] وأمنا[3]، فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس، فجاء خالنا فثنا[4] علينا الذي قيل له، فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لك فيما بعد. فقربنا صِرمتنا[5]، فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا بثوبه[6] يبكي، وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر[7] أنيس رجلاً[8] عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا[9] الكاهن[10] فخير

---

(١) هم بطن ضخم، وهم ينتسبون إلى غفار بن مُلَيْل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مَعَد بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٨٦ و ١٨٠ و ١٢.

(٢) هو ابن جنادة الغفاري، وقد اختلف في نسبه اختلافاً كثيراً.
انظر: الإصابة ١٥٧/١.

(٣) لم أقف لأم أبي ذر على ترجمة.

(٤) **خالف**: أي ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهو ضد الاتفاق. **ومرادهم**: أن أنيس يريد بهم الفساد. **ثنا**: من الثني، وهو الأمر يعاد مرتين.
انظر: المصباح المنير ١٧٩ و ٨٧.

(٥) **كدرته**: أي أزلتَ صفاءه. **لا جماع لك**: أي لن نجتمع بك بعد هذا. **الصّرمة**: هي الناقة التي لا لبن لها.
انظر: المصدر السابق ١٠٩/١ و ٥٢٧/٢؛ واللسان ٣٣٧/١٢ مادة: صرم.

(٦) في ك و ط (ثوبه).

(٧) **نافر**: أي غالب.
انظر: ترتيب القاموس ٤١٢/٤.

(٨) سقطت (رجلاً) من أ.

(٩) في ك و ط (فأتيا).

(١٠) الواحد منهم: كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار.
انظر: المصدر السابق ٣٦٣/١٣، مادة كهن.

أنيساً، فأتى بصرمتنا ومثلها معها. قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقىٰ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بثلاث سنين. قلت: لمن؟ قال: لله. قلت: فأين توجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني ربي، أصلي عشاءً، حتى إذا كان من آخر الليل أُلقِيتُ كأني خِفَاء[1]، حتى تعلوني الشمس. فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني. فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث[2] علي[3]، ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة[4]، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء، فما يلتئم[5] على لسان أحد يقرى[6] بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر[7]، قال: فأتيت مكة فضعُفت[8] رجلاً منهم فقلت: أين هذا الذي

---

(١) **الخفاء**: هو الكساء الذي يغطي به السقاء (القربة).
انظر: مختار الصحاح ص ١٨٣.
في ط (خفا).

(٣) أي أبطأ عليَّ.

(٢) في أ و ط (فرات) والصواب ما أثبتناه من ك. انظر: اللسان ٢/١٥٧، مادة: ريث.

(٤) الواحد منهم: كاهن وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار.
انظر المصدر السابق ١٣/٣٦٣، مادة كهن.

(٥) يلتئم، من الملاءمة، وهي الموافقة، أي لا يتوافق مع الشعر على لسان أي شاعر.
انظر: اللسان ١٢/٥٥٨، مادة لوم.

(٦) سقطت (يقري) من أ.

(٧) في ك و ط زيادة: «قال: نعم، وكن على حذر من أهل مكة، فإنهم قد سبقوا له وتجهموا».

(٨) في ط (فضفت) وهو تحريف، ومعنى: **استضعفته**: أي وجدته ضعيفاً فألقيت عليه السؤال.
انظر: المصدر السابق ٩/٢٠٣، مادة ضعف.

تدعونه الصابىء؟ فأشار إليّ فقال: الصابىء، فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة[1] وعظم حتى خررت مغشياً علي. . .» وذكر الحديث وصفة إسلامه ــ رضي الله عنه ــ بلفظ مسلم[2].

وفي حديث البخاري عن ابن عباس: أن أبا ذر أرسل أخاه، وقال: اعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتني[3] فيما أردت، فتزود وحملَ شَنه[4] له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد[5]. . .» وذكر تمام الحديث.

وعن جابر بن عبد الله قال الملأ[6] وأبو جهل: لبد غَلَبَنا أمر

---

(١) كان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ (صبأ) عنوا أنه: خرج من دين إلى دين، **المدرة**: واحدة المدر، وهو قطع الطين اليابس.
انظر: المصدر السابق ١٠٧/١، مادة صبأ. و ١٦٢/٥، مادة مدر.

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر. . . ١٧٣/٧ (٣٨٦١) من فتح الباري، بمعناه. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر، ١٩١٩/٤ (٢٤٧٣).

(٣) أصل استعمال الشفاء في البرء من المرض، ثم نقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس.
انظر: اللسان ٤٣٧/١٤، مادة شفى.

(٤) أي قربة خَلَقٌ (بالية) صغيرة.
انظر: ترتيب القاموس ٧٦٦/٢.

(٥) سبق تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٦) هم أشراف القوم، سمو بذلك لملاءتهم، بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة =

محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلمه، وأتانا[1] ببيان من أمره.

قال[2] عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، فما يخفى عليّ إن كان كذلك. فأتاه فلما خرج إليه قال أنت ـ يا محمد ـ خير أم هاشم[3]؟ وأنت[4] خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله[5]؟ فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا؟ فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة، فكنت رأسنا ما بقيت. وإن كان بك الباه[6]، زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت. وإن كان بك المال، جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعد[7]، ورسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ساكت لا يتكلم، فلما

= الرأي، أو لأنهم يملأون العيون أبهة والصدر هيبة، والجمع «أملاء».
انظر: المصباح المنير ص ٥٨٠.

(١) في ك و ط (فأتانا).
(٢) في ط (وقال).
(٣) هو ابن عبد مناف بن قصي من كلاب أبو نضلة. وأمه: عاتكة بنت مرة بن هلال، تولى السقاية والرفادة، ومات بغزة وله ٢٠ سنة وقيل: ٢٥ سنة، وهو أول من مات من بني عبد مناف، وكان موسراً جواداً.
انظر: الكامل ١/٢٦٧ و٢/١٠؛ والبداية والنهاية ٢/٢١٠ و٢٥٣.
(٤) في ك و ط (أنت).
(٥) أي: والد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأمه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. مات وأم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حامل به.
انظر: السيرة لابن هشام ١/١١٤ و١٦٧.
(٦) الباه: النكاح والجماع.
انظر: ترتيب القاموس ١/٣٤٥.
(٧) في ك و ط (بعدك).

فرغ قرأ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

إلـى قولـه :

﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾[(١)] .

فأمسك عتبة على فيه، وناشد[(٢)] بالرحم[(٣)] أن يكف، ورجع إلى أهله، فلم يخرج إلى قريش، فاحتبس عنهم عتبة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، والله ما نرى عتبة إلاَّ قد صبأ[(٤)] إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلاَّ من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فأتاه أبو جهل فقال: يا عتبة ما حبسك عنا إلاَّ أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب، وأقسم أن لا يكلم محمد أبداً، وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيءٍ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر:

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ . . . ﴾ .

---

(١) سورة فصلت: الآيات ١ ــ ١٣.

(٢) من (نَشَدتك) الله، وبالله (أنشدك) ذكّرتك به واستعطفتك، أو سألتك به مقسماً عليك.
انظر: المصباح المنير ص ٦٠٥.

(٣) **الرحم**: موضع تكوين الولد، ثم سميت القرابة والوُصْلَة من جهة الولاء (رَحِماً)، فالرحم: خلاف الأجنبي، وهو أنثى في المعنيين.
انظر: المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٤) في ط (صبى).

إلـى قولـه:

﴿أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾[1].

فأمسكت بفيه، وناشدتـه الرحم أن يكف، وقـد علمتم أن محمداً إذا قـال شيئاً لم يكـذب، فخفت أن ينـزل بكم العـذاب» رواه أبـو بكـر أحمد بن مردويـه[2]، في كتاب التفسيـر[3] عن محمد بـن فضيـل[4] عن الأجلح[5] عن الـذيال بن حـرملة[6] عنـه،

---

(١) سورة فصلت: الآيات ١ ــ ١٣.

(٢) هـو أحمد بن موسى بن مردويه بن فُوْرَك بن موسى بن جعفر الأصبهـاني، أبو بكـر. الحافظ المجود العلامة، محدث أَصْبهان ولـد سنة ٣٢٣هـ ومـات سنة ٤١٤هـ. لـه كتاب التفسير الكبير والتاريخ والأمالي والمستخرج على صحيح البخاري.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٣٠٨ ــ ٣١١.

(٣) لم يذكر د. سزكين شيئاً عن تفسير ابن مردويه سوى قوله: «ومنـه نقول في الإصـابة لابن حجر. . .»، ثم ذكر مواضعها هناك.
انظر: تاريخ التراث العربي م ١ ج ١/٤٦٣ (٣٠٣).

(٤) محمـد بن فضيل، هـو ابن غـزوان بن جـريـر الضبـي مـولاهـم، أبـو عبـد الـرحمن الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٩٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠٠ ــ ٢٠١؛ وتهذيب التهذيب ٩/٤٠٥ ــ ٤٠٦.

(٥) الأجلح هو عبد الله بن حجَيَّة، ويقال: معاوية، الكندي، أبو حجيـة، ويقال، اسمـه يحيـى، والأجلح: لقب. وثقه ابن معين وغيره وضعفه آخرون، مات سنة ١٤٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/١٨٩.

(٦) الـذيال بن حـرملة، هو الأسـدي، كوفي، وثقـه ابن حبـان، قـال ابن حجـر: نسبه البخاري.
انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمـة الأربعة: ١٢٢، لأحمـد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، دار الكتاب العربـي، بيروت.
في ك و ط (الدبال).

ورواه يحيى ابن[1] معين عن محمد بن فضيل، ورواه أبو يعلى الموصلي[2] في مسنده[3]، ورواه عبد بن حميد[4] عن شيخ أبي يعلى ابن أبي شيبة[5].

وفي بعض الطرق: «إن كنت تزعم أن هؤلاء خيراً[6] منك فقد عبدوا الآلهة. وإن كنت تزعم أنك خيراً[7] منهم فتكلم حتى نسمع» ورواه ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم[8] عن

---

(١) هو ابن عون الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات بالمدينة النبوية سنة ٢٣٣هـ وله بضع وسبعون سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٥٨.

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، الإمام الحافظ، الثقة، محدث الجزيرة. شيخ الإسلام. ولد سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٣٠٧هـ أثنى عليه وعلى مسنده كثير من الأئمة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/١٧٣ ـ ١٨٢؛ وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩.

(٣) مسند أبي يعلى بدأ في الآونة الأخيرة يخرج من عالم الكتب الخطية حيث قام كل من د. فالح الصغير والشيخ مسفر بن سعيد بن دماس والشيخ عبد الله بن حمود التويجري بالعمل على تحقيق أكثر المسند المذكور، على هيئة رسائل دكتوراه. ولعلهم أو بعضهم يكملونه، وقد قامت إحدى دور النشر بنشر عدة أجزاء منه بشيء من التحقيق.

(٤) عبد بن حُمَيد هو ابن نصر الكِسِّي، أبو محمد، قيل اسمه: عبد الحميد. ثقة، حافظ، مات سنة ٢٤٩هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٢٩؛ وتهذيب التهذيب ٦/٤٥٥.

(٥) هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي: أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي، ثقة، حافظ شهير، وله أوهام، وقيل كان لا يحفظ القرآن من الطبقة العاشرة. مات سنة ٢٣٩ هـ وله ٨٣ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٤؛ وسير أعلام النبلاء ١١/١٥١ ـ ١٥٤.

(٦) في ط (خير).

(٧) في ط (خير).

(٨) ويقال: ابن أبي زياد، ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد، المدني، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال اسم أبي زياد: ميسرة، ويقال =

محمد بن كعب، قال: حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً. «وذكر الحديث إلى أن قال ـ»: لما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا[1] الوليد؟ قال: ورائي أني ـ والله ـ قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، واجعلوها[2] بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب[3] فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. فقالوا: سحرك[4] ـ والله ـ يا أبا الوليدَ بلسانه، قال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[5]. ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال[6].

= إنهما اثنان. قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٦٤؛ وتهذيب التهذيب ١١/٣٢٨.

(١) سقطت ألف (أبا) من أ.
(٢) في ك و ط (واجعلوني).
(٣) من رماه فأصابه.
انظر: المصباح المنير ١/٣٥٠.
(٤) في ط (أسحرك).
(٥) السيرة لابن هشام ١/٣١٣ ـ ٣١٤.
(٦) في السيرة لابن هشام لم يذكر الشعر بعد الرواية، ولعل فيما يقصده الشيخ المؤلف قصيدة أبي طالب التي في السيرة ١/٢٩١ ـ ٢٩٩، وفيها قوله:

وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغاول

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: قدم ضماد[1] مكة وهو رجل من أزدشنوءة، وكان يرقي من هذه الريح[2]، فسمع سفهاء من[3] أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله أن يشفيه على يدي، قال فلقيت محمداً، فقلت: إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهلم[4]. فقال محمد[5]: «إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه[6]، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن[7] محمداً عبده ورسوله، أما بعد» قال:[8] فقال: أَعِدْ عَلَيّ كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ثلاث مرات، فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر[9].

---

(١) ضماد: هو ابن ثعلبة الأزدي، كان صديقاً للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الجاهلية، وكان رجلًا يتطبب ويرقي ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام.
انظر: أسد الغابة ٢/٤٣٨.

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون ومس الجن، وفي غير رواية مسلم: «يرقى من الأرواح»، أي الجن، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس، فهم كالروح والريح.
انظر: شرح النووي لمسلم ٩/١٥٧. م ٣.

(٣) ليس في ك و ط (من).

(٤) هلم: تعال. انظر: مختار الصحاح ص ٦٩٨.

(٥) هكذا في سائر النسخ، والذي في متن مسلم (رسول الله).

(٦) في ط زيادة (ونسترشده).

(٧) في ك و ط زيادة (أشهد).

(٨) سقطت (قال) قبل (فقال) من ك و ط.

(٩) في أ (تاموس السحر) هكذا، وفي ك و ط «قاموس البحر» وقد أثبتنا ما في متن صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٣ (٨٦٨) وما في شرح النووي له ٦/١٥٧ م ٣. قال النووي هما: ضبطناه بوجهين: أشهرهما: ناعوس ــ بالنون والعين، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس =

قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «وعلى قومك»، فقال: وعلى قومي، الحديث[1].

وعن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة[2] جاء إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقرأ[3] عليه من القرآن:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[4].

قال: أعد، فأعاد النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «والله إن له الحلاوة، وإن عليه لَطَلاوة[5]، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله

= ــ بالقاف والميم ــ وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم، وقال القاضي عياض: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها: قاعوس ــ بالقاف والعين ــ وفي غيرها: تاعوس ــ بالتاء المثناة فوق ــ وفي أخرى: ناعوس ــ بالنون والعين ــ وقاموس البحر ــ وسطه أو لُجَّته أو قعره الأقصى.

(١) رواه مسلم بمثله، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/٥٩٣ ــ ٥٩٤ (٨٦٨).

(٢) هو ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها، كان قد حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هَرِم فعاداه وقاوم دعوته، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وله ٩٥ سنة.
انظر: الأعلام ٨/١٢٢ لخير الدين الزِّركلي ١٣٩٦هـ، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

(٣) في ك و ط زيادة (فقال اقرأ علي).

(٤) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٥) **الطَّلاوة** ــ بفتح الطاء وضمها ــ: الرونق والحسن والبهجة والقبول في النامي وغير النامي، والضم اللغة الجيدة، وهو الأفصح.
انظر: لسان العرب ١٥/١٤، مادة طلي.

لمغدق[1]، وما يقول هذا البشر».

وفي لفظ[2]: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: ولم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعوض مما قِبَلَه. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ [3] قومك أنك منكر لها[4] وأنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله[5] ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه[6] ولا بقصيده[7] مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لَطَلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليَحْطِم[8]

---

(١) **المغدق**: المطر الكبار القطر.
انظر: المصدر السابق ١٠/٢٨٣، مادة غدق.

(٢) في ك و ط زيادة (قال ابن عباس).

(٣) في ك و ط (ولا تبلغ) بدل قوله: (قولاً يبلغ).

(٤) في ك و ط (منكر له).

(٥) في ط (والله).

(٦) **الرَّجزَ**: ضرب من الشعر، وزنه: مستفعلن، ست مرات، سمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه. وزعم الخليل: أنه ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات، وأثلاث، والأرجُوزة: القصيدة منه، جمعه: أراجيز.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٣٠٦.

(٧) هكذا في ط، وفي أ و ك (قصيدة) وما أثبتناه أولى.
القصيد: ما تم شطر أبياته، وليس إلَّا ثلاثة أبيات فصاعداً، أو ستة عشر فصاعداً.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٦٢٩.

(٨) من الحَطْم، وهو الكسر.
انظر: ترتيب القاموس ١/٦٦٦.

ما تحته. قال: لا ترضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فـدَعْنِي حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يَأْثره عن غيره. فنزلت:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾[1].

رواه عبد الرزاق[2] عن مَعْمَر[3] عن أيوب[4] عن عكرمة عنه[5].

وفي رواية أخرى: «أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفـر من قريش، وكـان ذا سن فيهم، وقد حضـر الموسم فقـال: إن وفود العـرب ستقـدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هـذا، فأجمعـوا[6] فيه رأيـاً واحداً ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد بعضكم قول بعض، فقالـوا:

---

(١) سورة المدثر: الآية ١١.
رواه ابن جرير في جامع البيان ٢٩/١٥٦، بنحوه.

(٢) عبد الرزاق: هو ابن همام بن نافع الحِمْيَـري، مولاهم، أبـو بكر الصنعـاني، الثقة، الشيعي، حافظ مصنف شهير، عميَ في آخـر عمره، فتغيـر، مات سنـة ٢١١هـ وله ٨٥سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٥٦٣ ــ ٥٨٠؛ وتقريب التهذيب ٢/٥٠٥.

(٣) معمر: هو ابن راشد الأزدي، مولاهم، البصري، أبو عـروة، نزيـل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلَّا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا فيما حدث به بالبصرة، مات سنة ١٥٤هـ وله ٥٨ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٦؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣.

(٤) أيـوب، هو ابن أبـي تميمـة ــ كيسان ــ السختيـاني، أبـو بكـر البصـري، ثقـة ثَبْت حجة، من كبار فقهاء العُبَّاد. مات سنة ١٣١هـ وله ٦٥ سنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٨٩؛ وتهذيب التهذيب ١/٣٩٧.

(٥) أي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ.
تتبعت المصنف لعبد الرزاق فلم أوفق في العثور على هذا الحديث فيه.

(٦) أجمعوا، أي اتفقوا، من الإجماع.
انظر: ترتيب القاموس ١/٥٣٠.

فأنت يا أبا عبد شمس[1] فقل، وأقم لنا رأياً نقوم به. فقال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع، فقالوا نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان، فما هو بزمزمة[2] الكهان. فقالوا نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه، فما هو بخنقه[3] ولا تخالجه[4] ولا وسوسته[5]. قالوا: فنقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه[6] وقريضه[7] ومقبوضه ومبسوطه[8]، فما هو

---

(١) هي كنية الوليد بن المغيرة.

(٢) **الزمزمة**: الصوت البعيد له دوي، وتراطن العلوج على أكلهم وهم صُمُوت، لا يستعملون لساناً ولا شفة، لكنه صوت تديره ـ أي العلوج ـ في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٤٧٦.

(٣) من الخُنَاق، وهو داء أو ريح يأخذ الناس والدواب في الحلوق.
انظر: اللسان ١٠/٩٢، مادة: خنق.

(٤) من تخلج المجنون في مشيته، أي تجاذب يميناً وشمالاً.
انظر: المصدر السابق ٢/٢٥٨، مادة خلج.

(٥) من الوَسْوَسة وهي الصوت الخفي.
انظر: المصدر السابق ٦/٢٥٤، مادة وسس.

(٦) **الهزج**: كل كلام متدارك متقارب، وبه سمي جنس من العروض.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٥٠٧.

(٧) **القريض**: اسم عام للشعر.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢٩.

(٨) **المقبوض**: من القبض في زحاف الشعر، وهو حذف الحرف الخامس الساكن من الجزء، نحو النون في فعولن، أينما تصرفت، ونحو الياء من مفاعيلن، وكل ما حذف خامسه فهو مقبوض، وإنما سمي مقبوضاً ليفصل بين ما حذف أوله وآخره ووسطه. والمبسوط: هو البسيط: جنس من العروض، سمي به لانبساط أسبابه، قال أبو إسحاق: انبسطت فيه الأسباب، فصار أوله مستفعلن، ففيه سببان متصلان في أوله.
انظر: لسان العرب ٧/٢١٥ و ٢٦٠، مادة قبض. و: بسط.

بالشعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو بساحر، قد رأينا السُّحار وسحرهم، فما هو بِنَفْثه ولا عَقْده[1]. فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لَغَدِق، وإن فرعه لَجَنَى[2]، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلَّا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلَّا حذروه إياه، وذكروا له أمره[3]. فأنزل الله ــ تعالى ــ في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

إلى قوله:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[4].

وأنزل في النفر الذين كانوا معه:

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾.

أي أصنافاً[5].

---

(١) **النفث والعقد**: فعل السحرة، عندما يعقدون عقداً في خيوط أو غيرها وينفثون عليها ويرقون الرقى السحرية. انظر: البحر المحيط ٨/٥٣١.

(٢) **الجنى**: على وزن الحصى، وهو ما يجنى من الشجر ما دام غَضّاً. انظر: المصباح المنير ص ١١٢.

(٣) انظر: السيرة لابن هشام ١/٢٨٨.

(٤) سورة المدثر: الآيتان ١١ ــ ٢٦.
سبب النزول، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٠٧، وقال: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي.

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/١٩٩ ــ ٢٠١.
انظر: لسان العرب ١٥/٦٨، مادة عضا.

وروى ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قام النضر بن الحارث[1] فقال: «يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر، ما ابتليتم[2] بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا ــ والله ــ ما هو بسحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم[3]، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر. لقد روينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه[4] ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا ــ والله ــ ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون، فما هو بخنقه ولا تخليطه[5]، يا معشر قريش، انظروا في

---

(١) **النضر بن الحارث**: هو ابن علقمة بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى: أبا قائد، وكان أشد قريش في تكذيب رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس، ويخالط اليهود والنصارى، أسره المقداد يوم بدر، وأمر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بضرب عنقه فقتله علي بن أبي طالب صبرا بالأُثيل (واد بنواحي المدينة) أو بالصفراء سنة ٢ هـ.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٧؛ والكامل ٢/٤٩.

(٢) من الابتلاء، وهو الامتحان.
انظر: المصباح المنير ص ٦٢.

(٣) من سجع الرجل كلامه ــ كما يقال نظمه ــ: إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر، ولم يكن موزوناً.
انظر: المصباح المنير: ص ٢٦٧.

(٤) في ك و ط (مخرجه).

(٥) من التخليط في الأمر، أي الإفساد فيه.
انظر: اللسان ٧/٢٩٢، مادة خلط.

شـأنكم، فإنـه ــ والله ــ لقد نـزل بكم أمر عـظيم»[1]. وكـان النضـر بن الحـارث من شياطين قـريش، وممن يؤذي رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وينصب له العداوة[2].

قال[3]: وحدثني الزهري[4] قال: حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان، والأخنس ابن شريق[5]، خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون لـه، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجـر، تفـرقـوا، فجمعتهم الـطريق، فتـلاومـوا، وقـال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانيـة، عاد كـل رجل منهم إلى مجلسـه، فبـاتوا يستمعـون له، حتى إذا طلع الفجـر تفرقـوا، فجمعتهم الـطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كـانت الليلة

(١) أورده ابن هشام في السيرة ١/٣٢٠، بمثله.
(٢) المصدر السابق ١/٣٢١.
(٣) أي: ابن إسحاق.
(٤) الـزهري، هـو محمد بن مسلم بن عبيـد الله بن عبـد الله بن شهـاب بن عبـد الله بن الحارث بن زهرة بن كـلاب القرشي الـزهري، أبـو بكر، الفقيـه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة ١٢٥هـ، أو قبل ذلـك بسنة أو سنتين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٠٧؛ وسير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ ــ ٣٥٠.
(٥) اسمه: أُبَـيّ بن عمرو بن وهب الثقفي أبو المغيرة أو أبـو ثعلبة، حليف بني زهـرة بن كلاب، قال ابن هشام: وإنما سمي الأخنس لأنـه: خنس بالقـوم يوم بـدر، وهو من بني عِلَاج وهو عـلاج بن أبـي سلمة بن عـوف بن عقبة. وتنسب لـه أبيات في رثـاء عثمان بن عفان نسبها إليه: سيف بن عمر.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٠١ و٣/٣٣٧؛ والبداية والنهاية ٧/١٩٦.

الثالثة، فعلو كذلك، ثم جمعتهم الطريق فتعاهدوا أن لا يعودوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق، أخذ عصاه، ثم أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا، والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف[1] الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، ثم إذا تجاثينا على الرُّكَب، وكنا كَفَرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به ولا نصدقه أبداً»[2].

وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة، أن أبا جهل قال له مثل ذلك، وقال: إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن بني قصي[3] قالوا: فينا الندوة[4]،

---

(١) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.
انظر: جمهرة أنساب العرب ص ١٢ ــ ١٤.

(٢) السيرة لابن هشام ١/٣٣٧. وقد أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٠٦ عن ابن إسحاق بهذا الإسناد ــ أيضاً ــ .

(٣) هم بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب، وهم عمرو وهاشم، والمطلب وعبد شمس ونوفل، وأولادهم.
انظر: جمهرة أنساب العرب ١٢/١٤.

(٤) من النادي، وهو المجلس الذي يندو ــ أي يجتمع ــ إليه من حواليه، ولذلك سميت دار الندوة بمكة، كان إذا حدث بهم أمر نَدَوْ إليها، فاجتمعوا للمشاورة، فكان بنو قصي بمثابة رؤساء لمجلس الشورى أو (البرلمان) في مكة آنذاك.
انظر: معجم البلدان ٥/٢٧٩.

فقلنا: نعم. فينا الحجابة[1]. فقلنا: نعم. فينا السقاية[2]. فقلنا: نعم. وذكر نحوه[3].

وقد كانوا يرسلون[4] إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.

قال: محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: «بَعَثَت قريش النضر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي معيط[5] إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: اسألوهم[6] عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول[7]، وعندهم عِلْمُ ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله،

---

(١) أي: حجابة الكعبة المعظمة، وهي سدانتها وتولي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها.
انظر: لسان العرب ١/٢٩٨، مادة حجب.

(٢) هي الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها، ويسقى الحاج منه.
انظر: اللسان ١٤/٣٩٢، مادة سقي.

(٣) أخرجها البيهقي في الدلائل ٢/٢٠٧؛ وقد أوردها ابن كثير في السيرة ١/٥٠٧ ولم يعلق على إسنادها.

(٤) في ط (يرسلونه).

(٥) هو ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف ــ صبرا (وهو مأسور) وذلك يوم بدر، سنة ٢هـ كافراً. ويقال: قتله علي بن أبي طالب.
انظر: السيرة لابن هشام ٢/٣٦٥ ــ ٣٦٦.

(٦) سقطت الألف من (اسألوهم) في أ.

(٧) يقصدون التوراة.

وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: «سلوه عن ثلاث، نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل، فالرجل متقول[1]، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية[2] ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف[3]، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه. وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم».

فأقبل النضر وعقبة، حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأَخْبَرُوهم بها. فجاؤوا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، فقالوا: يا محمد: خَبِّرنا، فسألوه عما أمروهم به. فقال لهم رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: أخبركم، وجاءه[4] جبريل من الله بسورة الكهف، فيها خبر ما سألوه عنه، من أمر الفتية، الرجل الطواف، وقول الله:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[5].

---

(١) أي متكذب وقائل قولاً باطلاً.
انظر: جامع البيان للطبري ٢٩/٦٦.

(٢) جمع فتى، وهو الشاب الحدث، وهذا جمع قلة. وأما جمع الكثرة فهو (فتيان).
انظر: المصباح المنير ص ٤٦٢.

(٣) صيغة مبالغة من (طاف) بالشيء، أي استدار به.
انظر: المصدر السابق: ص ٣٨٠.

(٤) في ط (جاء).

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

قال ابن إسحاق: بلغني أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ افتتح السورة فقال:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[1].

يعني محمداً، أنك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته:

﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾.

أي أنزله قيماً: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه[2]، وذكر تفسير السورة إلى قوله:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[3].

أي وما قدروا من قدري، وفيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حجتي، ما هو أعظم من ذلك[4].

قال[5] مجاهد: «ليس بأعجب[6] من آياتنا من هو أعجب من ذلك»[7].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥/١٩١ ـ ١٩٢ بالإسناد نفسه.

(٣) سورة الكهف: الآية ٩.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥/١٩٧، حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، وذكره بنحوه.

(٥) في ك و ط زيادة (قال) ثانية.

(٦) في ك و ط زيادة (آياتنا) قبل قوله: (من آياتنا).

(٧) السيرة لابن هشام ١/٣٢١ ـ ٣٢٤، وبعضه بمعناه. وقد أورد بعضه ابن كثير في تفسيره ٥/١٣٢ ـ ١٣٤. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٢٦٩ ـ ٢٧١.

وفي تفسير العوفي[1] عن ابن عباس: «الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب، أفضل من شأن أصحاب الكهف»[2].

قلت[3]: والأمر على ما ذكره السلف، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإن مكثهم نياماً لا يموتون، ثلاثمائة سنة، آية دالة قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء، ليس كما يقوله أهل الإلحاد. وهي آية على معاد الأبدان كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ...﴾[4].

وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان.

وإخبار النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بقصتهم من غير أن يُعَلِّمه بشر، آية على نبوته، فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة، الإيمان بالله، واليوم الآخر، والإيمان برسوله[5]، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب، بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك.

---

(١) **العوفي**: هو عطية بن سعد بن جنادة الجدلي، الكوفي، أبو الحسن تابعي شهير، ضعيف، صدوق، يخطىء كثيراً، كان شيعياً مدلساً، من الطبقة الثالثة، مات سنة ١١١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٤٢؛ وميزان الاعتدال ٣/٧٩.
أخرجه الطبري في جامع البيان ١٥/١٩٨ وأورده ابن كثير في تفسيره ٥/١٣٥.

(٢) أخرجه ابن جرير، في جامع البيان ١٥/١٩٨، حدثني محمد بن سعد، قال ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس، وذكره.

(٣) سقطت (قلت) من أ.

(٤) سورة الكهف: الآية ٢١.

(٥) في ط (رسله).

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه[1] عنها، ليعلموا[2]: هل هو نبي صادق أم كاذب؟ فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ . . .﴾[3].

وقال:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

إلى قوله:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

إلى قوله:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

إلى قوله[4]:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا

---

(١) في ك (يسألوه).

(٢) في أ (ليعملوا) وهو تحريف نَسْخي.

(٣) سورة الكهف: الآية ٨٣.

(٤) في ك و ط نقص في الآيات، وسقطت كلمة (إلى قوله).

عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها:
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

أي يسألونك[3] عن ذاك، ويسألونك عن هذا.

والقرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه أحد من البشر، إلاَّ من جهة الأنبياء، الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة، لا يؤخذ خبرها قط إلاَّ عن نبي كموسى ومحمد، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات[4]، لا من أولياء الله[5]، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم.

وأهل الملل متفقون على ما دل عليه العقل الصريح، من أن هذا

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٣.

(٣) سقطت (عن) من ط.

(٤) قال عماد الدين الأموي «... ومنها الكشف: وهو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين».
انظر: حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب، لعماد الدين الأموي بهامش قوت القلوب ٢/٢٧٣.

(٥) أولياء الله، أي المطيعون لله.
انظر: المصباح المنير ٦٧٣.

لا يعلم إلاَّ بخبر نبـي . فإذا كان محمد[1] قد أخبر من ذلـك بما أخبـر به مـوسى وغيره من الأنبيـاء، وأخبر بمـا يعلمونـه، ممـا لا يعلمـه أحـد إلاَّ بـالتعلم منهم، وقد عـرف أن محمداً لم يتعلم هـذا من بشر، كـان هـذا آية[2] وبرهاناً قاطعاً على نبوته. ثم العلم بـأن محمداً لم يتعلم هـذا من بشـر يحصل في حيـاته[3]، أمـا قومـه المباشـرون له، الخبيـرون بحالـه فكـانوا[4] يعلمـون أنـه لم يتعلم هـذا من بشـر، فقـامت عليهم الحجـة بذلك، وأما من لم يعرف حاله إلاَّ بالسماع فيعلم ذلك بطرق:

منها: تواتر[5] أخباره، وكيف كـان؟ من حين ولد، إلى أن مـات، كما هي مستفيضة مشهورة[6] متواترة، يعلمها من كان[7] له خبرة بذلك، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى، فإن محمداً ظهر أمره، وانتشرت أخباره، وتواترت أحواله، أعظم من جميع بني آدم، فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفى على الناس، فكيف مثل هذا؟!

ومنها: أنه[8] أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتـاب، مثل

---

(١) في أ و ك (محمداً) وقد صوبناه من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (بينة).

(٣) في ك و ط (بوجوه).

(٤) في ك و ط (وكانوا).

(٥) الخبر المتواتر، هو مـا نقله من يحصل العلم بصـدقهم ضرورة، بـأن يكونـوا جميعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره.
انظر: تدريب الراوي ٢/١٧٦.

(٦) قيل هما بمعنى واحد، أي المستفيض والمشهور، وهو الخبر الـذي تزيـد نَقَلَتُه على ثلاثة، سمي بذلك لوضوحه أو لانتشاره.
انظر: المصدر السابق ٢/١٧٣.

(٧) سقطت (كان) من ك و ط.

(٨) في ك و ط زيادة (قد).

قصة هود، وصالح، وشعيب، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وعيسى، مثل تكليم المسيح في المهد[1]. ومثل نزول المائدة، فإن هذا لا يعرفه أهل الكتاب، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك، فيمتنع أن يقال: إن هذا تعلمه من أهل الكتاب، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك، بل قد أراهم[2] وغيرَهم آثار المنذَرين، الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل، كقوم عاد وثمود وغيرهم.

فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل، وعقوبة الله لمن يكذبهم. ويستدل قومه وغيرهم[3] على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور، التي لم يتعلمها من أهل الكتاب، بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم، ويكون هذا مما يدل على أنه لم يتعلم[4] من أهل الكتاب شيئاً[5]، كما قد يظنه بعضهم، وذلك من الوجهين كما تقدم.

ومنها: أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له، وحرصاً على تكذيبه والطعن فيه، وبحثاً عما به يقدحون فيه. فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر، لكانوا يعلمون ذلك، ويقدحون به فيه، ويظهرونه، ولكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره. فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ولم يتمكنوا من القدح به فيه، مع

---

(١) المهد: فراش الصبي.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٣٨.
(٢) في ك و ط (رأواهم).
(٣) في أ (وغيره) والصواب ما أثبتناه من ك و ط.
(٤) في ك و ط زيادة (ذلك).
(٥) سقطت (شيئاً) من ك و ط.

علمهم بحاله، ورغبتهم في القدح به[1]. ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور. فلما كان داعيهم تاماً، ولم يقدحوا، علم أن ذلك لعجزهم. وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله: دليل على أنهم علموا أنه لم يتعلمه من بشر.

ومنها: أن يقال: مثل هذا لو وقع، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم[2] والدواعي على نقله[3]، بل كان المتبعون له المؤمنون به، إذا اطلعوا على ذلك فلا بد أن يشيعوه ويعلنوه، فكيف المخالفون له، المكذبون له؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطأوا، كما لا يجتمعون على تعمد الكذب، فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك، بل يجتهد الملوك والرؤساء في إخفاء ما يبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه، ويُحَلِّفون أولياءهم على كِتمان ذلك، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك، ثم يظهر ذلك، كما فعل القرامطة الباطنية[4]، من أهل

---

(١) في ك و ط (فيه).

(٢) من هم بالشيء، يَهمُّ هَمّاً: نواه وأراده وعزم عليه.
انظر: اللسان ٦٢/١٢، مادة: همم.

(٣) في ك و ط زيادة كلمة (ويشيع).

(٤) هم من الإسماعيلية، وهم أصحاب قِرمط، وكان ظهوره سنة ٣٧٠هـ، وقيل إن قرمط اسم لقرية من قرى واسط، منها (حمدان) الذي اخترع ما عليه القرامطة، وهو قرمطي، وأتباعه كذلك، وكان ظهوره فيها، ومذهبهم: أن إسماعيل بن جعفر، خاتم الأئمة، وهو ــ في زعمهم ــ حي لا يموت، ويقولون بإباحة المحرمات ــ قاتلهم الله ــ.

انظر: التحفة الاثني عشرية: ١٧.

البحرين[1] بني[2] عبيد الله بن ميمون القداح[3]، وكما عرف الناس أن النصيرية[4] لهم خطاب يسرونه إلى أوليائهم وإن لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذي يسرونه.

لا سيما والذين آمنوا بحمده واتبعوه ــ أولاً ــ من المهاجرين، كانوا مؤمنين به باطناً وظاهراً، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال، وصبروا على أنواع المكاره والأذى: طائفة[5] كبيرة ذهبت إلى الحبشة،

---

(١) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين بالبصرة وعُمان من جزيرة العرب، وعُمان: آخرها ومدينتها هَجَر، وبينها وبين البصرة ١٥ يوماً، وبينها وبين عُمان مسيرة شهر. أي ٥٠٠ كلم في الأول و١٠٠٠كلم تقريباً وهي منطقة الأحساء حالياً.
انظر: مراصد الاطلاع ١/١٦٧.

(٢) (بني) معطوف على المجرور (أهل).

(٣) هم الفاطميون ــ الأدعياءالكذبة ــ ، والقداح، هو أبو محمد، المدعي أنه علوي، وتلقب بالمهدي، وقد اختلف في نسبه اختلافاً كثيراً جداً، حتى قيل: إن أباه يهودي، صباغ بسلمية، وإنما لقب بعبيد الله: زوج أمه، الحسين بن أحمد بن ميمون القداح، وقد بنى المهدية، ومات بها سنة ٣٢٢هـ، وله ٦٣سنة، وكانت ولايته على أفريقية ٢٤ سنة، ولما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده: أبو القاسم، الملقب بالخليفة القائم بأمر الله، وكتم موت أبيه لمدة سنة.
انظر: البداية والنهاية ١١/١٧٩ ــ ١٨٠.

(٤) هم أتباع (نصير) غلام علي بن أبي طالب، الذين ألهوا علياً ــ رضي الله عنه ــ وعلى هذا فهم طائفة من غلاة الشيعة، حيث زعموا أن الروح الإلّهية ظهرت في علي ــ رضي الله عنه ــ كما ظهر جبريل ــ عليه السلام ــ بصورة بشر، وكما ظهر الشيطان بصورة إنسان، ويزعمون أن علياً يسكن السحاب، ويرون التخميس والحجاب والباب، وحب ابن ملجم، وتناسخ الأرواح وتعظيم الخمر وشجرة العنب، وبينهم الخطاب السري، ويبيحون الزواج من البنات والأخوات والأمهات، ويعتقدون بالاسم والمعنى والأيتام الخمسة.
انظر: دراسات في الفرق: ٣٨ ــ ٤٦، د. صابر طعيمة، مكتبة المعارف بالرياض ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٥) في ك و ط (فطائفة).

مهاجرة بدينها لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينه[1]. وطائفة كانوا بمكة يُعذبون: هذا يقتل[2]، وهذا يخرج به إلى بطحاء مكة في الحر، وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر[3]، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعاً عرياناً[4].

ثم إنهم هجروا أحب البلاد إليهم، وأفضلها عندهم: مكة ــ أم القرى ــ إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها، وتركوا أموالهم بمكة، قال ــ تعالى ــ:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ... ﴾[6].

---

(١) منهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير ــ رضي الله عنهم ــ.
انظر: السيرة لابن هشام ١/٣٤٤.

(٢) كما قتلت سمية أم عمار بن ياسر.
انظر: المصدر السابق ١/٣٤٢.

(٣) في ك و ط زيادة (فلا يكفر).
انظر: المصدر السابق ١/٣٤٣.

(٤) في ط (عرباناً) وهو خطأ مطبعي.

(٥) سورة الحشر: الآية ٨.

(٦) سورة الحج: الآيتان ٣٩ ــ ٤٠.

وقال[1] ــ تعالى ــ :

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2].

وقـولـه[3]:

﴿ . . . يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ . . . ﴾[4].

وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعاً واختيـاراً، قبل أن يؤمـر أحد بقتال.

فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة، لا يقاتل أحداً، ولم يؤمر بقتال، بل كان لا يُكْرَه أحد على الدين كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ . . . ﴾[5].

وكانوا خلقاً كثيراً، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعـوا شخصاً، قد جاء بدين لا يوافقه عليه[6] أحـد، وطلب منهم أن يؤمنوا بـه ويتبعوه، ويفارقوا دين آبـائهم، ويصبروا على عـداوة الناس وأذاهم، ويهجـروا[7] لأجله مـا ترغب النفـوس فيه، من الأهـل، والمال، والوطن، وهو ــ مع

---

(١) في أ اتصلت الآية اللاحقة بالسابقة بدون فصل عند قوله:
﴿ . . . من ديارهم . . . ﴾.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٣) في ك و ط (وقال).

(٤) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٦) في ك و ط زيادة (في زمانه).

(٧) في ك و ط (هجروا).

ذلك ــ لم يعط أحداً منهم مالاً، ولا كان له مال يعطيهم إياه، ولا ولى أحداً ولاية[1]، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها، ولا أكره أحداً ولا بقرصة في جلده، فضلاً عن سوط أو عصا، أو سيف. وهو ــ مع ذلك ــ يقول عما يخبرهم به من الغيب: «الله أخبرني به، لم يخبرني بذلك بشر»[2].

فلو كانوا ــ مع ذلك ــ يعلمون أن تعلمه من بشر، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض. ويمتنع[3] في جِبِلَّة[4] بني آدم وفطرهم، أن يعلموا أنه كاذب، وأنه قد تعلم هذا من بشر، وليس فيهم من يخبر بذلك، مع أنهم كانوا كثيرين، لا يمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان، بل ولا داعي لهم، يدعوهم إلى ذلك. ويمتنع أن لا يعلموا ذلك، وهم بطانته[5] المطلعون على أحواله، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله.

والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً، لم ينزل جملة، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب، بين الذين آمنوا به، وباطنوه، واطلعوا على أسراره، وهو لا يعلم شيئاً من ذلك، ثم يخبرهم به[6]، وهم مطلعون على أمره، خبراً بعد خبر، وسؤالاً بعد سؤال، وهذا كان

---

(١) أي: لم يقلد أحداً عملاً وحكماً ولا إمارة. انظر: مختار الصحاح: ٣٣٧.

(٢) هذا معنى ما ورد في الكتاب والسنة، من إثبات نبوته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وإيحاء الله ــ تعالى ــ له، ونفي تلقيه عن غيره ــ عز وجل ــ.

(٣) في ط (وتمتنع).

(٤) أي: خِلْقَة.
انظر: مختار الصحاح ص ٩٢.

(٥) هم: ولِيجَته وخواصه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٧.

(٦) سقطت (به) من ط.

بمكة، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب، لا اليهود ولا النصارى، ثم هاجر إلى المدينة وبها خلق كثير من اليهود: قينقاع[1] والنضير[2] وقريظة، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها، أو أقل أو أكثر، وهم ـ أيضاً ـ يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلاَّ نبي، فيخبرهم بها، ويتلو عليهم ما سأله عنه المشركون من الغيب، وما أخبرهم به، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله[3] إليه، ويبين أن الله أعلمه ذلك، لم يعلمه إياه بشر، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى، والطائفتان ليس فيهم من يقول: إن هذا تعلمه منا، أو من إخواننا، أو نظرائنا، ولا إنك قرأته في كتبنا، مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم، لكان شيوخه منهم، وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم يمتنع أن يصدقوه باطناً وظاهراً، بل تصديقهم الكتاب الأول، وعلمهم بكذب من ادعى نزول كتاب ثانٍ، وقد تعلم منهم، يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه، ويقولوا للناس: تعلم منا نحن أخبرناه بذلك. لا سيما مع ما فعله باليهود: من القتل والحصار والجلاء[4] والسبي، وغير ذلك.

وهذا لو وقع، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ينقله الموافق والمخالف. فلما لم يقل[5] ذلك أحد، ولم ينقله أحد، مع ما أظهره من الأخبار[6] المتواترة، التي علمها الخاص والعام،

---

(١) في ط (يهود بني قينقاع).

(٢) الذي في ط تقديم (قريظة) على (النضير).

(٣) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ ولا ك.

(٤) **الجلاء**: هو الخروج من البلد والإخراج ـ أيضاً ـ.
انظر: مختار الصحاح ص ١٠٨.

(٥) في ك و ط (ينقل).

(٦) في ك و ط زيادة (المستفيضة).

بأن هذا مما أنبأني الله، لم يخبرني به بشر، كان هذا دليلاً قاطعاً بيناً، في أن هذه الأخبار الغيبية، التي لا يعلمها إلَّا نبي، أعلمه الله بها، أو من تعلَّمها من نبي[1]: هي مما أنبأه الله به، ولم يُعلِّمه ذلك بشر، وهذا من الغيب، الذي قال الله فيه ـ في السورة التي[2] فيها استماع الجن للقرآن، وإنذار قومهم به حيث قال ـ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾[3]﴾.

إلى قوله:

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ[4] لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا[5] ﴿٢٥﴾

---

(١) في ك و ط زيادة (أعلمه الله بها) علاوة على العبارة الأولى المشابهة.

(٢) في ك و ط زيادة: (ذكر).

(٣) تعالى جد ربنا: أي تعالت عظمة ربنا وجلاله. صاحبة: أي زوجة.
انظر: صفوة التفاسير ٢٩/٤٥٨.

(٤) **لبدا**: أي كاد يركب بعضهم بعضها من شدة الازدحام. **ملتحداً**: أي ملجأً ونصيراً. **بلاغاً**: أي إلَّا إذا أبلغت رسالة ربي، ونصحتكم وأرشدتكم، فحينئذ يجيرني ربي من العذاب.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٦١.

(٥) **أمداً**: أي بعيد له مدة طويلة. رصداً: أي ملائكة وحرساً.
انظر: المصدر السابق ٢٩/٤٦١ ـ ٤٦٢.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝٢٨﴾[1].

فقوله ـ تعالى[2] ـ :

﴿... فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ ...﴾[3].

يبيِّن أنه غيب يضاف إليه يختص به، لا يعلمه أحد إلَّا من جهته، بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم، فإن هذا قد يتعلَّمه بعضهم من بعض[4].

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل، وهي غير المسائل التي كان يُسأل عنها وهو بمكة، كما كان مشركوا قريش يرسلون إلى اليهود بالمدينة، يسألونهم[5] عن محمد، فيرسل[6] اليهود بمسائل، يمتحنون بها نبّوته، وذلك مثل ما في صحيح البخاري عن أنس قال: «جاء عبد الله بن سلَّام إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مَقْدَمُه

---

(١) سورة الجن: الآيات من ١ ـ ٣، ومن ١٩ ـ ٢٨.

(٢) ليس في ط كلمة التقديس.

(٣) في ط زيادة قوله ـ تعالى ـ : (أحداً).

(٤) في ك و ط زيادة إتمام السورة الكريمة. ثم جاء بعدها: فهذه أنباء الغيب، التي أوحاها إليه، هي من الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحداً، إلَّا من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً، يرصدون من يأتيه من إنسي وجني، فيدفعونه:

﴿... ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم...﴾.

(٥) في أ و ك (يسألوهم) والصواب ما أثبتناه من ط.

(٦) في أ (يرسلون) وفي ك (يرسلوا) والأولى ما اخترناه من ط.

المدينة[1] فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلَّا نبـي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، والولـد ينزع[2] إلـى أمــه تـارة وإلى أبيـه»[3]. قال: «أخبـرني جبريـل آنفاً». قـال عبد الله: ذاك عـدو اليهود من الملائكة، «أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة[4] كبد حوت[5]. وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجـل ماء المـرأة، نزع الـولد إلى أبيـه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه» فقال: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهـد أنـك رسـول الله» قـال: يـا رسـول الله: إن اليهــود قـوم بُهْت[6]، فـإن علمـوا بـإسـلامي قبـل أن تسـألهم عني بهتـوني عنـدك. فجـاءت اليهـود، فقـال لهم النبـي[7] ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قـالوا: خيـرنا وابن خيـرنا، وسيـدنا وابن سيـدنا، وعالمنا وابن عالمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله»؟ قالوا أعاذه[8] الله من ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهـد أن لا إلّه إلَّا الله، وأشهـد

---

(١) مقدمه: وقت مجيئه من الهجرة إلى المدينة.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٢٤.

(٢) أشراط: جمع شرط، وهو: العلامة. ينزع: أي يذهب في الشبه.
انظر: مختار الصحاح ص ٣٣٤ ـ ٦٥٤.

(٣) في ط زيادة (تارة) مرة ثانية.

(٤) الزيادة: هـي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم غاية في اللذة.
انظر: فتح الباري ٧/٢٧٣.

(٥) في ك و ط (كبد الحوت).

(٦) **بُهْت**: جمع بهيت، وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

(٧) في ك و ط (رسول الله).

(٨) أي: عصمه.
انظر: اللسان ٣/٤٩٩. مادة: عوذ.

أن محمداً رسول الله. فقالوا: «شرنا وابن شرنا» وتنقصوه. قال[1]: فهذا ما كنت أخاف وأحذر[2].

وروى مسلم ــ في صحيحه ــ عن ثوبان، قال: «كنت قائماً عند رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فجاء حَبْر من أحبار اليهود وقال[3]: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ قال: قلت ألا تقول: يا رسول الله؟ قال: إنما سميته باسمه الذي سمّاه به أهله. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : إن اسمي الذي سمّاني به أهلي محمد. فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «ينفعك شيء إن حدَّثتك»، قال: أسمع بأذني، فنكت[4] بعود معه. فقال له: «سل». فقال اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «في الظلمة دون الجِسْر»[5]، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين». فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون؟ قال: «زيادة كبدنون[6]». قال: وما غذاؤهم

---

(١) في ك و ط (فقال).

(٢) في ط (واحذره).

(٣) رواه البخاري. كتاب مناقب الأنصار. باب، حدثني حامد بن عمر..، ٢٧٢/٧ (٣٩٣٨) من فتح الباري. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٨/٣.

(٤) في أ (نكث)، وقد أثبتنا ما في الصحيح.

(٥) أي: الصراط. إجازة: أي عبوراً وجوازاً. تحفة: ما يخص به الرجل ويهدي إليه ويلاطف.

انظر: شرح النووي لمسلم ٢٢٧/٣.

(٦) أي: الحوت، وجمعه: نينان.

انظر: المصدر والموضع السابق.

على إِثْرِه؟ قال: «ينحـر لهم ثور الجنـة الذي كـان يأكـل من أطرافهـا». قـال: فما شـرابهم عليه؟ قـال: «من عين فيها تسمى سلسبيـلاً». قـال: صدقت. قال: وجئت أسـألك عن شيء لا يعلمـه أحد من أهـل الأرض إلَّا نبـي أو رجـل أو رجلان. قـال: «ينفعك إن حـدثتك». قـال: أسمع بـأذني. قال: جئت أسـألك عن الـولد؟ قـال: ماء الـرجل أبيض، ومـاء المـرأة أصفر، فـإذا اجتمعا فعـلا مني الرجـل مني المرأة أذكـرا[1] بإذن الله، وإذا علا مني المرأة[2] مني الرجل آنثا بإذن الله»، فقال اليهودي: صـدقت وإنـك لنبي، ثم انصـرف. فقـال النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ : «إنه سألني هـذا الذي سـألني عنه، ومـا أعلم شيئاً منـه حتى أتاني به الله ـ تعالى ـ »[3].

وروى أبو داود الطيالسي[4]، حدَّثنا عبد الحميـد بن بهرام[5]، عن

---

(١) في ط (ذكراً).

(٢) هكذا في ك و ط وقد سقطت كلمتا (مني المرأة) من أ فأكملناه منهما.

(٣) في ك و ط زيـادة: «رواه عبد بن حميـد في تفسيره عن أحمـد بن يـونس، عن عبـد الحميد، عنه».

مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة... **٢٥٢ (٣١٥)**.

(٤) هـو سليمـان بن داود بن الجـارود، الفـارسي ثم الأسـدي ثـم الـزبيـري، مـولى آل الزبير بن العوام، الحافظ الكبير، البصري، صاحب المسند، أثنى عليـه كثير من الأئمـة، وأخذ عليـه عدم التحـديث من أصله ـ أي من كتاب ـ وأنـه غَلَطَ في عدة أحاديث، وقد استشهـد به البخـاري في موضـع واحد من كتـابه، مـات سنة **٢٠٤هـ** بعدما عمر طويلاً.

انظر: سير أعلام النبلاء **٩/٣٧٨ ـ ٣٨٤**؛ وتقريب التهذيب **١/٣٢٣**.

(٥) هو: الـفـزاري المدائني، صاحب شهر بن حوشب، وثقه أبـو داود ويحيـى بن معين، مات قبل سنة **١٧٠هـ**.

انظر: سير أعلام النبلاء **٧/٣٣٤ ـ ٣٣٥**؛ وتقريب التهذيب **١/٤٦٧**.

شَهْـر بن حوشب[1]، عن ابن عبـاس، قال: حضـرت عصابـة من اليهود يوماً إلى النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقالوا: يا رسـول الله، حدِّثنـا عن خِلال نسألـك عنها، لا يعلمهـا إلَّا نبـي. فقال: «سلوني عمَّ شئتم، ولكن إجعلوا لي ذِمَّـة[2] الله، ومـا أخـذ يعقـوب على بنيـه[3]، إن أنـا حدَّثتكم بشيء تعرفـونه صـدقاً، لتتـابعوني على الإسـلام». قالـوا: لك ذلك. قل: «فسلوني عمَّ شئتم» قالوا: أخبـرنا عن أربـع خلال؛ أخبـرنا عن الـطعام الـذي حرَّم إسـرائيل على نفسـه من قبل أن تُنَـزَّل التـوراة. وأخبرنا عن ماء الرجل: كيف يكون الذكر منـه حتى يكون ذكـراً، وكيف يكـون الأنثى حتى يكون أنثى. وأخبـرنا كيف هـذا النبـي في النوم، ومن وليك[4] من الملائكة؟ قال: «فعليكم عهد الله وميثاقه، لئن أنا حـدثتكم لتتابعوني». فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال. «أنشدكم بالذي أنـزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسـرائيل ــ يعقـوب ــ مرض مـرضاً شديداً، طال سقمه فيه، فنـذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه: ألبـان الإبل، وأحب الطعام إليه: لحوم الإبل». قالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «اللهم اشهد عليهم». قال: «فأنشـدكم

---

(١) هـو أبو سعيـد الأشعري الشـامي، مولى الصحـابيـة أسمـاء بنت يـزيـد بن السكن الأنصارية، كان من كبار علمـاء التابعين، قـرأ القرآن على ابن عبـاس، وثقه الإمـام أحمد والعِجْلي ويحيى بن معين، مات سنة ١٠٠هـ وله ٨٠ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٣٧٢ ــ ٣٧٨؛ وتهذيب التهذيب ٤/٣٦٩.

(٢) ذمة: عهد. انظر: ترتيب القاموس ٢/٢٦٨.

(٣) لعله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كان يقصد ما ذكره ــ تعالى ــ :
﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به، إلَّا أن يحـاط بكم، فلما آتوه موثقهم، قال: الله على ما نقول وكيل﴾ [سورة يوسف: الآية ٦٦].

(٤) في ك و ط (الأمي في التوراة ومن وليه).

بالله، الذي لا إله إلَّا هو، الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان الولد والشبه له ــ بإذن الله ــ». قالوا: اللهم نعم. فقال: «اللهم اشهد» قال: «أنشدكم بالله، الذي لا إله إلَّا هو، وأنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه». قالوا: اللهم نعم. قال[1]: «اللهم اشهد». قالوا: أنت الآن: حدِّثنا من وليك[2] من الملائكة، فعندها نجامعك[3] أو نفارقك. قال: «وليي جبريل ــ عليه السلام ــ ولم يبعث الله نبياً قط إلَّا وهو وليه» قالوا: فعندها نفارقك، لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك. قال: «فما يمنعكم أن تصدقوا[4]؟» قالوا: إنه عدونا من الملائكة. فأنزل الله ــ عز وجل ــ:

﴿. . .[5] مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا[6] . . .﴾.

إلى قوله:

﴿. . . فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[7].

---

(١) في أ (قالوا) وهو تحريف نسخي.

(٢) أي: نصيرك.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٦٥٨.

(٣) نجامعك: أي نجتمع بك ونتفق معك.
انظر: المصدر السابق ١/٥٣٠.

(٤) في ط (تصدقوا به).

(٥) في ك و ط (قل).

(٦) في ك و ط زيادة (لما بين يديه).

(٧) سورة البقرة: الآيتان ٩٧، ٩٨.
رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٣٥٦ (٢٧٣١). مصور عن الطبعة الأولى بحيدر =

ففي هـذه الأحاديث أن علمـاء اليهود كعبـد الله بن سلام وغيـره، كـانوا يسـألونـه عن مسائـل يقولـون فيهـا: لا يعلمهـا إلاَّ نبـي: أي ومن تعلمها من الأنبياء، فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء ـ أيضـاً[1] ـ: «لا يعلمهـا إلاَّ نبـي أو رجـل أو رجـلان». فكـانـوا[2] يمتحنـونـه بهـذه المسائل، ليتبين: هـل يعلمها؟ وإذا كـان يعلم ما لا يعلمـه إلاَّ نبـي كان نبياً. ومعلوم أن مقصودهم بذلك أنمـا يتم إذا علموا أنـه لم يعلم[3] هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم. وإلاَّ فمعلوم أن هذه المسائـل كان تعلمها بعض الناس، لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء.

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين لـه من أهل الكتـاب، كانـوا يعلمون أن أحـداً من البشـر لم يُعَلِّمـه مـا عنـد أهـل الكتـاب من العلم، إذ لو جوزوا[4] ذلك عليه، لم يحصل مقصودهم من امتحانه. هـل هو نبـي أم لا[5]؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكـون تعلم ما لا يعلمـه إلاَّ نبـي من أهل الكتاب، كان من جنسهم، فلم يكن في علمـه بها[6] وإجـابتهم[7] عنها دليلاً[8] على نبّوته.

فلا بد أن يكـون هؤلاء السائلون يقـطعون بـأنه لم يتعلم من أهـل

= آباد الدكن بالهند، ١٣٢١هـ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق بيروت. وإسنـاد هذا الحديث رجاله موثقون، كما مر بنا في تراجمهم.

(١) أي في الحديث السابق عند الطيالسي.

(٢) في ك و ط (وكانوا).

(٣) في ك و ط (يتعلم).

(٤) في أ (جوزو) وهو نقص إملائي.

(٥) في ط (أو لا).

(٦) في ك و ط (علمهم بها) بدون (في).

(٧) في ك و ط (أحاديثهم).

(٨) في أ و ك (دليل) والأصوب ما أثبتناه من ط.

الكتاب. وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة[1] سنة. وانتشر أمره، وكذَّبه قومه، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه. فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه، أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلَّم منه، لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين.

فتبيَّن أنه كان معلوماً عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر ـ لا سيما ـ ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب ـ وقد كذبهم وحاربهم ـ لأظهروا ذلك، ولشاع في أهل الكتاب، فكان[2] إذا أجابهم، قالوا: هذا تعلَّمته من فلان، وفلان منا، أوهذا علمكه بعض أهل ديننا. وهذا كما كانوا يرسلون إلى قومه: من قريش، ليسألوه عن مسائل، ويقولون: إن أخبركم بهنَّ فهو نبي مرسل، وإلَّا فهو متقوِّل. ويقولون: سلوه عن مسائل لا يعلمها إلَّا نبي.

فهذا من أهل المدينة، ومن قريش قومه، يبيِّن أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك البشر، إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك، ولم يجز أن يقولوا: لا يعلمها إلَّا نبي. فإنهم كانوا جميعاً يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم[3] هذه المسائل، وبذلك يُعْرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء، أو بخلاف ذلك؟ ويعلمون أن من كان تعلمها[4] من أهل الكتاب، ومن تعلم منهم، لا يدل جوابه عنها على نبوّته، كما لو أجاب عن تلك

---

(١) في ك و ط (عشر).

(٢) في ك و ط (وكان).

(٣) في ك و ط (تعلم).

(٤) في ك و ط (يعلمها).

المسائل بعض أهل الكتاب، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض[1] المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب، التي لا يعلمها إلاَّ نبي، فإن ذلك لا يدل على نبوّته، لأنه قد تعلَّم ذلك من الأنبياء.

فدلَّ على أن مرادهم بقولهم: لا يعلمها إلاَّ نبي: أي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم من[2] بشر إلاَّ نبي، ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعاً متفقين على أنه لم يتعلم من بشر، مع انتشار أخباره. ومع اطلاع قومه على أسراره، ومع ظهور ذلك ــ لو وجد ــ ومع أنهم لو جوزوا تجويزاً أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن، لم يجز أن يُستدل بها على نبوّته، فدلّ على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر، لا في الباطن، ولا في الظاهر، وهذا طريق بيِّن، يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر، سوى الطرق المذكورة هنا.

● ● ●

---

(١) زيادة اللام في (بعض) تدل على أن الشيخ المؤلف ــ رحمه الله ــ يرى جواز تعدية الفعل بالجار ولو كان متعدياً، حيث أن الفعل (سأل) متوفرة فيه علامتا المتعدي وهما: صحة اتصاله بهاء ضمير غير المصدر وإمكان أن يبني منه اسم مفعول تام. انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ٢٧٥.
هذا مع احتمال أن تكون اللام زيادة نسخية، بالرغم من اتفاق جميع النسخ عليها، حتى نسخة أكسفورد.

(٢) ليس في ك و ط (من).

فصـل

جلاء آيات النبوة وتنوعها وكثرتها

ولما كـان محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ رسـولاً إلى جميـع الثقلين: جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم. وهو خـاتم الأنبياء ـ لا نبـي بعده ـ كان من نعمة الله على عباده، ومن تمـام حجـته على خلقـه، أن تكون آيات نبـوته، وبـراهين رسالتـه، معلومة لكـل الخلـق الذين بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوتـه ما ليس عنـد هؤلاء.

وكان يظهـر لكل قـوم من الآيات النفسيـة والأفقية، مـا يبين به أن القرآن حق، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ[1] بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

أخبـر ـ سبحانـه ـ أنه سيـري عباده[3] الآيـات في أنفسهم، وفي الآفـاق، حتى يتبين لهم أن القرآن حق، فـإن الضمير عـائد إليـه، إذ هو

---

(١) **شقـاق**: عداوة. **الآفـاق**: أقطار السمـوات والأرض. **شهيد**: مـطلع على كـل شيء لا تخفى عنه خافية.

انظر: صفوة التفاسير ٢٤/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) سورة فُصِّلت: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) في ك و ط (العباد).

الذي تقدم ذكره، كما قال:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

والضمير في (كان) عائد إلى معلوم.

يقول أرأيتم إن كان القرآن من عند الله، ثم كفرتم به، من أضل ممن هو في شقاق بعيد. فإنه على هذا التقدير، يكون الكافر[2] في شقاق بعيد، قد شاق الله ورسوله، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق، حيث كان في شق[3]، والله ورسوله في شِق، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ[4] وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٢) سقطت (الكافر) من أ.

(٣) أي: جانب. انظر: ترتيب القاموس ٢/٧٣٨.

(٤) جمع سبط، وهم القبيلة من اليهود. وهم أولاد يعقوب النبي ـ عليه السلام ـ وسموا بذلك من السَّبْط: وهو التتابع، أو من السَّبَط: وهو الشجر، مفرده: سبطة، شبهوا بالشجر لكثرتهم، وعددهم اثنا عشر قبيلة من اثني عشر ولداً، هم أولاد يعقوب، وهم ستة أشقاء: رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون، وأما يوسف وبنيامين، وكذلك: دان ونفتالي، وكذا: جاد وأشير فكل اثنان منهم شقيقان. انظر: ترتيب القاموس ٢/٥١٠؛ وسفر التكوين، الإصحاح التاسع والعشرون: ٣١ ـ ٣٥ والإصحاح الثلاثون: ١ ـ ٢٤ العهد القديم: ٤٢ ـ ٤٣. والبداية والنهاية ١/١٩٥.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦ ـ ١٣٧.

بيَّن أن من تـولى عن ذلك، لم يكن متبعـاً للحق قاصـداً له، فـإن هذا الذي قلتموه، لا يتولى عنه من أهل الكتاب من قَصْدُه الحق، وإنمـا يتولى عنه من قصده المشاقـة والمعاداة، لهـوى نفسه، وهـذا يكفيك الله أمره.

والقرآن إن كان من عند الله، ثم كفر به من كفر، فـلا أحد أضـل ممن هو في مثل حاله، إذ هو في شقاق بعيـد. وإن قُدِّر أنـه لم يعلم أنه حق، فهو ضال. والشقاق قد يكون مع العنـاد، وقد يكـون مع الجهـل، فإن الآيات إذا ظهرت، فأَعْرَض عن النظر الموجب للعلم، كان مشـاقاً، ولهذا قال عقب[1] ذلك:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2].

فـأخبر أنـه سيُري عبـاده من الآيات الأفقيـة والنفسية، مـا يبين أنه حق، ثم قال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[3].

فـإن شهادتـه وحده كـافية بـدون ما ينتـظر من الآيـات، كمـا قـال ــ تعالى ــ:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4].

وشهادته للقرآن ولمحمد، تكون بأقواله التي أنزلها قبـل ذلك على أنبيائه كما قال ــ تعالى ــ عن أهل الكتاب:

---

(١) في ك و ط (عقيب).

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٤.

(٣) سورة فصلت: الآية ٥٤.

(٤) سورة الرعد: الآية ٤٣.

﴿ . . . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

وتكون بأفعاله[2] وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين، الدالة صدق رسله، فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

والقرآن ـ نفسه ـ هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3] وإتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ[4] كان البشر لا يقدرون على مثله: لا[5] يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء ولا السحرة ولا غيرهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[6].

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة (سبحان)[7] وهي مكية،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

(٢) في ك و ط زيادة (وتكون بأقواله، التي أنزلها على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن القرآن نفسه آية بينة، ومعجزة قاهرة).

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

(٤) في أ (إذا) والأصوب ما في ك و ط، وهو ما أثبتناه.

(٥) في ط زيادة الواو (ولا).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
ظهراً: أي معيناً.
انظر: ترتيب القاموس ٢/١٣٢.

(٧) هذه أول كلمة شريفة من سورة الإسراء، وانظر البرهان في علوم القرآن ١/٢٦٩ ـ ٢٧٢ لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

صَدَّرها[1] بذكر الإسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس. وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم، عن جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته:

منها إقدامه على هذا الخبر العظيم، عن جميع الإنس والجن، إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجزون عنه: [2]هذا لا يقدم عليه من يطلب الناس أن يصدقوه، إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك، إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، فيفسد عليه ما قصده، وهذا لا يقدم عليه عاقل، مع اتفاق الأمم: المؤمن بمحمد، والكافر به، على كمال عقله ومعرفته وخبرته، إذ ساس العالم سياسة[3] لم يَسُسْهم أحد بمثلها.

ثم جَعْلُه هذا في القرآن، المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة، الذي يُقرأ به في الصلوات، ويسمعه[4] العام والخاص، والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر، وإلاَّ لو كان شاكاً في ذلك، لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه، وهذا

---

(١) مثل: صدر النهار، أي أوله ومتقدمة.
انظر: المصباح المنير: ٣٣٥.

(٢) في ط زيادة الواو (وهذا).

(٣) وهي الأمر والنهي والإدارة بصفة عامة.
انظر: ترتيب القاموس ٢/٦٤٦.
وتجدر الإشارة هنا إلى كتاب الشيخ المنشور بعنوان: السياسة الشرعية، في إصلاح الراعي والرعية، ط ٤، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م.

(٤) في ك و ط (وسمعه).

لا يفعله من يقصد أن يصدقه الناس، فمن يقصد أن[1] يصدقه الناس، لا يقول مثل هذا، ويظهره هذا الإظهار، ويشيعه هذه الإشاعة، ويخلده هذا التخليد، إلَّا وهو جازم عند نفسه بصدقه.

ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلَّا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ عِلْم العالِمَ بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، هو من أعظم دلائل كونه معجزاً، وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر، عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أُمِرَ ببلاغه إلى جميع الخلق، وهو ــ وحده ــ كاف في العلم بأن القرآن معجز.

دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة، على أنه معجز، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته، مع كمال الرغبة والحرص على معارضته. وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة. فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامّة عُلم عجز جميع الأمم عند معارضته، وهذا برهان ثان[2] يعلم به صدق هذا الخبر، وصدق هذا الخبر آية لنبوته، غير العلم بأن القرآن معجز، فإن[3] ذلك آية مستقلة لنبوته، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات.

فإن كونه معجزاً يعلم بأدلة متعددة، والإعجاز فيه[4] وجوه

(١) في ك (قصد)، وفي ط سقطت (يقصد أن) وجاءت في السطر الثاني، قبل كلمة (ويخلده).

(٢) في ك (بان) وفي ط (بين).

(٣) في ك و ط (فلذلك) بدون (فإن).

(٤) في ك و ط زيادة (من).

متعددة، فتنوعت دلائل إعجازه، وتنـوعت وجوه إعجـازه، وكل وجـه من الوجوه، هو دال على[1] إعجازه، وهـذه جمل لبسـطها تفصيـل طويـل، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾[2] ﴾.

فهو كاف في الدعوة والبيان، وهو كاف في الحجة[3] والبرهان.

• • •

(١) في ك و ط (فهو دليل إعجازه).
(٢) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٠ ـ ٥١.
(٣) في ك و ط (الحجج).

فصل[1]

التحقيق في اسم المعجزة والآية والكرامة وإطلاقهن

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) وتسمى (دلائل النبوة)، و (أعلام النبوة[2]).

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و (البينة) و (البرهان) كما قال ـ تعالى ـ في قصة موسى:

﴿. . . فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ . . .﴾[3].

في العصا واليد، وقال الله[4] ـ تعالى ـ في حق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[5]:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[6].

---

(١) في ك و ط زيادة (في إظهار معجزاته).

(٢) في ك و ط زيادة (ونحو ذلك).

(٣) سورة القصص: ٣٢.

(٤) لم يرد لفظ الجلالة المعظم في أ.

(٥) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٤.

وقد قال في مطالبة أهل الدعاوى الكاذبة بالبرهان:

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ[2]:

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[3].

وقال:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ[5]:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.
(٢) لم ترد كلمة التقديس في أ.
(٣) سورة النمل: الآية ٦٤.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.
(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ.
(٦) سورة القصص: الآيتان ٧٤ ــ ٧٥.

وأما لفظ (الآيات) فكثير في القرآن، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا[1] فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[2].

وقوله ــ تعالى ــ[3]:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ[5]:

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[6].

آية أخرى: وقول فرعون له:

﴿ ... فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[7].

---

(١) أي: ليفسدوا فيها ويفسقوا.
انظر: صفوة التفاسير ٤١٦/٨ م ١.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٢٣ ــ ١٢٤.

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٠١.
في ك و ط زيادة (... فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم...).
ذكر الله ــ عز وجل ــ للآيات التسع لموسى ــ عليه السلام ــ لا يقدح في ثبوت غير التسع من الآيات، وقد عدَّ أبو عبد الله الفخر الرازي منها ست عشرة آية، مذكورة في القرآن الكريم، ثم قال: (وقد اتفقوا على سبع منها، وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقي الاثنان، ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما...).
انظر: التفسير الكبير للرازي ٦٥/٢١ .

(٥) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٦) سورة النمل: الآية ١٢.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٣١.

وقال قوم صالح له[1] :

﴿ . . . فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾[2] .

وقـال :

﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾[3] .

وقال المسيح :

﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ [4] وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[5] .

وقال في حق محمد :

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾[6] .

---

(١) سقطت (له) من ك و ط.

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ١٥٤، ١٥٥.

أي: تشرب ماءكم يوماً، ويوماً تشربون أنتم الماء. صفوة التفاسير ١٩/٣٩١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٧٣.

(٤) أي: أشفي الذي ولد أعمى، كما أشفي المصاب بالبرص ـ بإذن الله ـ.

والبرص: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج.

انظر: المصدر السابق ٣/٢٠٣؛ وترتيب القاموس ١/٢٥٠؛ وتسهيل المنافع: ص ١٨١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٥.

في ك و ط زيادة قوله ـ تعالى ـ :

﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ [سورة الشعراء: الآية ١٩٧].

وقـــال:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾[1].

وقـــال:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ[2] وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٥ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾[4].

وقـــال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ[6]:

---

(١) سورة القمر: الآيتان ١ ـ ٢.

(٢) أكنة: أغطية. وقرا: ثقلاً وصمماً يمنع من السمع.
انظر: صفوة التفاسير ٧/٣٨٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٠ ـ ٥١.

(٥) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ . . . ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[3].

وقال: ـ لما ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء ـ قال في آخر كل قصة:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4].

وقال:

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

إلى أن قال في آخرها:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٢) سورة يونس: الآية ١٥.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٨ ـ ٩ و ٦٧ ـ ٦٨ و ١٠٣ ـ ١٠٤ و ١٢١ ـ ١٢٢ و ١٣٩ ـ ١٤٠ و ١٥٨ ـ ١٥٩ و ١٧٤ ـ ١٧٥ و ١٩٠ ـ ١٩١.

إلى قوله:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ[2]:

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقال:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[4].

وأما لفظ المعجز، فإنما يدل على أنه أعجز غيره، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ . . . وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[5].

وقال:

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ . . . ﴾[6].

---

(١) معرضون أي لا يفكرون فيها ولا يعتبرون. انظر: صفوة التفاسير ١٣/٦٩.
سورة يوسف: الآيتان ٧ ـ ١٠٥.

(٢) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٠.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.
ربوة: أي مكان مرتفع من أرض بيت المقدس. ذات قرار ومعين: مستوية يستقر عليها، وماء جارٍ ظاهر للعيون.
انظر: صفوة التفاسير ١٨/٣١٠.

(٥) سورة الزمر: الآية ٥١.

(٦) سورة الشورى: الآية ٣١.

ومن لا يثبت فعلاً إلاَّ لله، يقول: المعجز هو الله، وإنما سمي غيره معجزاً مجازاً. وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إلاَّ[1] إذا فُسر المراد به وذُكر شرائطه، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاًإلاَّ ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة.

والسلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذ وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات، إذا[2] لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك. بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه.

وقد يسمون الكرامات آيات، لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول[3]، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعَلَم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي[4]. وبسط هذا له موضع آخر[5].

والمقصود هنا أن دلائل نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كثيرة متنوعة، كما قد تكلمنا على ذلك في غير هذا الكتاب[6]، وبيَّنا أن

---

(١) سقطت (إلَّا) من ك و ط.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والذي يظهر لي أنها (إذ).

(٣) في ك (المدلول) وفي ط (للدلول).

(٤) في ك و ط زيادة (وقد يقال: إنهم سموها معجزات لأن كرامات الأولياء دليل على نبوة النبي الذي اتبعوه، ولهذا سموها آيات ـ أيضاً ـ، أو لأنها تعجز غيرهم، وهي آية على صحة طريقهم).

(٥) انظر الجواب الصحيح ١/٣٩٩ من طبعتنا هذه وما بعدها.
وانظر: كتاب النبوات: ٢/١٤ و ٢٨ وما بعدها.

(٦) انظر كتاب النبوات ص ٣٠.

من يخصص دلائل النبوة بنوع فقد غلط، بل هي أنواع كثيرة، لكن الآيات نوعان:

ومنها: ما مضى وصار معلوماً بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى.

ومنها: ما هو باقٍ إلى اليوم، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وكالعلم والإيمان الذي[1] في أتباعه، فإنه من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، فإنها ــ أيضاً ــ من أعلام نبوته، وكالآيات التي يظهرها الله وقتاً بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، ووقوع ما أخبر[2] بوقوعه، كقوله «لا تقوم الساعة[3] حتى تقاتلوا الترك[4]» وقوله: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من[5] أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»[6] وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستماية، وشاهد الناس أعناق الإبل[7] ببصرى[8].

---

(١) في ك و ط (اللذين).

(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ زيادة: (به) ولا أرى لها محلاً ممكناً.

(٣) هكذا في ك و ط، وقد سقطت كلمة (الساعة) من أ.

(٤) سبق تخريجه ٣/ ١٦١. رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.

(٥) في ك و ط (بأرض).

(٦) سبق تخريجه ٣/ ١٦٢. رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.

(٧) في ك و ط زيادة (في ضوء النار).

(٨) وقد ظهرت في يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ واستمرت شهراً، أو أكثر، وكان هذا في شرقي المدينة، من ناحية وادي شظا، مقابل جبل أحد، وقد زلزلت المدينة بسببها، وسمع أهلها أصواتاً مزعجة، قبل ظهورها بخمسة أيام، وقد شاهد غير واحد من الأعراب ببصرى صفحات أعناق إبلهم، كما نقل ذلك القاضي صدر الدين علي بن أبي قاسم التيمي الحنفي عن والده الشيخ صفي الدين. أحد مدرسي بصرى. وقد لجأ أهل المدينة في تلك الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها.
انظر: المصدر السابق ٦/٢٥٣ ــ ٢٥٤.

وظهر[1] دينه وملته بالحجة والبرهان، واليد والسنان[2]، وَمَثَلُ المثلات[3] والعقوبات التي تحيق[4] بأعدائه، وغير ذلك، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله، وغير ذلك.

● ● ●

---

(١) في ك و ط (وظهور).

(٢) هكذا في ك و ط، وفي أ (واللسان) والأولى ما أثبتناه من ك و ط.

(٣) **المثلات**: هي العقوبات لأمثال المكذبين.
انظر: صفوة التفاسير ١٣/ ٧٥.

(٤) **تحيق**: من الحوق، وهو الإحاطة.
انظر: ترتيب القاموس ١/ ٧٤١.

فصل [1]

بحث في الإعجاز القرآني

والقرآن [2] كلام الله، وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاص على غيره، كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلاَّ وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» [3].

والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه: جملة وتفصيلاً. أما الجملة، فإنه قد عَلِمَت الخاصة والعامة من عامة الأمم، علماً متواتراً أنه هو الذي أتى بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم.

والقرآن ــ نفسه ــ فيه تحدي الأمم بالمعارضة، والتحدي [4] هو أن يحدوهم: أي يدعوهم فيبعثهم [5] إلى أن يعارضوه، فيقال فيه: حداني على هذا الأمر: أي بعثني عليه، ومنه سمّي حادي العِيْس، لأنه بحداه يبعثها على السير [6].

---

(١) سقطت (فصل) من أ، وفي ك و ط زيادة (في معجزات القرآن).

(٢) في ط (القرآن).

(٣) رواه البخاري بمثله، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي...، ٩/٣ (٤٩٨١) من فتح الباري.

(٤) في ك و ط (والمتحدي).

(٥) في ك و ط (ويبعثهم) بالواو بدلاً من الفاء.

(٦) انظر: اللسان ١٤/١٦٨، مادة: حدا.

وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى[1] النبوة، ولكنه أصله الأول، قال ـ تعالى ـ في سورة الطور:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

فهنا قال:

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ[3] ﴾.

في أنه تقوله، فإنه إذا كان محمد قادراً[4] على أن يتقوله، كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به، من نظم ونثر، كان هذا ممكناً للناس، الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله.

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال ـ تعالى ـ:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ[5] ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[6].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ

---

(١) في أ (دعوة) وما أثبتناه من ك و ط أصح.

(٢) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٣) سورة الطور: الآية ٣٤.

(٤) في ك و ط (قادراً) بالنصب. وفي أ (قادر) والصواب ما أثبتناه.

(٥) أي: اختلقه وأتى به من عند نفسه.
انظر: صفوة التفاسير ١٢/٩.

(٦) سورة هود: الآية ١٣.

﴿مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1] .

فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، هم وكل من استطاعوا من دون الله، ثم تحداهم بسورة واحدة، هم ومن استطاعوا قال:

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] .

وهذا أصل دعوته، وهو الشهادة بأنه لا إله إلا الله[3]، والشهادة بأن محمداً رسول الله.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[4] .

كما قال:

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[5] .

أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترى، كما قال:

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[6] .

---

(١) سورة يونس: الآيتان ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) سورة هود: الآية ١٤.

(٣) لم ترد جملة (الشهادة بأن لا إله إلا الله) في ط ـ فقط ـ .

(٤) سورة هود: الآية ١٤.

(٥) في ك و ط زيادة ﴿. . . **وكفى بالله شهيداً**﴾.
سورة النساء: الآية ١٦٦.

(٦) سورة يونس: الآية ٣٧.

أي: ما كان لأن يفتري، يقول: ما كان ليفعل هذا. فلم ينف مجرد فعله، بل نفي احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنى: ما يمكن، ولا يحتمل، ولا يجوز أن يفتري هذا القرآن من دون الله. فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك، وهذا التحدي كان بمكة، فإن هذه السور مكية[1]، سور يونس، وهود، والطور.

ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال في (البقرة) وهي سورة مدنية:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ثم قال:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[2].

فذكر أمرين:

أحدهما: قوله:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ . . . ﴾.

---

(١) قيل في تعريف المكي والمدني عدة تعريفات، أشهرها: أن المكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة. وقد رجح الزركشي أن المكي: خطابُ المقصود به ــ أو جُل المقصود به ــ أهل مكة. . . كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة. والتعريف الأول أظهر.
انظر: البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧ ــ ١٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣ ــ ٢٤.
في ك و ط زيادة ﴿. . . أُعِدَّت للكافرين﴾.

يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق، فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب، الذي وعد به المكذبين، وهذا[1] دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة، بعد أن دعاهم بالحكمة، وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

والثاني: قوله:

﴿... وَلَن تَفۡعَلُواْ ...﴾.

و (لن) لنفي المستقبل، فثبت الخبر[2] أنهم فيما يستقبل من الزمان، لا يأتون بسورة من مثله، كما أخبر قبل ذلك، وأمره أن يقول في سورة (سبحان)، وهي سورة مكية، افتتحها بذكر الإسراء، وهو كان بمكة، بنص القرآن والخبر المتواتر، وذكر فيها من مخاطبته للكفار بمكة، ما يبين ذلك بقوله:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[3].

فعم[4] بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم، لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي والدعاء، هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما علم

---

(١) في ط (هذا).

(٢) في ك و ط (للخبر).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٤) في ك و ط زيادة (بأمره له أن يخبر).

من أن الخلق كلهم كانوا كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق يمكن، تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسئلونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، كما تقدم[1]. وتارة يجتمعون في مَجْمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه، وصاروا يضربون له الأمثال، فيشبهونه بمن ليس مثله[2] لمجرد شبه ما، مع ظهور الفرق. فتارة يقولون: مجنون. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: شاعر. إلى أمثال ذلك من الأقوال، التي يعلمون[3] هم وكل عاقل سمعها ـ أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة[4]، مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه ـ مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم[5] هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر، يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز[6] جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بحيلة وبغير حيلة. وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأت أحد

---

(١) ص: ٥/ ٤٧٢ وما بعدها من هذه الرسالة.

(٢) في ك و ط (بمثله).

(٣) في ط (يعلمونها).

(٤) من عارضه في المسير: أي سار حياله. وعارضه بمثل ما صنع، أي أتى إليه بمثل ما أتى.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٢٥.

(٥) هنا بياض في أ بمقدار كلمة وأكاد أجزم بأنه ليس هناك أي سقط.

(٦) في ك (بعجر عن) وفي ط (يعجز عن).

بنظيره، وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط. ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط. بل هو آية بينة معجزة، من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة، في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله ــ تعالى ــ وأسمائه، وصفاته، وملائكته، وغير ذلك.

ومن جهة معانيه، التي أخبر بها عن الغيب الماضي. وعن الغيب المستقبل. ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة، كما قال ــ تعالى ــ[1]:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[2].

وقال ــ تعالى ــ[3]:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[4].

وقال:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

(١) في ك و ط تقدمت آية سورة الكهف على آية سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

(٣) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥٤.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك[2]، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.

ومن أضعف الأقوال، قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي، مع تمام[3] الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة[4]، أو بسلبهم[5] القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله ـ تعالى ـ[6] لزكريا:

﴿... ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[7].

* وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام[8] * فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قُدِّر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم ـ جميعهم ـ عن هذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة، من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل

---

(١) سورة الزمر: الآيتان ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) في ك و ط (ولا يناقض ذلك).

(٣) في ك و ط (مع قيام) في أ (عن تمام) وقد اخترنا ما في أكسفورد.

(٤) في ك و ط (الجازمة).
في ك و ط تقدم قوله: (وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام) وسيأتي بعد ذكر الآية.

(٥) في ك و ط (أو سلبهم) بدون باء في أولها.

(٦) لم ترد كلمة التقديس في أ.

(٧) سورة مريم: الآية ١٠.

(٨) هذه الجملة بين النجمتين تقدمت عن هذا الموضع في ك و ط كما أشرنا.

هذا[1] البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله، أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم ــ مع ذلك ــ من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

ولو قُدِّر أن واحداً صنف كتاباً، يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً، يقدر أمثاله[2] أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه، كان هذا من أبلغ[3] العجائب الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن، قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم ــ كلهم ــ طاعتي، ومن لم يطعني، كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله.

فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين.

فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه[4] ــ فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل:

---

(١) في أ (هذه) وتذكير اسم الإشارة هنا أولى.

(٢) سقطت (أمثاله) من ط.

(٣) سقطت كلمة (أبلغ) من ك و ط.

(٤) هنا بداية جملة اعتراضية طويلة.

معجزتي أنكم كلكم، لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد، كإحداث غير المعتاد ـ فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقاً[2] على تقدير النقيضين: النفي والإثبات، فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر.

فهذا غاية التنزل، وإلاَّ فالصواب المقطوع به، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3] نفسه من تلقاء نفسه، على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه، لكل من له أدني تدبر[4]، كما قد أخبر الله به[5] في قوله:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[6].

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه.

---

(١) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٢) في ك و ط زيادة (للعادة).

(٣) لم ترد الجملة الدعائية في ك ولا ط.

(٤) **التدبر في الأمر**: التفكر فيه.
انظر: اللسان ٤/٢٧٣ مادة: دبر.

(٥) في ك و ط (أخبر في قوله).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

وقد انْتَـدَب[1] غير واحد لمعارضته، لكن جـاء بكلام فضـح به نفسـه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قـرآن مسيلمة الكـذاب، كقـولـه: (يـا ضفـدع بنت ضفـدعين، نِقِّي كم تَنِقِّين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين)[2].

وكذلك ــ أيضاً ــ يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعـه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كمـا وجد زكريا[3] عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه.

وأيضاً فلا نـزاع بين العقلاء المؤمنين بمحمـد والمكذبين لـه، إنه كان قصده أن يصدقه الناس ولا يكذبـوه، وكان ــ مـع ذلك ــ من أعقـل النـاس وأخبرهم وأعـرفهم بما جـاء به، ينـال مقصوده، سـواء قيل: إنـه صـادق أو كـاذب، فـإن من دعى النـاس إلى مثـل هـذا الأمـر العـظيم، ولم يزل حتى[4] استجابوا له طوعاً وكرهاً، وظهرت دعوته وانتشرت ملتـه هذا الانتشار، هو من عظماء الرجال على أي حال كان. فإقـدامه ــ مـع هـذا القصد ــ في أول الأمـر وهو بمكـة، وأتباعـه قليل، على أن يقـول خبـراً، يقطع بـه أنه لـو اجتمع الإنس والجن على أن يـأتـوا بمثل هـذا القـرآن لا يـأتـون بمثله، لا في ذلـك العصـر، ولا في سـائـر الأعصـار

(١) أي: استجاب لدواعي المعارضة.
انظر: مختار الصحاح ٦٥١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣/٢٨٤؛ والكامل ٢/٢٤٤؛ والبداية والنهاية ٦/٣٢٦.

(٣) **المقصود**: هو زكريا النبي ــ عليه السلام ــ وراجـع سورة آل عمـران: ٤١، وسورة مريم: الآية ١٠.

(٤) سقطت (حتى) من أ وقد أشار الناسخ إلى سقط ولكنه لم يثبت شيئاً.

المتأخرة، لا يكون إلَّا مع جزمه بذلك، وتيقنه له، وإلَّا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتَضِح، فيرجع الناس عن تصديقه.

وإذا كان جازماً بذلك، متيقناً له، لم يكن ذلك إلَّا عن إعلام الله له بذلك. وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه، إلَّا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر. والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً، فإنا نعلم ذلك، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقاً للعادة، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم، وإلَّا كان العلم جهلاً، فثبت أنه ــ على كل تقدير ــ يستلزم كونه خارقاً للعادة[1].

وأما التفصيل، فيقال: نفس نظم[2] القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل[3]، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس: عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق[4] للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل[5]، يعرفه من له نظر وتدبر.

---

(١) في ك و ط بعد هذا زيادة وهي: (ولو قال مفتر: بل أنا أقول: الذي أخبر بهذه الغيوب وأتى بهذه العجائب، كان جاهلاً أخرق، ولا يدري ما يقول. قيل له: فهذا أبلغ في الإعجاز وخرق العادة أن يكون مجنوناً قد أتى بهذه الغيوب والعجائب التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين).

(٢) **النظم**: هو التأليف، وضم شيء إلى آخر. انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٩٦.

(٣) في ك و ط تقدمت (الرسائل) على (الخطابة).

(٤) في أ (خارقا) بالنصب والأصح ما في ك و ط ولهذا اعتمدناه.

(٥) مع كثرة التفاصيل والتنبيهات والدقائق، فالشيخ المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ يرى نفسه أنه ينزع إلى الإيجاز والاختصار.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة، والعرش، والكرسي، والجن، وخلق آدم، وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن، من الدين، والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبَيَّنه من الدلائل هو ـ أيضاً ـ كذلك.

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلّهية، والخلقية، والسياسة[١]، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلّهية: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء[٢]، وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت[٣]، أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم.

فالإعجاز في معناه، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم[٤] عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. وما في التوراة والإنجيل: ولو قدر أنه مثل القرآن، لايقدح في المقصود، فإن تلك كتب الله ـ أيضاً ـ، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى. وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً

---

(١) في أ (والسياسة) والأولى ما اعتمدناه من ك و ط.

(٢) في ك زيادة (تفاوت عظيم ووجد) وهي في ط (تفاوتاً عظيماً) بالنصب، وليست هذه الزيادة في أ.

(٣) في ط (التفات).

(٤) في ك و ط (بني آدم).

لمعاني القرآن، لا في الحقيقة، ولا في الكيفية، ولا[1] الكمية؟! بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن، وتدبر الكتب.

وهذه الأمور من ظَهَرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه. ومن لم يظهر له ذلك، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله، كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي وإخباره بعجزهم، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد.

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد، كالحوادث المشهودة، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك. وفيها ما يختص به مَنْ عَرَفَه، مثل دقائق التشريح[2]، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق، والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود[3] به على عباده جوداً عاماً ميسراً.

فلما كانت حاجتهم إلى النَّفَس أكثر من حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان ـ سبحانه ـ قد جاد بالهواء جوداً عاماً في كل مكان وزمان[4]، لضرورة الحيوان إليه، ثم

---

(١) في ط زيادة (في).

(٢) التشريح: علم تعرف به جميع أجزاء جسم الإنسان. وارتباطها بعضها ببعض، والمراد المتكونة منها.

انظر دائر معارف وجدي ٥/٣٧٤.

(٣) **الجود**: العطاء السخي.

انظر: ترتيب القاموس ١/٥٥٢.

(٤) في ط (زمان ومكان).

الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت[1] وأيسر، لأن الحاجة إليه أشد.

فكذلك دلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة. فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا[2] يحتاج إليه العامة، مثل تماثل الأجسام واختلافها، وبقاء الأعراض أو فنائها، وثبوت الجوهر الفرد[3] أو انتفاؤه، ومثل مسائل المستحاضة، وفوات الحج وفساده، ونحو ذلك، مما يتكلم فيه بعض العلماء.

● ● ●

---

(١) **القوت**: ما يؤكل ليمسك الرمق (الحياة).
انظر: المصباح المنير ص ٥١٨.

(٢) سقطت (لا) من ك و ط.

(٣) **الجوهر الفرد**: هو الذي ليس له في الحال جزء بالفعل، وفي قوته أن يتجزأ أجزاء غير متناهية كل منها أصغر من الآخر.
انظر: الملل والنحل ٢/٢٠١.

فصل

شخصية الرسول وشريعته وأمته، وكرامات الصالحين منها، كل ذلك من آياته

وسيرة الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1] وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالح أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد وإلى[2] أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله[3]، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً: من صميم سلالة إبراهيم، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي[4] بعد إبراهيم إلَّا من ذريته، ونجعل له ابنين: إسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات غيره، ودعا إبراهيم لذرية[5] إسماعيل: بأن يبعث فيهم رسولاً منهم، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى، وبلد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

---

(١) في ك و ط زيادة (من آياته).

(٢) في ك و ط (إلى).

(٣) من الفصيلة: وهم عشيرة المرء ورهطه الأدنون، أو أقرب آبائه إليه.
انظر: ترتيب القاموس ٣/٤٩٧.

(٤) في ك و ط زيادة (من).

(٥) في أ (لذريته) وهو خطأ.

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل، ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم، وكل وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وممن[١] كفر بعد النبوة، لا يعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جرب[٢] عليه كَذْبة قط، ولا ظلم، ولا فاحشة، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها، وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، وكان أمياً من قوم أميين، لا يعرف، لا هو، ولا هم، ما يعرفه أهل الكتاب: التوراة والإنجيل. ولم يقرأ شيئاً عن علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يَدَّعِ نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة، فأتى بأمر هو[٣] أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبرنا بأمر، لم يكن في بلده وقومه، من يعرف مثله[٤].

ثم[٥] اتبعه أتباع الأنبياء، وهم ضعفاء الناس، وكَذَّبه أهل الرياسة وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم. والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة[٦]،

---

(١) سقطت (ممن) من ك و ط.

(٢) في ك و ط (جرت) بالتاء وفي أ (جرب) بالباء.

(٣) في ط (وهو).

(٤) في ك و ط زيادة: «ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار، ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به، ولا ظهر كظهوره، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة وباليد والقوة كظهوره».

(٥) في ك و ط زيادة (إنه).

(٦) رسمت (لرهبة) في أ هكذا (أرهبه).

فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم، ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه. وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى، وهم صابرون محتسبون، لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة. وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم، فتجتمع في الموسم قبائل العرب، فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة، ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب، وجفاء[1] الجافي، وإعراض المعرض، إلى أن اجتمع بأهل يثرب، وكانوا جيران اليهود، قد سمعوا أخباره منهم، وعرفوه، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر، الذي تخبرهم به اليهود، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة، فآمنو به وبايعوه[2] على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة، إلَّا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر، ثم حسن إسلام بعضهم، ثم أُذِنَ له في الجهاد، ثم أُمِرَ به، ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظُلْمٌ لأحد، ولا غدرٌ بأحد، بل كان أصدق الناس، وأعدلهم، وأوفاهم بالعهد، مع اختلاف الأحوال عليه، من حرب وسلم، وأمْنٍ وخوف، وغِنًى وفقر، وقِلَّةٍ وكثرة، وظهوره على العدو تارة، وظهور العدو عليه تارة، وهو

---

(١) أي: غلظته وفظاظته.
انظر: المصباح المنير ص ١٠٤.

(٢) في ك و ط (تابعوه).

ـ على ذلك[١] ـ لازم[٢] لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب، التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرةً ولا معاداً، فصاروا أعلم أهل الأرض، وأَدْيَنهم، وأعدلهم، وأفضلهم. حتى أن النصارى لما رأوهم ـ حين قدموا الشام ـ قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء. وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع ظهور أمره، وطاعة الخلق له، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ـ مات ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[٣] ـ ولم يخلف درهماً ولا ديناراً، ولا شاة ولا بعيراً له، إلَّا بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً[٤] من شعير، ابتاعها لأهله[٥]، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، فحكم بأنه لا يورث، ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك.

---

(١) في ك و ط زيادة (كله).

(٢) في ك (لازماً)، وفي ط (ملازم).

(٣) الجملة الدعائية ليست في أ ولا ك.

(٤) في جميع النسخ «وسقاً». وقد رجحنا أنها خطأ وصوبناها من صحيح البخاري وغيره.

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ...، ٦/٩٩ (٢٩١٦) من فتح الباري بلفظ: «توفى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»، وقال يعلى: حدثنا الأعمش: «درع من حديد» ورواه مسلم، بمعناه، كتاب المساقاة، باب الرهن..، ٣/١٢٢٦ (١٦٠٣)، ورواه الترمذي برقم (١٢١٤)؛ وابن ماجه برقم (٢٤٦٤)؛ وأحمد في المسند ١/٣٠٠.

وهو في كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويُشرَع الشريعة شيئاً بعد شيء. حتى أكمل الله دينه الذي بعث به، وجاءت شريعته أكمل شريعة، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلَّا أمر به، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلَّا نهى عنه، لم يأمر بشيء فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقيل[1]: ليته لم ينه عنه، وأحل الطيبات، لم يحرم شيئاً منها كما حُرِّم في شرع غيره، وحرم الخبائث، لم يحل منها شيئاً كما استحله غيره. وجمع محاسن ما عليه الأمم، فلا يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر: إلَّا وقد جاء به على أكمل وجه، وأخبر بأشياء ليست في[2] الكتب[3].

فليس في الكتب إيجاب لعدل، وقضاء بفضل، وندب إلى الفضائل، وترغيب في الحسنات، إلَّا وقد جاء به وبما هو أحسن منه.

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها، وعبادات غيره من الأمم ظهر فضلها ورجحانها، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع.

وأمته أكمل الأمم في كل فضيلة، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعباداتهم[4] وطاعتهم لله

(١) في أ (قيل).
(٢) في ك و ط زيادة (هذه).
(٣) في ك و ط زيادة (تلك).
(٤) في ك و ط (عبادتهم).

بغيرهم، ظهر أنهم أدْيَنُ من غيرهم. وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله، وصبرهم على المكاره في ذات الله، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً. وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم. وهذه الفضائل به نالوها، ومنه تعلموها وهو الذي أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو[1] بتكميله، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة.

فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم: بعضها من التوراة، وبعضها من الزبور، وبعضها من النبوات، وبعضها من المسيح، وبعضها ممن بعده كالحواريين[2]، وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم، حتى أدخلوا ـ لَمَّا غيروا دين المسيح ـ في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح.

وأما أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود، والتوراة والإنجيل والزبور إلاَّ من جهته، فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال ـ تعالى ـ في الكتاب الذي جاء به:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ

---

(١) سقطت (هو) من ط.

(٢) في ك و ط زيادة (ومن بعد الحواريين).

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[2] لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴾[3].

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئاً من الدين من غير ما جاء به، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فلا[4] يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله.

لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم، اعتبروا به، وما حدثهم[5] أهل الكتاب، موافقاً لما عندهم: صدقوه، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه، أمسكوا عنه، وما عرفوا أنه باطل: كذبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه، من أقوال متفلسفة الهند أو[6] الفرس أو اليونان

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(٢) أي: لا يكلف المولى ــ سبحانه ــ أحداً فوق طاقته.
انظر: صفة التفاسير ٣/١٨١.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) في ك و ط (ولا).

(٥) في ك و ط زيادة (به).

(٦) في ك و ط بالعطف بالواو.

أو غيرهم، كان ـ عندهم ـ من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين[1] الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك، كانوا مذموماً مدحوراً عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، [2]الظاهرون إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[3].

وقد تنازع بعض المسلمين، مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً، ودين محمد خصوصاً.

ومن خالف[4] في هذا الأصل كان ـ عندهم ـ ملحداً مذموماً، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً، قام به أكابر علمائهم وعبادهم، وقاتل عليه ملوكهم، ودان[5] به جمهورهم، وهو دين مبتدع، ليس هو دين المسيح، ولا دين غيره من الأنبياء.

والله ـ سبحانه وتعالى[7] ـ أرسل رسله بالعلم النافع والعمل

---

(١) في ك و ط (المسلمين).
(٢) في ك و ط زيادة (وهم).
(٣) سبق تخريجه ١/ ٩٢ من طبعتنا هذه.
(٤) سقطت (في) من ك و ط.
(٥) في ك و ط (وكان).
(٦) أي: تعبدوا به.
انظر: المصباح المنير ص ٢٠٥.
(٧) ليس في أ كلمة التقديس.

الصالح، فمن اتبع الرسل، حصل له سعادة الدنيا والآخرة. وإنما دخل في البدع من قصر في اتِّباع الأنبياء، علماً وعملاً.

ولما بعث الله محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[1] بالهدى ودين الحق، تلقى ذلك عنه المسلمون أمته.

فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أخذوه عن نبيهم، مع ما يظهر لكل عاقل: أن أمته أكمل الأمم، في جميع الفضائل العلمية والعملية. ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو[2] من الأصل المعلِّم. وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علماً ودينا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله:

﴿. . . إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . .﴾[3].

لم يكن كاذباً مفترياً، فإن هذا القول لا يقوله إلَّا من هو من خيار الناس وأكملهم، إن كان صادقاً، أو هو من شر الناس وأخبثهم، إن كان كاذباً.

وما ذكر من كمال علمه ودينه، يناقض الشر والخبث والجهل، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله:

﴿. . . إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) ليس في أ الجملة الدعائية.

(٢) في ك و ط (فهو).

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

لأن الذي لم يكن صادقاً: إما أن يكون متعمداً للكذب أو مخطئاً، والأول: يوجب أنه كان ظالماً غاوياً، والثاني: يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً. وكمال علمه ينافي جهله، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمداً للكذب، ولم يكن جاهلاً يكذب بلا علم، وإذا انتفى هذا وذاك، تعين أنه كان صادقاً عالماً بأنه صادق، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ [1] وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ [2] إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ عن المَلَكِ الذي جاء به:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾[4].

ثم قال عنه:

﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ (٢٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾.

أي: بمتهم، أو بخيل، كالذي لا يُعَلِّم إلاَّ بجُعْل[5]، أو لمن يكرمه:

---

(١) أي: وما اعتقد باطلاً قط، بل هو في غاية الهدى والرشاد.
انظر: صفوة التفاسير ٢٧/ ٢٧٢.

(٢) أي: لا يتكلم عن رغبة نفسية ولا عن رأي شخصي.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) سورة النجم: الآية ٤.

(٤) سورة التكوير: الآيات ١٩ ـ ٢١.

(٥) من الجعالة: وهي تعيين مبلغ مالي لمن يعمل له عملاً، من رد آبق أو ضالة أو بناء

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ .

ــ إلى قوله ــ :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾(١) .

بيَّن ــ سبحانه ــ أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصِّل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر: وهو الكذب والفجور، لا يقصد الصدق والعدل، فلا يقترن إلَّا بمن فيه كذب(٢)، إما عمداً وإما خطأً، فإن الخطأ في الدين هو(٣) من الشيطان ــ أيضاً ــ كما قال ابن مسعود ــ لما سئل عن مسألة ــ : «أقول فيها برأيي(٤)، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»(٥) .

أو خياطة وسائر ما يستأجر عليه من الأعمال.

انظر: الكافي في فقه الإمام. . .ابن حنبل ٢/٣٣٢.

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٩٥ ومن ٢٢١ ــ ٢٢٣.

(٢) في ط زيادة (فجور).

(٣) سقطت (هو) من ك و ط.

(٤) في جميع النسخ (برأي) وقد صوبناه من الأصول.

(٥) رواه أبو داود بمعناه، كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يُسَمِّ صداقاً حتى مات، ٢/٢٣٧ (٢١١٦). والنسائي، بمثله، كتاب النكاح، باب إباحة التزوج بغير صداق ٦/١٢٢، والدارمي عن أبي بكر، كتاب الفرائض، باب الكلالة ٢/٣٦٥ ــ ٣٦٦ =

فالرسول بريء من تنزُّلِ الشيطان عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول، فإنه قد يخطىء ويكون خطؤه[1] من الشيطان، وإن كان خطؤه مغفوراً له، فإذا لم يُعْرَف له خبر أخبر به كان فيه مخطئاً، ولا أَمْرٌ[2] أَمَرَ به كان فيه فاجراً. عُلم أن الشيطان لم ينزل عليه، وإنما ينزل عليه مَلَكٌ كريم، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

• • •

= والإمام أحمد في المسند ٤/٢٧٩. والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، من تزوج ولم يفرض صداقاً ٢/١٨٠، بمثله، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(١) في أ رسمت (خطاه) وفي ك (وخطاوه).

(٢) سقطت (أمر) من ك و ط.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ــ ٤٣.

في ك و ط ذكر الآية الأولى: «إنه لقول رسول كريم» فقط، ثم عقب عليها بجملة: «إلى آخر الآية».

فصل[1]

نَقْل الناس لصفاته ـ عليه السلام ـ الدالة على كماله

وقد نقل الناس صفاته الظاهرة[2]، الدالة على كماله، ونقلوا أخلاقه، من حلمه وشجاعته وكرمه وزهده وغير ذلك. ونحن نذكر بعض ذلك:

ففي الصحيحين عن البراء بن عازب[3] قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خَلْقاً، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير»[4].

وعنه قال: «كان[5] بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجُمَّة[6] إلى

---

(١) في ك و ط زيادة (في صفاته).

(٢) في ك و ط (الطاهرة) بالطاء المهملة.

(٣) هو ابن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي، ابن صحابي، نزل الكوفة، استصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَة ـ قرين ـ مات سنة ٧٢هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٩٤؛ وأسد الغابة ١/٢٠٥.

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٤ (٣٥٤٩) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي...، ٤/١٨١٩ (٢٣٣٧).

(٥) في ك و ط زيادة (رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٦) الجمة: الشعر الذي نزل إلى المنكبين.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/٩١. م ٨.

شحمة أذنيه، عليه حلة[1] حمراء، ما رأيت شيئاً قط أحسن منه»[2].

وفي البخاري: وسئل البراء: أكان وجه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر»[3].

وفي الصحيحين من حديث كعب بن مالك قال: «كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا سُرَّ[4]، استنار وجهه، حتى كأنه فِلْقة[5] قمر»[6].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ضخم الرأس والقدمين، لم أَرَ قبله ولا بعده مثله، وكان بَسِطَ الكَفين[7]، ضخم اليدين».

---

(١) **والحلة**: ثوبين من جنس واحد.
انظر: المصباح المنير ص ١٤٨.

(٢) رواه مسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي..، ٤/١٨١٨ (٢٣٣٧). ورواه البخاري بمثله. كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥١) من فتح الباري.

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥٢) من فتح الباري.

(٤) من السرور: وهو الفرح والبهجة، ضد الحزن.
انظر: المصباح المنير ص ٢٧٤.

(٥) **فِلْقَة**: قطعة.
انظر: المصباح المنير ص ٤٨١.

(٦) رواه البخاري بمثله، كتاب المناقب، باب صفة النبي...، ٦/٥٦٥ (٣٥٥٦) من فتح الباري ومسلم، بمثله، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب...، ٤/٢١٢٧ (٢٧٦٩).

(٧) في ك و ط «بسيط» وبسط الكفين: ليونتهما، وهو وصف لخلقهما.
انظر: فتح الباري ١٠/٣٥٩.

وسئل عن شعره، فقال: «كان شَعِراً رَجِلًا، ليس بالجعد ولا بالسَّبْط[1]، بين أذنيه وعاتقه»[2].

وفي الصحيحين عن سِمَاك بن حرب عن جابر بن سمرة[3]، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العَقِبَين»[3] وفسرها سماك[5] بن حرب، فقال: واسع الفم، طويل شق العين، قليل لحم العقب[6].

---

(١) في ط (البسط).
رجلًا: أي: إذا مشِط فكان بين السبوطة والجعودة. والسبط: هو الذي يسترسل فلا ينكسر منه شيء كشعور الهنود. والجعد: هو الذي يتجعد. أي يلتوي ويتقبض كشعور السودان.
انظر: المصدر السابق ١٠/٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢) العاتق، هو ما بين المنكب (الكتف) والعنق.
انظر: ترتيب القاموس ٣/١٥٠.
رواه البخاري بمثله وليس فيه «ضخم الرأس» كتاب اللباس، باب الجعد، ١٠/٣٥٦ ـ ٣٥٧ (٥٩٠٥ ـ ٥٩١٢). وروى مسلم آخره بمثله، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي . . .، ٤/١٨١٩ (٢٣٣٨). ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ضخم الرأس واللحية» ١/٢١٦.

(٣) جابر بن سمرة: هو ابن جُنَادة، السُّوائي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين هجرية.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٢٢.

(٤) رواه مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في صفة فم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعينيه وعقبيه، ٤/١٨٢٠ (٢٣٣٩). ولم يروه البخاري في صحيحه. ورواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في صفة النبي ٥/٦٠٣ (٣٦٤٧).

(٥) في ط (فسرهما بن سماك).

(٦) المصدران والموضعان السابقان.

وفي الصحيحين عن أنس [1]، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ليس بالطويل البائن[2]، ولا بالقصير، ولس بالأبيض الأَمَهق[3]، ولا بالآدم، ولا بالجعد القَطِط[4]، ولا بالسَّبْط»[5].

وفي الصحيحين عنه، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أزهر اللون[6]، كأن عرقه اللؤلؤ[7]، إذا مشى تكفأ[8]، وما مسست ديباجة ولا حريراً[9] ألين من كف رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا شممت مسكاً ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله

---

(١) في ك و ط زيادة (ابن مالك).

(٢) أي: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.
انظر: فتح الباري ٦/٥٦٩.

(٣) في ك و ط (الأبهق) بالباء وفي أ بالميم.

(٤) **الأمهق**: الأبيض الشديد البياض، الذي لا تخالطه حمرة. والآدَم: الأسمر.
والقطط: شديد الجعودة كشعر الزنجي.
انظر: المصدر والموضع السابق؛ والمصباح المنير ص ٥٠٨.

(٥) في ط (ولا بالبسط).
رواه البخاري، بمثله، كتاب المناقب، باب صفة النبي، ٦/٥٦٤ (٣٥٤٨) من فتح الباري. ورواه مسلم بمعناه، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي... وباب في صفة شعر النبي...، ٤/١٨١٨ ـ ١٨١٩ (٢٣٣٧ ـ ٢٣٣٨). ورواه في الموطأ، كتاب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باب ما جاء في صفة النبي...، ٢/٩١٩.

(٦) **أزهر اللون**: هو الأبيض المستنير، وهو أحسن الألوان.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/٨٦. م ٨.

(٧) أي: في الصفاء والبياض.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٨) أي: يتمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها.
انظر: لسان العرب ١/١٤٢، مادة: كفأ.

(٩) في ك و ط (حريرة) بالتاء المربوطة.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ»[1].

وروى الدارمي[2] عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أفلج[3] الثنيتين[4]، إذا تكلم رئي النور يخرج من ثناياه»[5].

وروى عن ابن عمر، قال: «ما رأيت أحداً أنجد[6] ولا أجود ولا

(١) رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي . . .، ٤/١٨١٥ (٢٣٣٠). وروى البخاري بعضه، كتاب المناقب، باب في صفة النبي ٦/٥٦٦ (٣٥٦١).

(٢) **الدارمي**: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام السمرقندي أبو محمد، الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل متقن، مات سنة ٢٥٥هـ وله ٧٤ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٢٢٤ ـ ٢٣٢؛ وتقريب التهذيب ١/٤٢٩.

(٣) في ك و ط (أبلج).

(٤) هن أربعة أضراس في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.
انظر: ترتيب القاموس ١/٤٢٤.

(٥) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي . . .، ١/٣٠.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف».
انظر: المجمع ٨/٢٧٩.
وأخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ٣٠ ـ ٣١ (١٤) ط ١، ت: محمد عفيف الزعبي، جدة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م والبيهقي في الدلائل ١/٢١٥ وكلاهما عن ابن أبي ثابت. وروى الطبراني عن أبي قرصافة حديثاً بمعناه، قال الهيثمي: «وفيه من لم أعرفهم».
انظر: المجمع ٨/٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٦) **من النَّجْد**: وهو الشجاع الماضي فيما يُعْجِز غيره.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٣٢٦.

أشجع ولا أضوأ[1] من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ»[2].

وعن أنس قال: «دخل علينا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال[3] عندنا، فعَرِق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت[4] العرق فيها، فاستيقظ رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال: «أم سليم[5]، ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو[6] أطيب من الطيب»، أخرجاه في الصحيحين[7].

وروى الدارمي عن جابر، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) من الضوء: وهو النور.
انظر: المصدر السابق ٣/٤٣.

(٢) رواه الدارمي، المقدمة، باب في حسن النبي ١/٣٠ وفيه زيادة «وأوضأ» من الوضاءة: وهي الحسن والبهجة.

(٣) أي: نام للقيولة ــ وهي الظهيرة ــ.
انظر: مختار الصحاح ص ٥٥٩.

(٤) السَّلْت: هو التنحية والإزالة.
انظر: المصباح المنير ص ٢٨٤.

(٥) هي: بنت مِلْحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جُندَب بن عامر بن غَنَم بن عدي بن النجار، الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، قيل: اسمها «سهلة»، وقيل غير ذلك، كانت زوجة لمالك بن النضر، والد أنس بن مالك، ثم تزوجها أبو طلحة الأنصاري فولدت له أبا عمير ثم عبد الله فولد له إسحاق وإخوته التسعة كلهم حمل عنه العلم. ومناقبها كثيرة شهيرة.
انظر: أسد الغابة ٦/٣٤٥؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٧٢.

(٦) في ك و ط (وأنه).

(٧) سقطت (في الصحيحين) من ك و ط.
رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي . . .، ٤/١٨١٥ (٢٣٣١). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم، ١١/٧٠ (٦٢٨١) من فتح الباري.

وسلَّم ــ لا يسلك طريقاً فيتبعه أحد، إلَّا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه»[1].

وفي حديث أم معبد[2] المشهور، لما مر بها النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الهجرة، هو وأبو بكر، ومولاه، ودليلهم، وجاء زوجها[3] فقال: «صفيه لي يا أم معبد»، فقالت: «رأيت[4] رجلاً ظاهر الوضاءة، حلو المنطق[5]، فصل[6] لا نزر ولا هذر[7]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن»[8].

---

(١) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي ٣٢/١. ورواه البيهقي في الدلائل بنحوه ٦٩/٦ وبالإسناد نفسه. وبه ــ أيضاً ــ أخرجه أبو نعيم في الدلائل ٥٧١/٢ بمثله، ت: عبد البر عباس ومحمد رواس قلعة جي ط ١، المكتبة العربية، حلب ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

(٢) هي عاتكة بنت خالد بن خفيف بن منقذ بن ربيعة الخزاعية، وهي أخت حبيش بن خالد، له صحبة ورواية. ويقال له: الأشعر وكان منزل أم معبد بقديد، وذكر الواقدي أنها عاشت إلى عام الرمادة في عهد عمر.
انظر: الطبقات الكبرى ٢٣٠/١؛ والروض الأنف ٢٣٥/٢؛ والإصابة ٤٩٨/٤.

(٣) هو: الخزاعي، مختلف في اسمه قيل: اسمه حبيش. وتوفي أبو معبد في حياة رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ.
انظر: أسد الغابة ٢٩٢/٥.

(٤) سقطت (رأيت) من ك و ط.

(٥) أي: لذيذ الكلام.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٦٦.

(٦) من قول فصل: أي حق ليس بباطل.
انظر: لسان العرب ٥٢١/١١ مادة: فصل.

(٧) النزر: القليل الذي يدل على العِيْ. والهذر: الكثير.
انظر: أسد الغابة ٤٥٣/١.

(٨) رواه الحاكم في المستدرك. كتاب الهجرة، حديث أم معبد في الهجرة. ١١٠٩/٣.
وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وساق طرقه، قال الذهبي: =

وروى أبـو زرعة[١] عن محمـد بن عمار بن يـاسر[٢]، قـال: قلت للرُّبيـع بنت معـوذ بن عفـراء[٣]: صفي لي رسـول الله ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ فقالت: «يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة»[٤].

وفي الصحيحين عن أنس[٥]، قـال: «كان رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحسن الناس، وكـان أجود النـاس، وكان أشجـع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت[٦]، فتلقَّـاهم

= «ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح». وأخرجه أبو نعيم في الدلائل ٢/٤٣٦ ـ ٤٣٨. والبيهقي في الدلائل ٢/٤٩١ ـ ٤٩٣؛ مختصراً ورواه ابن الأثير في أسد الغابة ١/٤٥١ ـ ٤٥٢.

(١) في ك و ط زيادة (بإسناده).
أبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولى عياش بن مطرق، الرازي، أحد الأئمة الحفاظ، أثنى عليه كثير من الأئمة. كان مولده سنة ٢٠٠هـ ووفاته ٢٦٤هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٣٠ ـ ٣٣.

(٢) محمد بن عمار بن ياسر: هو العنسي، مولى بني مخزوم، مقبول، روى له أبو داود، قتل بعد سنة ١٦٠هـ.
انظر: تقريب التقريب ٢/١٩٣.

(٣) الربيع: هي بنت معوذ بن الحارث ـ وعفراء أم معوذ ويعرف بها ـ بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وعفراء: هي بنت عبيد بن ثعلبة النجارية، والربيع لها صحبة، وروى عنها أهل المدينة. كانت من المبايعات تحت الشجرة.
انظر: أسد الغابة ٤/٤٢١ و٦/١٠٧؛ وتقريب التقريب ٢/٥٩٨.

(٤) رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب في حسن النبي...، ١/٣١.
قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله وثقوا».
انظر: المجمع ٨/٢٨٠. ورواه البيهقي في الدلائل ١/٢٠٠.

(٥) زاد في ك و ط: (ابن مالك).

(٦) قِبَلَ الصوت: أي تجاهه.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١٩.

رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت، وقد استبرأ الخبر[1] وهو على فرس[2] لأبي طلحة عُرْي[3] في عنقه السيف وهو يقول: «لن تراعوا». وقال: «وجدناه بحراً»[4]، وكان الفرس قبل ذلك بطيئاً، فعاد لا يجارى[5].

وفي الصحيحين عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في[6] رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فلرسول[7] الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أجود بالخير من الريح المرسلة»[8].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب، قال: كنا إذا احمر

---

(١) أي: طلب آخره لقطع الشبهة.
انظر: المصباح المنير ص ٤٧.

(٢) اسمه «المندوب».
انظر: فتح الباري ٥/٢٤٠.

(٣) عري: أي ليس عليه سَرْج ولا أداة، ولا يقال في الآدميين بل يقال: عريان.
انظر: المصدر السابق، ٦/٧٠.

(٤) أي: واسع الجري.
انظر: فتح الباري ٦/٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٢ مرة في صحيحه، بنحوه وبألفاظ مختلفة، كتاب الجهاد، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ٦/٣٥ و ٧٠ وغيرهما (١٨٢٠ و٢٨٦٧) من فتح الباري، وأخرجه مسلم بمثله، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ـ عليه السلام ـ وتقدمه للحرب، ٤/١٨٠٢ ـ ١٨٠٣ (٢٣٠٧).

(٦) في ك و ط زيادة (شهر).

(٧) في ط (فرسول) بدون لام.

(٨) رواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أجود الناس... ، ٤/١٨٠٣ (٢٣٠٨). ورواه البخاري بمثله كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي... ، ٩/٤٣ (٤٩٩٧). من فتح الباري.

البأس[1] نتقي به[2]، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به (يعني رسول الله[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ)[4].

وعن علي بن أبي طالب، قال: «لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى العدو منه»[5] ذكره[6] البيهقي بإسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن أنس، قال: «خدمت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عشر سنين، والله ما قال لي: «أفاً»[7] قط، ولا قال لي[8]

---

(١) احمرار البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر.
انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٢/١٢١ م ٦.

(٢) في ك (يتقي) بالياء في أوله.

(٣) في ك و ط (النبي).

(٤) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ٣/١٤٠١ (١٧٧٦).
والظاهر أنه ليس عند البخاري خلافاً لما ذكر الشيخ المؤلف.

(٥) رواه البيهقي في الدلائل، ٣/٦٩ ـ ٧٠ بمثله. ورواه الإمام أحمد في المسند ١/١٢٦. قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/١٢ ـ ١٣.

(٦) عبر الشيخ المؤلف بكلمة «ذكره». بدلاً من «رواه» أو «أخرجه» إما لمجرد المرادفة، أو إشارة إلى أن البيهقي وإن كان من المُحَدثين والرواة إلَّا أنه من المتأخرين فهو من الطبقة الرابعة عشرة من طبقات السيوطي ص ٤٢٧ ـ ٤٣٢.

(٧) كلمة «أف» تقال عند تَكَرُّه الشيء، وعند التضجر من الشيء.
في ك و ط (لم فعلت وهلا فعلت كذا).
في ك و ط (أف). و (أفاً) هي في رواية مسلم بالنصب والتنوين، وذكر بعضهم أن فيها لغات كثيرة أوصلها إلى ٣٩ لغة.
انظر: فتح الباري ١/٤٦٠.

(٨) سقطت (لي) من ك و ط.

لشيء: «لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا»[1].

وفي رواية في الصحيحين ـ أيضاً ـ قال: «خدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا؟ وكان أحسن الناس خلقاً»[2].

* وفي الصحيحين عن جابر، قال: «ما سئل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً، فقال: لا»[3] *.

وفي الصحيحين عن أنس[4] قال: «ما سئل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على الإسلام[5] شيئاً إلَّا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه

---

(١) آخر الحديث في أ: (... لم فعلته، لما فعلت كذا). وفي ك و ط: (ولا قال لشيء لم فعلت، وهلا فعلت كذا). وقد أثبتنا ما في صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحسن الناس خلقاً ٤/١٨٠٤ (٢٣٠٩). ورواه البخاري بلفظ آخر، كتاب الأدب، باب حسن الخلق...، ١٠/٤٥٦ (٦٠٣٨) من فتح الباري.

(٢) في أ: (صنعته). وما أثبتنا هو ما في ك و ط، وهو ما جاء في صحيح مسلم غير أن قوله: (وكان من أحسن الناس خلقاً). هو في رواية منفصلة. كتاب الفضائل باب كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أحسن الناس خلقاً، ٤/١٨٠٤ ـ ١٨٠٥ (٢٣٠٩ ـ ٢٣١٠) ويظهر أن هذه الرواية ليست عند البخاري خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(٣) ما بين النجمتين ليس في ك ولا ط.
رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء...، ١٠/٤٥٥ (٦٠٣٤) من فتح الباري ورواه مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً قط، فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/١٨٠٥ (٢٣١١).

(٤) في ك و ط (جابر).

(٥) الظاهر أن معنى قوله: «على الإسلام» بتقدير محذوف هو: على الدخول في الإسلام، أو على نصرة الإسلام أو نحو ذلك.

غنماً بين جبلين[1]، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة[2]».

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أشد حياء من العذراء[3] في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه»[4].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو، وذكر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً[5]».

---

(١) أي: كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.
انظر: شرح النووي ١٥/٧٣. م ٨.

(٢) **الفاقة**: الفقر والحاجة.
انظر: مختار الصحاح ص ٥١٥.
رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ شيئاً قط فقال: «لا» وكثرة عطائه، ٤/١٨٠٦ (٢٣١٢).
ويبدو أن الحديث ليس عند البخاري، خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف.

(٣) هي: الجارية البكر.
انظر: المصباح المنير: ص ٣٩٩.

(٤) رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ١٠/٥١٣ (٦١٠٢) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/١٨٠٩ ـ ١٨١٠ (٢٣٢٠).

(٥) من **الفحش**: وهو كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، لكن استعماله في القول أكثر. والمتفحش هو الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه.
انظر: فتح الباري ١٠/٤٥٣.
رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٥٩) من فتح الباري. ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/١٨١٠ (٢٣٢١).

وروى البخاري عن أنس قال: «لم يكن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سباباً ولا فحاشاً[1] ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المَعْتَبَة[2]: ماله تربت جبينه[3]».

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: «ما خير رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لنفسه قط، إلَّا أن تنتهك حرمة[4] الله[5]».

وعنها قالت: «ما ضرب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيده شيئاً قط، لا امرأة ولا خادماً، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء[6] قط فينتقم من صاحبه، إلَّا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله»[7].

---

(١) في أ (فاحشاً) وقد أثبتنا ما في الصحيح، وهو ما في ك و ط.

(٢) **المَعْتَبة**: هي مصدر عتب عليه يعتِب عتباً وعتاباً ومعتبة ومعاتبة. قال الخليل: **العتاب**: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة المَوْجِدة. المصدر والموضع السابق.

(٣) أي خَرَّ لوجهه فأصاب التراب جبينه، وهذا من الكلام الذي يجري على اللسان ولا يراد حقيقته.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، ١٠/٤٥٢ (٦٠٣١). من فتح الباري.

(٤) في ك و ط (محارم).

(٥) **حرمة الله**: أي حرمات الله.
انظر: فتح الباري ٦/٥٧٥.
رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٦/٥٦٦ (٣٥٦٠) من فتح الباري، بمثله، ورواه مسلم، بمثله، كتاب الفضائل، باب مباعدته ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للآثام . . ، ٤/١٨١٣ (٢٣٢٧) فالحديث متفق عليه.

(٦) هكذا في ط، وفي أ و ك (شيئاً) بالنصب والأصوب ما في ط ولهذا أثبتناه.

(٧) سبق تخريجه ٣/١٠٤ رسالة دكتوراه د. عبد العزيز العسكر.

وروى مسلم في صحيحه عنها وقد سئلت عن خلق[1] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: «كان خلقه القرآن»[2].

وروى أبو داود الطيالسي عن شعبة[3]، حدثنا أبو إسحاق[4]، حدثنا أبو عبد الله الجَدَلي[5] قال: سمعت عائشة، وسألها عن خلق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقالت: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أو يغفر» شك أبو داود[6].

---

(١) سقطت (خلق) من ط.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل. . .، ١/٥١٣ (٧٤٦). ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في صلاة الليل: ٢/٤٠ (١٣٤٢). والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب قيام الليل ٣/١٩٩. وابن ماجه، أبواب الأحكام، الحكم فيمن كسر شيئاً ٢/٤٢ (٢٣٥٥). والدارمي، كتاب الصلاة، باب صفة صلاة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥. وأحمد في المسند ٦/٩١. والحاكم في المستدرك ٢/٦١٣.

(٣) **شعبة**: هو ابن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بِسْطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، وهو أول من فتّش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنّة وكان عابداً، مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٥١.

(٤) **أبو إسحاق**: هو عمرو بن عبد الله الهَمْداني السَّبِيعي، مكثر، ثقة عابد، اختلط بآخره، مات سنة ١٢٩هـ أو قبلها.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٧٣؛ وتهذيب التهذيب ٨/٦٣.

(٥) في أ (الهذلي) وصوابه ما أثبتناه من الأصول و ك و ط.
هو عبد، أو عبد الرحمن بن عبد، الكوفي، وثقه أحمد وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي. بصري تابعي ثقة.
انظر: تهذيب التهذيب ١٢/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٦) مسند الطيالسي: ٢١٤ (١٥٢٠) ورواه الترمذي، بمثله، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/٣٦٩ (٢٠١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه الحاكم[1] في مستدركه على الصحيحين[2].

وفي الصحيحين عن علقمة[3] قال: سألت عائشة: كيف كان عمل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: «لا، كان عمله دِيْمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يستطيع[4]».

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام[5]، وقد سأل عائشة ـ رضي الله عنها ـ[6] عن خلق رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ

---

(١) هو: محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري، أبو عبد الله، الحافظ، صاحب التصانيف، إمام صدوق، ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة، ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرضه للشيخين مات سنة ٤٠٥هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٠٨؛ ولسان الميزان ٥/٢٣٢؛ وشذرات الذهب ٣/١٧٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين، كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، ٢/٦١٤، والحديث بلفظ: «إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مكتوب في الإنجيل، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت، فقيه عابد، ولد في حياة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومات بعد الستين وقيل بعد السبعين.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣١؛ وتهذيب التهذيب ٧/٢٧٦.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ١١/٢٩٤ (٦٤٦٦). من فتح الباري، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم...، ١/٥٤١ (٧٨٣).

(٥) **سعد بن هشام**: هو ابن عامر، الأنصاري المدني، ابن عم أنس بن مالك ثقة، قتل بأرض مُكران بالهند غازياً.
انظر: تهذيب التهذيب ٣/٤٨٣.

(٦) لم ترد الجملة الدعائية في أ.

فقالت: «ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: «فإن خلق نبي الله القرآن»[1].

وفي صحيح الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال: «بعثت لأتمم صالح[2] الأخلاق»[3].

وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال: «قام رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ حتى تورمت قدماه، فقيل: يا رسول الله: أليس قد غفر الله لك[4] ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً»[5].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: «ما عاب رسول الله

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ١/٥١٢ (٧٤٦).

(٢) في ط (مكارم).

(٣) رواه في المستدرك: كتاب التاريخ، آيات رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ . . . ، ٢/٦١٣، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٨١ والبزار بمثله، قال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار. . . ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوداني وهو ثقة».
انظر: المجمع ٩/١٥. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال». «وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف».
انظر: المجمع ٨/١٨٨.

(٤) سقطت (لك) من ط.

(٥) رواه البخاري بمثله، كتاب التفسير، سورة الفتح، باب «ليغفر لك الله. . .» ٨/٥٨٤ (٤٨٣٦) من فتح الباري. ورواه مسلم بمثله، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال. . . ، ٤/٢١٧١ ـ ٢١٧٢ (٢٨١٩).

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ طعاماً قط، إن اشتهاه[1] أكله، وإلَّا تركه»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وأبو الشيخ الأصبهاني[3] من حديث بَهْز بن حكيم[4]، عن أبيه[5] عن جده[6] أن أخاه أتى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «جيراني على ما أُخذوا[7]» فأعرض عنه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «إن الناس يزعمون أنك نهيت عن الغي[8]، ثم تستخلي[9] به»، فقال: «لأن

---

(١) في ط (اشتهاء).

(٢) رواه البخاري بنحوه، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ طعاماً، ٩/٥٤٧ (٥٤٠٩). من فتح الباري. ورواه مسلم، بنحوه، كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام، ٣/١٦٣٢ (٢٠٦٤).

(٣) **أبو الشيخ الأصبهاني**: هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حَيَّان، الإمام الحافظ الصادق، محدث أصْبَهان، ولد سنة ٢٧٤هـ أثنى عليه كثير من الأئمة، إلَّا أنه كان ينقل كثيراً من الأخبار الواهية في كتبه، مات سنة ٣٦٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٦/٢٧٦ ـ ٢٧٩؛ وطبقات الحفاظ: ٣٨٢ (٨٦٤).

(٤) **بَهْز بن حكيم**: هو ابن معاوية القشيري، أبو عبد الملك، صدوق، مات سنة ١٦٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/٤٩٨.

(٥) أبوه: هو حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القشيري، وثقه العجلي، وقال النسائي: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في الثقات.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٤٥١.

(٦) جده: هو معاوية بن حَيْدَة بن كعب القشيري، صحابي، نزل البصرة، ومات بخراسان. وذكر البخاري أنه سمع من النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.
انظر: الإصابة ٣/٤٣٢؛ و تهذيب التهذيب ١٠/٢٠٥.

(٧) **الأخذ**: الأسر والحبس.
انظر: المصباح المنير ص ٧.

(٨) في ك و ط (البغي).

(٩) **تستخلي به**: أي تفعل الغي بنفسك.
انظر: المصدر السابق ١/١٨١.

كنت أفعل ذلك أنه لعلي وما هو عليهم، خلوا له جيرانه[1]».

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[2] عن أنس بن مالك قال: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهته[3] لذلك»، رواه عن عبد الرحمن بن مهدي: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد[4]، عنه[5].

وروى عنه[6] أبو نعيم وأبو الشيخ وغيرهما عن ابن عباس «أن الله أرسل إلى نبيه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مَلَكاً من الملائكة معه جبريل فقال الملك: «إن الله خيره بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون مَلِكاً

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٤، وأبو داود، كتاب الأقضية، باب في الحبس في الدين وغيره ٣/٣١٤ (٣٦٣١). بلفظ مختصر. والترمذي كتاب الديات، باب ما جاء في الحبس في التهمة، ٤/٢٨ (١٤١٧). مختصراً جداً. وقال: «حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده حديث حسن».

(2) لم يرد في ك و ط: (وأبو داود والترمذي).

(3) في ك و ط (كراهيته).

(4) في ط (حدثنا).

حميد: هو ابن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس، وعابه «زائدة» لدخوله في شيء من أمر الأمراء، مات سنة ١٤٢ أو ١٤٣هـ وهو قائم يصلي وله ٥٧ سنة.

انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٢؛ وتهذيب التهذيب ٣/٣٨.

(5) في ك و ط (ورواه أبو داود والترمذي) وفي ط سقطت الواو العاطفة قبل الجملة المذكورة.

أي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

رواه الإمام أحمد في المسند ٣/١٣٤، ولم يخرجه أبو داود خلافاً لما ذكره الشيخ المؤلف، ورواه الترمذي بنحوه ٥/٩٠ (٢٧٥٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(6) سقطت (عنه) من ك و ط. والمقصود: عبد الرحمن بن مهدي.

نبياً، قال: فالتفت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جبريل كالمستشير، فأشار جبريل بيده: أن تواضع، فقال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ «لا بل أكون عبداً نبياً» رواه[1] النسائي والبخاري في تاريخه»[2].

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فمرض، فأتاه[3] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله»؟ فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»[4].

وعن ابن أبي حازم[5]: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كَلَّم

---

(١) في ك و ط (ورواه).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ آخر ٢/٢٣١، قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح». ثم أورد مثل هذا الحديث عن ابن عباس وقال: «رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس». ورواه عبد الرزاق في المصنف بنحوه، كتاب الجامع، باب الكبر، الأكل متكأ ١٠/٤١٧ (١٩٥٥١).
ورواه ابن حبان.
انظر: موارد الظمآن للهيثمي، كتاب علامات نبوة نبينا ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باب في زهده. . . ، ٥٢٥ (٢١٣٧).
وأخرجه البغوي في شرح السنة ٣/٤٧٣، وابن حبان برقم (٢١٣٧)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٠٢) وفي السلسلة الضعيفة برقم (٢٠٤٤).

(٣) في ك و ط (فعاده).

(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي. . . ، ٣/٢١٩ (١٣٥٦) من فتح الباري. ولم أجده عند مسلم. ورواه أبو داود بمثله، كتاب الجنائز، باب في عيادة الذمي، ٣/١٨٥ (٣٠٩٥). ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٢٧. والحاكم في المستدرك ٤/٢٩١.

(٥) سقطت (ابن) من جميع النسخ وسقوطها يوهم بأنه: (أبو حازم الأشجعي) وليس =

رجلاً فأرعد[1]، فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «هوِّن عليك[2] فإني لست بمَلِك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القَدِيْد[3]» رواه ابن الجوزي[4] من طرق، بعضها متصلاً عن ابن مسعود، قال ابن الجوزي[5] «وروي[6] متصل»، والصواب إرساله كما تقدم.

= كذلك وإنما هو قيس بن أبي حازم واسمه حصين بن عوف ـ وقيل غير ذلك ـ البجلي الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، ولأبيه صحبة، ولم تثبت رؤيته، أجمعوا على الاحتجاج به، مات سنة ٨٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٩٨ ـ ٢٠٢؛ وتهذيب التهذيب ٨/٣٨٦ ـ ٣٨٩.

(١) **أرعد**: من الرِّعْدة، وهي النافض يكون من الفزع وغيره. و **الارتعاد**: الاضطراب والارتجاف.
انظر: اللسان ٣/١٧٩ مادة رعد.

(٢) من **الهَوْن**: وهو الرفق والدعة والسكون.
انظر: لسان العرب ١٣/٤٤٠ مادة هون.
رواه ابن ماجه بنحوه، أبواب الأطعمة، باب القديد، ٢/٢٤٢ (٣٣٥٥). قال في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات». كما نقله الأعظمي بهامش ابن ماجه.

(٣) القديد: هو اللحم المقدد، أي: ما قُطِع من اللحم وشُرر، وقيل: ما قطع منه طوالاً، وهو اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى: مفعول.
انظر: المصدر السابق ٣/٣٤٤، مادة: (قدد).

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حَمَّادي، يصل نسبه بالصديق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الشيخ العلامة الحافظ المفسر جمال الدين، أبو الفرج، البغدادي الحنبلي الواعظ، ولد سنة ٥١٠هـ ذكر له الذهبي أسماء ثلاثة وثمانين كتاباً، وأحصيت كتبه قبل موته ٢٥٠ كتاباً، وامتحن في أواخر عمره لمدة خمس سنوات حيث حبس في سفينة، وتوفي سنة ٥٩٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٦٥ ـ ٣٨٤؛ وشذرات الذهب ٤/٣٢٩.

(٥) في ك و ط زيادة (وجرير).

(٦) في ط (أوروى). =

وفي الصحيح عن أنس[١]، «أن امرأة كان في عقلها شيء، قالت[٢]: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. قال: «يا أم فلان، خذي في أي الطرق شئت، قومي فيه حتى أقوم معك»، فخلا معها يناجيها[٣] حتى قضت حاجتها». رواه مسلم[٤].

وعن أنس قال: «كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فتدور به في حوائجها حتى تفرغ، ثم يرجع»، رواه البخاري في الأدب[٥].

= المتصل: هو ما اتصل إسناده بسماع كل واحد من رواته ممن فوقه، أو إجازته إلى منتهاه، مرفوعاً كان أو موقوفاً على من كان. والمرسل: هو قول التابعي الكبير كقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيب قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: كذا، أو فَعَلَه.

انظر: تدريب الراوي ١/١٨٣ و ١٩٥.

(١) في ك و ط زيادة (ابن مالك).

(٢) في ك و ط (فقالت).

(٣) من نجوته نجواً، أي: حدثته سراً.
انظر: مختار الصحاح ص ٦٤٨.

(٤) رواه مسلم بنحوه. كتاب الفضائل، باب قرب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الناس وتبركهم به، ٤/١٨١٢ ـ ١٨١٣ (٢٣٢٦). ورواه أبو داود برقم (٤٨١٨). وأحمد في المسند ٣/٢٨٥.

(٥) أي في كتاب الأدب من صحيحه، باب الكبر، بمعناه، ١٠/٤٨٩ (٦٠٧٢) من فتح الباري، قال الحافظ ابن حجر: «قال حماد: ولم أر في شيء من نسخ البخاري تصريحه عنه بالتحديث» ـ يقصد محمد بن عيسى ـ الراوي عنه البخاري ـ قال الحافظ: «وأخرجه أحمد عن هشيم شيخ محمد بن عيسى فيه، وإنما عدل البخاري عن تخريجه عن أحمد بن حنبل لتصريح حميد ـ أي الطويل ـ في رواية محمد بن عيسى بالتحديث، فإنه عنده عن هشيم: «أنبأنا حميد عن أنس» وحميد مدلس، والبخاري يخرج له ما صرح فيه بالتحديث». ورواه ابن ماجه، أبواب الزهد، باب البراءة من الكبر، والتواضع، ٢/٤٢٢ (٤٢٣٠). قال الأعظمي: قال البوصيري في الزوائد: «هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان».

وروي عن ابن أبـي أوفى[1] قال: كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يمشي مع الأرملة والمسكين، فيقضي له حاجته»[2].

وعنـه[3] قـال: «كـان رسـول الله ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ يكثـر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويُقَصِّر الخُطبة، ولا يستنكف[4] أن يمشي مـع العبـد، ولا مـع الأرملة[5] حتى يفـرغ من حـاجتهم»، ورواه الدارمي والحاكم في صحيحه[6].

وروى أبـو داود الـطيـالسي عن أنس، قـال: «كـان رسـول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة

---

(١) ابن أبـي أوفى: هو عبد الله بن علقمـة بن خالـد بن الحارث الأسلمي، صحـابـي، شهد الحديبيـة، وعُمر بعـد النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، ومـات بالكـوفة سنـة ٨٧هـ وهو آخر من مات بها من الصحابة.
انظر: تقريب التهذيب ١/٤٠٢.

(٢) رواه النسائي بمثله، كتاب الجمعة، باب ما يستحب من تقصير الخـطبة، ٣/١٠٨ ــ ١٠٩.

(٣) أي: عبد الله بن أبـي أوفى ــ رضي الله عنه ــ.

(٤) أي: لا يأنف ولا يتنزه ولا يتكبر.
انظر: ترتيب القاموس ٤/٤٤٠.

(٥) هي المرأة التي لا زوج لها.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٧.

(٦) رواه الـدارمي، المقدمـة، بـاب تـواضـع النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ١/٣٥، بمثله. ورواه الحاكم بنحوه، كتاب التاريخ، كتاب آيات رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ٢/٦١٤ في روايتين، وقـال: «هذا حـديث صحيـح على شـرط الشيخين، ولم يخـرجاه»، ووافقـه الـذهبـي. وأورده الهيثمي بنحـوه وعـزاه للطبـراني، وقـال: «إسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/٢٠.

المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خِطامه ليف»[١].

وروى مسلم في صحيحه عن أنس، قال: «ما رأيت أرحم بالعيال من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ »[٢].

وروى البخاري عنه، قال: «مر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على صبيان فسلم عليهم»[٣].

وروى ابن عباس، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة[٤]، ويجيب دعوة المملوك»[٥].

وعن قدامة بن عبد الله [٦]: «رأيت رسول الله ــ صلَّى الله عليه

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي وفيه: (من ليف) ٢٨٥ (٢١٤٨). وإسناد هذا الحديث فيه أبو عبد الله مسلم الأعور، وهو ضعيف.
انظر: الضعفاء الكبير ٤/١٥٣ (١٧٢٢) لمحمد بن عمرو العقيلي ٣٢٢هـ، ت: د. عبد المعطي قلعجي ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الصبيان والعيال. . .، ٤/١٨٠٨ (٢٣١٦).

(٣) هذا أقرب إلى لفظ مسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، ٤/١٧٠٨ (٢١٦٨). ورواه البخاري بمعناه، كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان، ١١/٣٢ (٦٢٤٧) من فتح الباري.

(٤) يقال: اعتقل شاته: إذا وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها.
انظر: اللسان ١١/٤٦٢ مادة: عقل.

(٥) أورده الهيثمي بمثله وعزاه إلى الطبراني، وقال: «إسناده حسن».
انظر: المجمع ٩/٢٠.

(٦) **قدامة بن عبد الله**: هو ابن عمار بن معاوية العامري، من بني نفيل بن عمرو بن كلاب العامري، ثم الكلابي، يكنى أبا عبد الله، أسلم قديماً وسكن مكة ولم يهاجر، وشهد حجة الوداع. وأقام بركبة في البدو من بلاد نجد وسكنها.
انظر: أسد الغابة ٤/٩٣؛ وتقريب التهذيب ٢/١٢٤.

وسلَّم ـ على بغلة شهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك»[1] رواهما أبو الشيخ.

وعن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قط مستجمعاً ضاحكاً[2] حتى أرى منه لَهَواته[3]، إنما كان يتبسم[4]، وكان إذا رأى غيماً[5] أو ريحاً عُرف[6] في وجهه، فقلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟. قال: «يا عائشة وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذب قوم بالرِّيح، وقد أتى العذاب قوماً» وتلا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا. . . ﴾[7].

أخرجاه في الصحيحين[8].

---

(١) رواه الترمذي بنحوه، كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية طرد الناس عند رمي الجمار، ٤/٢٣٨ (٩٠٣)، وقال أبو عيسى: «حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح». ورواه النسائي بمثله، كتاب المناسك، باب الركوب إلى الجمار. . .، ٥/٢٧٠ وابن ماجه، أبواب المناسك، باب رمي الجمار راكباً ٢/١٨٤ (٣٠٧١).

(٢) أي: مبالغاً في الضحك لم يترك منه شيئاً.
انظر: فتح الباري ١٠/٥٠٦.

(٣) لهواته: جمع لهاة، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٤) في ط (يبتسم).

(٥) الغيم: السحاب.
انظر: مختار الصحاح ص ٤٨٧.

(٦) (ذلك) زيادة في ك و ط.

(٧) سورة الأحقاف: الآية ٢٤.

(٨) رواه البخاري، بنحوه، كتاب التفسير، سورة الأحقاف، باب: «فلما رأوه =

وفي الصحيحين ــ أيضاً ــ عن أنس، قال: «كنت أمشي مع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية[1]، فأدركه أعرابي فجبذ[2] بردائه جبذاً شديداً، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قد أثرت بها حاشية البُرْد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك. قال: فالتفت إليه رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فضحك، ثم أمر له بعطاء»[3].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي[4] فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت، قام، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم»[5].

= عارضاً...» ٨/٥٧٨ (٤٨٢٨ ــ ٤٨٢٩) وفي كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ١٠/٥٠٤ (٦٠٩٢). من فتح الباري. ومسلم بنحوه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ٢/٦١٦ ــ ٦١٧ (٨٩٩).

(١) هل طرف الثوب مما يلي كَفَّته.
انظر: فتح الباري ١٠/٥٠٦.

(٢) جبذ، بمعنى: جذب.
انظر: المصدر والموضع السابق.

(٣) رواه البخاري بمثله، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ١٠/٥٠٤ (٦٠٨٨) من فتح الباري، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ٢/٧٣٠ ــ ٧٣١ (١٠٥٧) بمثله.

(٤) في ك و ط (يقوم).

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، ١/٤٦٣ (٦٧٠) بمثله. ورواه الترمذي بمعناه، كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ٥/١٤٠ (٢٨٥٠). ورواه النسائي، كتاب =

وفي رواية أخرى صحيحة: «كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر، والشيء من أمورهم، فيضحكون ويتبسم»[1].

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وسألها الأسود[2]: ما كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يصنع في أهله؟ فقالت: «كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)[3]، فإذا حضرت الصلاة خرج»[4].

ومن[5] رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة[6]،

= السهو، باب قعود الإمام في مصلاه بعد التسليم ٣/ ٨٠ ـ ٨١، بمثله. ورواه الإمام أحمد بمعناه ٥/ ١٠٥.

(١) هذه الرواية هي للإمام أحمد في مسنده، ٥/ ٨٦ وإسنادها: حدثنا سليمان بن داود، ثنا شريك، عن سماك، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «نعم، فكان طويل الصمت. . .» الحديث بنحوه. ورجال إسناد هذه الرواية ثقات، كما ذكر الشيخ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: أنها صحيحة.

(٢) هو ابن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، أو أبو عبد الرحمن، مخضرم، ثقة مكثر فقيه، مات سنة ٧٤هـ أو ٧٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/ ٧٧.

(٣) هذا من قول آدم بن أبي إياس شيخ الإمام البخاري.
انظر: فتح الباري ٢/ ١٦٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله؟ ١٠/ ٤٦١ (٦٠٣٩). من فتح الباري. بمثله والترمذي بمثله. كتاب صفة القيامة، باب (٤٥)، ٤/ ٦٥٤ (٢٤٨٩).

(٥) في ك و ط (وفي).

(٦) عروة: هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة، فقيه مشهور، من الطبقة الثانية. مولده في أوائل خلافة الفاروق مات سنة ٩٤هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/ ١٩.

قال: «سأل رجل عائشة، هل كان يعمل في بيته؟ فقالت[1]: «كان يخصف[2] نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[3].

وروى الطيالسي: ثنا شعبة، ثنا الأعور[4]، قال: سمعت أنساً، يقول: «كان رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خُطامه من ليف»[5].

* وروى مسلم في صحيحه عن أنس، قال: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ»[6].

وروى عنه البخاري، قال: «مر رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على صبيان فسلم عليهم» *[7].

---

(١) في ك و ط (قالت).

(٢) أي: يخرز.
انظر: مختار الصحاح ص ١٧٧.

(٣) رواه الإمام عبد الرزاق في المصنف، كتاب الجامع، باب عمل النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ١١/ ٢٦٠ (٢٠٤٩٢). قال الحافظ في الفتح ١٠/ ٤٦١: «أخرجه أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان».

(٤) في جميع النسخ (الأغر) والصواب (الأعور). كما أثبتناه من مسند الطيالسي وغيره.
الأعور: هو ابن كَيْسان الضبي الكوفي المُلاَئي البراد، أبو عبد الله، ضعفه الأئمة وقال عنه الدارقطني مرة: مضبوط الحديث، روى له الترمذي وابن ماجه.
انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٦؛ وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٦؛ وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٥.

(٥) مسند أبي داود الطيالسي ٢٨٥ (٢١٤٨) وتقدم أن أحد رجال الإسناد الأعور وهو ضعيف.

(٦) سبق تخريجه، ص ٤٧١.

(٧) سبق تخريجه، ص ٤٧١. ما بين النجمتين ليس في ك و لا ط.

وفي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ[1] قالت: «ما شبع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثلاثة أيام من خبز بُرٍّ تباعاً[2] حتى مضى لسبيله»[3].

وعنها قالت: «كنا ـ آل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمر بنا الهلال والهلال، ما نوقد بنار لطعام، إلَّا أنه التمر والماء، إلَّا أنه حولنا أهل دور من الأنصار فيبعث أهل كل دار بفريزة[4] شاتهم إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ . وكان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يشرب[5] من ذلك اللبن» أخرجاه في **الصحيحين**[6].

وفي صحيح البخاري قال أنس: «ما رأى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رغيفاً مرققاً[8] حتى لحق بالله، ولا أرى شاة

---

(١) الجملة الدعائية ليست في أ.

(٢) أي ما عدا المتفرقة.

(٣) أي: لحق بالرفيق الأعلى وقبضه الله ـ تعالى ـ انظر: فتح الباري ٢٩١/١١.
انظر: المصدر والموضع السابق.
رواه مسلم، بمثله. كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٢٢٨١/٤ (٢٩٧٠).

(٤) من الفَرْز، وهو عزل الشيء عن الشيء وتمييزه، والفِرْزة: القطعة مما عزل.
انظر: ترتيب القاموس ٤٦٧/٣.

(٥) (يشرب) سقطت من أ.

(٦) رواه البخاري بنحوه، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي . . .، ٢٨٣/١١ (٦٤٥٩). من فتح الباري. ومسلم بنحوه، كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٢٢٨٣/٤ (٢٩٧٢).

(٧) هو الملين المحسن.
انظر: فتح الباري ٥٣٠/٩.

(٨) هو الملين المحسَّن.
انظر: فتح الباري ٥٣٠/٩.

سميطاً[1] بعينه قط»[2].

وفي صحيح البخاري عنه: «ما أكل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على خِوان[3] ولا في سُكْرَجَّة[4] ولا خُبِز له مرقَّق»[5]. فقيل له: على ما كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفر»[6].

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب: أنه خطب وذكر ما فُتح على الناس، فقال: «لقد رأيت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يتلوى يومه من الجوع، ما يجد من الدقَل[7] ما يملأ به بطنه»[8].

---

(١) من المسموط، وهو الذي أزيل شعره بالماء المسخن، وشوى بجلده، أو يطبخ، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن الطري، وهو من فعل المترفين. المصدر السابق ٥٣١/٩. قلت: وهو الذي يسمى في الحجاز «المندي». حالياً. أو ما شابه ذلك.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب شاة مسموطة...، ٥٥١/٩ ـ ٥٥٢ (٥٤٢١) من فتح الباري، وابن ماجه بنحوه، أبواب الأطعمة، باب الرقاق، ٢٤٧/٢ (٣٣٨٢).

(٣) هو المائدة (الطاولة) ما لم يكن عليها طعام.
انظر: فتح الباري ٥٣١/٩.

(٤) هي صحاف (أواني) صغار، يؤكل فيها، منها الكبير والصغير.
انظر: المصدر السابق ٥٣٢/٩.

(٥) في ط (مرفق) بفاء ثم قاف.

(٦) السفرة: أصلها الطعام الذي يعد للمسافر، ثم استعملت لما يوضع بين الأرض وأواني الطعام.
انظر: المصدر السابق ٥٣١/٩.
رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق...، ٥٣٠/٩ (٥٣٨٦). من فتح الباري.

(٧) هو تمر رديء.
انظر: شرح النووي ١٠٩/١٨. م ٩.

(٨) رواه مسلم بنحوه، كتاب الزهد والرقائق.
انظر: المقدمة ٢٢٨٥/٤ (٢٩٧٨).

وفي صحيح البخاري عن أنس: أنه مشى إلى النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بخبز شعير وإهالة سَنِخة[1]، ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيراً، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آل محمد صاع بُرّ ولا صاع حب»، وإنهم يومئذ تسعة أبيات[2].

وفيه عن عائشة، قالت: «كان فراش رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ من أدَم[3] حَشْوُه ليف»[4].

وفي صحيح مسلم[5] من حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ لما ذكر اعتزال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ نساءه ــ قال: فدخلت على رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في خزانته، فإذا هو مضطجع على حصير، فأدنى إليه إزاره وجلس، وإذا الحصير قد أثر بجنبه، وقلبت عيني في بيته فلم أجد شيئاً يرد البصر غير قبضة من شعير

---

(١) **الإهالة**: ما أذيب من الشحم والإلية، أو كل دسم جامد، أو ما يؤتدم به من الأدهان.
والسَّنِخَة: متغيرة الريح.
انظر: فتح الباري ٥/١٤١.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرهن، باب في الزهد في الحضر، ٥/١٤٠ (٢٥٠٨) من فتح الباري.

(٣) هو باطن الجلد الذي يلي اللحم.
انظر: مختار الصحاح ص ١٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه...، ١١/٢٨٢ (٦٤٥٦).

(٥) في ك و ط (الصحيحين).

وقبضة من قرظ[1] نحو الصاعين، وإذا أَفِيْق[2] معلقة، فابْتَدَرَتْ عيناي[3]. فقال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «ما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ فقلت: «يا رسول الله، وما لي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وهذه خزانتك[4] وهذه الأعاجم[5] كسرى وقيصر في الثمار والأنهار»، فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلَت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا». وفي رواية: «أو ما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»، قال: بلى، قال: «فالحمد[6] لله ــ عز وجل ــ». قال: فقلت: «أستغفر الله»[7].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[8].

---

(١) في جميع النسخ (قرض) والصواب (قرظ) كما في الصحيح واللسان، وهو شجر يدبغ به، وقيل: ورق السَّلم يدبغ به الأَدَم.
انظر: لسان العرب ٧/٤٥٤ مادة: قرظ.

(٢) في ط (أفق) وهو بفتح الهمزة وكسر الفاء: جلد لم يتم دباغه.
انظر: شرح النووي ١٠/٨٣ م ٥.

(٣) أي: سالتا بالدموع.
انظر: المصدر السابق ٤/٤٨ مادة (بدر).

(٤) اسم للموضع الذي يجمع فيه المال.
انظر: المصدر السابق ١٣/١٣٩ مادة (خزن).

(٥) في ك و ط زيادة (وفي رواية).

(٦) في ك و ط (فاحمد).

(٧) رواه مسلم بعدة روايات، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن...، ٢/١١٠٥ ــ ١١١٣ (١٤٧٩). ورواه البخاري مختصراً جداً، كتاب اللباس، باب ما كان النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يتجوز من اللباس والبسط، ١٠/٣٠١ ــ ٣٠٢ (٥٨٤٣) من فتح الباري.

(٨) قوتاً: أي كفافاً، وهو الذي لا يرهق إلى ذل المسألة، ولا تكون فيه فضول تبعث =

وروى الطيالسي بإسناد صحيح عن ابن مسعود، قال: «اضطجع النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ على حصير[1] فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه عنه وأقول: «بأبي أنت وأمي[2] يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه؟»، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلَّا[3] كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

ورواه[5] الحاكم في صحيحه عن ابن عباس أن عمر دخل على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وذكر[6] نحوه[7].

= على الترفه والتبسط في الدنيا.
انظر: فتح الباري ٢٧٥/١١.
رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، المقدمة ٢٢٨١/٤ (١٠٥٥) والبخاري بلفظ: «اللهم ارزق آل محمد قوتاً» كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وأصحابه. . .، ٢٨٣/١١ (٦٤٦٠) من فتح الباري. ورواه الترمذي برقم ٢٣٦٣.

(١) هو كل ما نُسِج من جميع الأشياء.
انظر: ترتيب القاموس ٦٥٣/١.
(٢) في أ (بأبي وأمي أنت) وقد أثبتنا ما في ك و ط لاتفاقه مع المسند.
(٣) هكذا في ك و ط وفي أ سقطت (إلَّا) وقد صححناه من ك و ط.
في ك و ط زيادة (رواه أحمد).
(٤) المسند لأبي داود الطيالسي ٣٦، (٢٧٧). وقد حكم الشيخ المؤلف ــ يرحمه الله ــ على الإسناد بالصحة، حيث أن رواته المسعودي عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن علقمة وكلهم ثقات.
(٥) في ك و ط (وروى).
(٦) في ك و ط (فذكر).
(٧) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم، ٣٠٩/٤، بنحوه. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد في المسند ٤٥/١، وانظر: الفتح الرباني ٨٣/٢٢.

وفي الترمذي عن أنس بن[1] مالك، قال: حج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على رحل رث وقطيفة»[2]، ورواه البخاري ـ أيضاً ـ عن أنس[3] في (كتاب الحج) قال: «حج أنس على رحل رث، ولم يكن شحيحاً[4]، وحدّث أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حج على رحل وكانت زاملته»[5].

وفي صحيح[6] الحاكم عن أنس: أن النبي ـ صلَّى الله عليه

---

(١) في ط (ابن).

(٢) الرحل: رحل البعير، وهو أصغر من القتب. ويستعمل للركوب عليه. والقطيفة: دثار مُخْمل.
انظر: مختار الصحاح ص ٢٣٧ و٥٤٣.
رواه الترمذي في الشمائل(*)، باب ما جاء في تواضع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٢٦٤ (٣١٧): بأتم من هذا، ويشهد له الحديث بعده.

(٣) في ك و ط (عن أنس ـ أيضاً ـ).

(٤) أي: لم يكن بخيلاً.
انظر: المصباح المنير ص ٣٠٦.

(٥) الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، من الزَّمْل، وهو الحمل. والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه، بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة والزاملة.
انظر: فتح الباري ص ٣/٣٨١.
رواه البخاري وليس فيه (رث) كتاب الحج، باب الحج على الرحل ٣/٣٨٠ (١٥١٧). من فتح الباري، ورواه ابن ماجه بلفظ آخر قال ابن حجر في الموضع السابق: «إسناده ضعيف». أبواب المناسك، الحج على الرحل ٢/١٥٤ (٢٩٢٢). وهو بمثل رواية الترمذي في الشمائل المذكورة هنا، وهما من رواية الربيع بن صبيح السعدي عن يزيد بن أبان، عن أنس.

(٦) كان الأولى أن يقول الشيخ المؤلف ـ رحمه الله ـ (مستدرك الحاكم). فوصف (الصحيح) لا ينطبق تماماً عليه.

(*) المقصود هو كتاب الشمائل المحمدية (مجلد واحد).

وسلَّم ــ لبس خشناً، وأكل خشناً، ولبس الصوف، واحتذى المخصوف[1]. قيل للحسن: ما الخشن؟ قال: غليظ الشعير، ما كان يسيغه[2] إلَّا بجرعة ماء»[3].

• • •

انتهى المجلد الخامس
ويليه المجلد السادس وأوَّله:
فصل [في فضل أمة محمد على غيرها]

---

(١) أي: لبس الحذاء الذي هو فيه كترقيع الثوب.
انظر: المصباح المنير ص ١٢٦ و ١٧١.

(٢) أي: لا يسهل مدخله في الحلق.
انظر: المصباح المنير ص ٢٩٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، ٤/٣٢٦. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، قال الذهبي: «لم يصح، نوح ــ أي ابن ذكوان ــ واه، ويوسف ــ أي: ابن أبي كثير ــ مجهل» (هكذا).

فهرس موضوعات الجزء الخامس

الموضوع	الصفحة

● ● ●